علوم القرآن

الموضوعية

ـ دراسة في النظرية والتطبيق ـ

الأستاذ الدكتور

محمد كاظم حسين الفتلاوي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن الكريم
جامعة الكوفة

المؤلف: ..... الأستاذ الدكتور محمد كاظم الفتلاوي
الكتاب: ..... علوم القرآن الموضوعية
الطبعة: ..... الأولى / ١٤٤٥هـ / ٢٠٢٤م
الناشر: ..... دار التوحيد / كربلاء المقدسة
المطبعة: ..... مطبعة العالمية الحديثة – النجف الأشرف

التصميم والإخراج الفني
مكتب محمد الخزرجي ٠٧٨٠٠١٨٠٤٥٠
العراق - النجف الأشرف

الترقيم الدولي I. S. B. N. 978 - 9922 - 8808 – 1 – 5

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٢٢٧) لسنة ٢٠٢٤م

محفوظة جميع الحقوق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الطلاق، الآية: ١٢

إهداء

إلى..

من قال لي يوماً وقد لحظ شيء خالج خاطري:

(انا اعاملكم اصدقاء وانتم تعاملوني استاذا).

فطفقت جاهدا ان يكون هذا المبدأ شعاراً لي مع طلابي.

إليك ..

وقد راق لي فيك وضوح العبارة في القول والكتابة.

فغدوت محاولاً ان اجسّد ذلك قولاً ومقالاً.

إليك ومنك..

ما سطرنا بهذا الكتاب إذ كنتَ رائد فنه ونحرير بيانه

أستاذي وشيخي العلامة الأستاذ الدكتور

محمد حسين الصغير رحمه الله

جزء من الوفاء والعرفان

هذا الجهد اهدي.

تلميذكم محمد

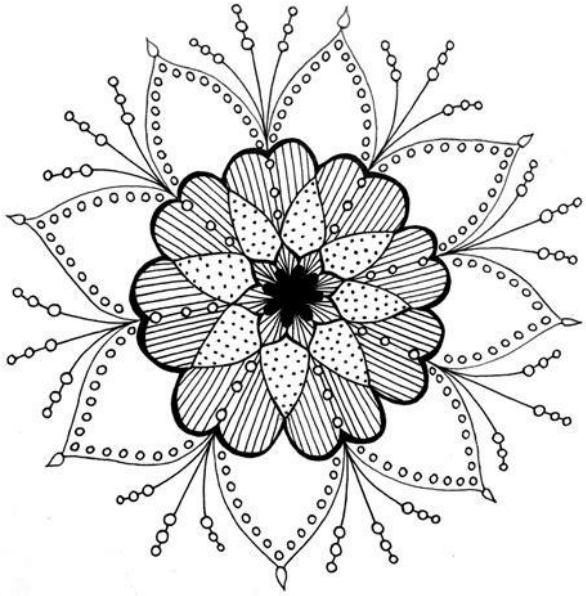

مُقَدِّمَة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على مُحَمَّدٍ وآله الطاهرين

اما بعدُ..

لقد ذَكَرْنَا في مُؤَلَّفُنا: (علوم القرآن التاريخية (تاريخ القرآن)) /٢٠٢٣م وكذلك المُؤَلَّفُ الذي سبقه: (أساليبُ القرآن الكريم – دراسة في النظرية والتطبيق–) ٢٠٢٢م فقد ذكرنا قصة مفادها: إنَّ باكورةَ الشرّوعَ في التأليفِ كانتْ عن علومِ القرآنِ بنوعيها التاريخية والموضوعية.

وبَعدَ الحاح على الزمان ومصاولةٍ مع الظروف، ومقارعة الحوادث، جاءتْ المشيئةُ أنْ يرى كتابُنا أساليبَ القرآنِ النورَ بما يحملُ من فكرٍ ودلالةٍ ومعارفٍ، بحسب الطاقة البشرية قبل غيره استيفاءً لحقه، بما احتوى من علومِ القرآن؛ وأنَّ إفرادها بمؤلف مستقل هو إعطاءً لحقها المعرفي وكذلك مما يسهل مطالعتها.

وبالإضافة إلى ذلك، فإنَّ موضوعاتَ علوم القرآن التاريخية والموضوعية، وبما تحملُ من بُعد زماني، وتنوع في مشارب الأفكار فقد يتطلب الأمر بحثاً دقيقاً؛ ليكون متنوع المنابع والروافد في القديم والحديث، ومضافاً إلى أنَّ الاقدام على أيِّ عملٍ والإيغال فيه، لا يكون مثمراً دون وجود هدف محدد، فيمهدُ لتحقيق البُعد عن العبثية والتخبط.

وقد ذكرنا غي الكتابيين المذكورين تقسيماً دقيقاً لعلوم القرآن، وهو انهما على قسمين: فالأول علوم القرآن الموضوعية وهي ما تعلق بالنصوص القرآنية بصورة مباشرة، وكان منها على سبيل المثال علم النسخ، وعلم المحكم والمتشابه، والإعجاز القرآني وعلم المناسبة وغير ذلك من العلوم.

والثاني: علوم القرآن التاريخية والتي تدرس ما تعلق بخارج النصوص القرآنية من علوم أو تكون محيطة بالنص ومنها: الوحي وما يحمل من معنى وعلم المكي والمدني والقراءات القرآنية، وكذلك البحوث المتعلقة بواقعة جمع القرآن، وتدرس كذلك حالة رسم المصحف وما تابعه من التنقيط وغيره.

علاوة على ذلك، فإنَّ أساليبَ القرآن الكريم تشملُّ جملة من العلوم ومنها: علم القصة وعلم الأمثال وعلم الأقسام وعلم المجادلة، وبما ان هيكلية الكتاب لا تستوعب كل هذه العلوم لذا كان من الحتم الخلوص الى مؤلف ثالث يوضح معاني علوم القرآن الموضوعية إذ كان مضمون كتابنا علوم القرآن التاريخية مجموعة من علوم تاريخ القرآن فكان لا بد من إتمام بيان هذه العلوم بالتطرق والتفحص في المجال الموضوعي لها كي تكتمل ثلاثية العلوم القرآنية لتكون سلاحاً للمسلم والمؤمن (المثقف والأكاديمي) كي يستطيع الوصول الى حسن التدبر في الكتاب المجيد ليستجلي معانيه السامية ومعارفة الوافرة، وبعد التوكل على الله سبحانه والاستعانة به شمرتُ عن ساعد المعرفة واستعنت بالليل والنهار كليهما ليكونا صهوتي وجوادي في هذا الدرب، وطرقت أبواب المعارف وأهلها والمكتبات وما فيها اسأل من غير حرج ولا كلل إذ كان همي الوصول الى جوهر الموضوع ليقترب عندي المختلف ويهذب الشاذ ويوضح المبهم ويحلل المركب ويركب المفكك مع الحرص الشديد على انتقاء الأسلوب الرصين البسيط الخالي

من التعقيد، وقد انتقيت المنهج الوصفي في كل ذلك والتحليلي في اغلب المباحث مع الاستعانة بالمناهج البحثية الأخرى واعمالها بحسب المفتضى.

لذا ارتأيت أنْ يكون الكتاب من ثمانية فصول؛ فكانت حصة الفصل الأول منها نظرة عامة في علوم القرآن من حيث التعريف بها ومسارها التاريخي ومراحل تطورها ونضوجها وتدوينها مضافاً الى مقدمة أخرى تخصّ مفهوم القرآن ذاته تعريفاً وتعدداً للأسماء والصفات وذكراً للفضائل وافتراقه عن الحديث القدسي، والنبوي وتفاضله مع اللغة العربية وإثبات أفضليته عليها.

في حين جاء الفصل الثاني ما يخص علم الناسخ والمنسوخ، وما يحيط به وصفاً وشرحاً وتطبيقاً، وأما الفصل الثالث فقد تعرض لعلم المحكم والمتشابه في الآيات الكريمة من حيث الاعتماد على اللغة أولاً وتجليات النص الكريم ثانياً وسياقات الآيات، والفصل الرابع فقد خصّص لعلم المبهمات وما يجري مجراها، وأما الفصل الخامس فتحدث عن الإعجاز القرآني وما يتصل به، والفصل السادس يختص بعلم المناسبات، وجاء علم غريب القرآن وعلم المعرب في الفصل السابع، في حين تصدى الفصل الثامن والأخير لموضوع ترجمة القرآن لغير لغته العربية من حيث المفهوم والشكل والأحكام والآراء والأقوال.

ولو قال قائل: لماذا لمْ يتطرق الكتاب لمبحث علم التفسير والمفسرون وما يتعلق به؟ فيمكن الإجابة عن ذلك بأنَّ الذي دعانا لعدم الخوض فيه هو ما لحظناه في اختلاف القول عند الباحثين والعلماء فيه من حيث احتسابه من علوم القرآن الموضوعية أم لا؟ والذي يميل إليه الباحث أنَّه ليس من علوم القرآن؛ بل هو نتاج كل العلوم بنوعيها التاريخية والموضوعية وثمرتها، كذلك فالمقررات الدراسية الأكاديمية اليوم افردته بمقرر مستقل ضمن موادها الدراسية، وحتى لا

يكون عليك عزيزي القارئ ثقل تشعب العلوم وتعددها في هذا الكتاب وان لا يفوتنا أهمية علم التفسير ومتعلقاته فسيكون لقائنا القادم – إنْ شاء الله تعالى – مع علم التفسير في كتاب منفرد به تحت عنوان (علم التفسير).

ولا أدعي العصمة من الأخطاء والزلل في الكتابة، فإنْ أصبت فذلك من فضل الله تعالى عليَّ وإنعامه وإنْ أخطأت فذلك قصوري بل تقصيري والى الله تعالى افوض أمري فهو أعلم بما أقصد.

وإن كان هناك نفعٌ من معلومة تصل أو معنى يتضح أو مطلب يستقيم أو جديد يرى النور فذلك الفضل من الله ﷻ، وأن كان غير هذا فلعله التذكير ببعض ما اندرس من مطالب العلوم القرآنية ولا يخلو من الأجر في مدارسة القرآن.

لذا فأرجو الخالق جل شأنه أنْ يصل مبتغاي الى أذهان العارفين وانْ يكون جهدي مع أعمال الباحثين الصادقين، وانْ ينتفع به كل من يصل إليه مع التماس رضاه تعالى عن المؤلف والناشر والقارئ والمستفيد سواء.

فأنا وإياكم أيها القارئون في رحاب مسؤولية كبيرة تجاه القرآن ومعارفه، فقد قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾[١] والذكر المقصود هو الفخر والمنقبة الجليلة والنعمة الجزيلة التي لا تقدر بقدر والتي سوف يُسأل عنها الناس يوم النشور [وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ فيكون القرآن حجة عليهم يومذاك.

كما أنَّ التَّمسك بهدي القرآن الكريم وتقصي معارفه واحكامه واستحصال علومه هو الثبات على الحق والأمان من الزلل، قال أمير المؤمنين علي عليه السلام:

(١) سورة الزخرف، الآية: ٤٤. في تفسيرها ظ: ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٦١/١٦، السعدي،

(عليكم بكتاب الله فإنه الحبل المتين، والنور المبين، والشفاء النافع، والري الناقع، والعصمة للمتمسك والنجاة للمتعلق، لا يعوج فيقوم، ولا يزيغ فيستعتب، ولا تخلقه كثرة الرد، وولوج السمع من قال به صدق، ومن عمل به سبق)[١].

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

الأستاذ الدكتور
محمد كاظم حسين الفتلاوي
جامعة الكوفة / النجف الأشرف
٢٠٢٤م

(١) نهج البلاغة، خطب الإمام علي (ع)، ٤٩/٢.

وافعلوا الخير لعلكم تفلحون

الفصل الأول

مقدمة عن
القرآن الكريم وعلومه

إن رحمت الله قريب من المحسنين

الفصل الأول
مقدمة عن القرآن الكريم وعلومه

في هذا الفصل سنسلط الضوء على مقدمتين مهمتين لابد من التعرف عليهما وان كانت الكتب المختصة بهذا الشأن قد تناولتهما، إلا إننا نذكرهما ها اتماماً للفائدة مع مراعاة أسلوب الطرح المنسجم مع مرحلتنا الدراسية.

وهاتان المقدمتان هما: لمحة تاريخية عن علوم القرآن من حيث نشأتها وتطورها وتدوينها وكونها اصطلاح خاص له تعريفه وكذلك بيان الفرق بينها وبين علم أصول التفسير، وتوضيح دواعي دراستها وفائدتها.

والمقدمة الأخرى نظرة عامة عن القرآن من حيث المفهوم اللغوي والاصطلاحي، واسماءه وصفاته، وحكمة تعدد تلك الأسماء والصفات، وعلى النحو الآتي:

المقدمة الأولى: نظرة عامة عن علوم القرآن الكريم

وفي هذه المقدمة ستكون لنا وقفات مع مجموعة من المعارف المتعلقة بعلوم القرآن وتعريفه، ومنها:

١. لمحة تاريخية عن علوم القرآن (نشأة علوم القرآن):

كانت البداية الأولى لنشأة علوم القرآن في الزمن الأول للإسلام وذلك في عصر الرسول ﷺ، إلا أنّ نشأتها تختلف من حيث تدوينها تبعاً لاختلاف أنواعها، ففي فترة ما قبل عملية التدوين كان الرسول والمسلمون على معرفة ودراية بهذه العلوم، لكنهم لم ينشروها ويدونوها في الكتب؛ وذلك لعدم حاجتهم لتدوينها، الى ان ظهرت

الحاجة إلى تدوينها عند الشروع بجمع القرآن، إذ جمعوا القرآن الكريم في مصحف، كما نُسخت منه أعداد كبيرة، والتي لعبت دوراً كبيراً في ظهور بداية علم رسم القرآن.

٢. تطور علوم القرآن:

في عصر الإمام علي عليه السلام ظهرت الحاجة والضرورة لوضع القواعد الخاصة باللغة؛ وذلك لحماية القرآن الكريم من الاختلاط بلغة الأعاجم، وهذا بدوره شكل وأسس علم النحو، أما في عصر التابعين وضعت أساسات علم التفسير، ثمّ بعد ذلك جاء ما يطلق عليه عهد التدوين، والذي تم فيه تأليف العديد من الكتب في مختلف أنواع العلوم، ولا بد من القول إنّ التركيز في هذه الفترة انصبّ في البداية على علم التفسير، ثم بعدها تفرعت المؤلفات والكتب لتشمل أنواعاً كثيرةً من علوم القرآن، وما زالت هذه العلوم تتطور وتتنوع مع مرور الزمن.

٣. تدوين علوم القرآن:

ان المتتبع لوضع علوم القرآن يلحظ انه جرى على طريقتين من التأليف:

الطريقة الأولى: الكتابة في موضوع واحد مستقل عن بقية علوم القرآن الأخرى، وهذا أقرب ما يكون الى التفسير الموضوعي إن لم يكن هو بعينه التفسير الموضوعي مع اختلافات يسيرة في الضوابط والمصطلحات، وهذه الطريقة من التأليف قديمة جداً ترجع بداياتها الى القرن الثاني الهجري؛ فقد ألّف قتادة بن دعامة السدوسي (ت:١١٨هـ) كتاباً في "الناسخ والمنسوخ"، وألّف أبان بن تغلب (ت:١٤١هـ) كتاباً في "معاني القرآن" وقام حمزة بن حبيب (ت:١٥٤هـ) بالتأليف في "القراءات" وعلي بن المديني (ت:٢٣٤هـ) بتأليف كتابه "أسباب النزول"، وألف أبو عبيد القاسم بن سلام (ت:٢٢٤هـ) في الناسخ والمنسوخ، وألف أبو بكر السجستاني (ت:٣٣٠هـ) كتابه نزهة القلوب في غريب القرآن.

وهكذا توالى التأليف في القراءات وإعجاز القرآن ومجازه ومناسبات السور والآيات وأمثال القرآن، وغير ذلك من الموضوعات المتصلة بالقرآن الكريم[١].

وهذه الطريقة تقوم على الاستيعاب والاستقصاء حسب إمكانيات المؤلف وقدرته على تصور الموضوع واستيعابه.

الطريقة الثانية: وتقوم على جمع أنواع من الموضوعات المتصلة بالقرآن الكريم بصورة موجزة في مؤلف واحد، وذلك ليسهل الاطلاع عليها والإفادة منها، فقد ضم بعضها الى بعض، وسُمّيت بعلوم القرآن[٢].

فبهذه الطريقة بدأ أول ظهور لمصطلح "علوم القرآن"؛ وذلك في أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع الهجري حين ألّف محمد بن خلف بن المرزبان المُحوّلي (ت:٣٠٩هـ) كتابه: "الحاوي في علوم القرآن"[٣].

ثم توالى بعد ذلك التأليف في علوم القرآن؛ ففي القرن الخامس الهجري كتب علي بن إبراهيم الحوفي (ت:٤٣٠هـ) كتابه "البرهان في علوم القرآن"[٤]، ثم ألّف ابن

---

(١) ظ: مصطفى ديب البغا، الواضح في علوم القرآن، ص٣٥، محمد علي التسخيري، محاضرات في علوم القرآن، ص٢٢، د. زاهر بن عوض الألمعي، دراسات في علوم القرآن، ص١٢.

(٢) وهذا لا ينافي ما يذكره بعض المفسرين في مقدمات تفاسيرهم من العلوم المتصلة بالقرآن الكريم كبيان جمع القرآن وترتيبه والاحرف السبعة والقراءات وغير ذلك مما تمس الحاجة إليه، فإن هذه العلوم جاءت في مقدمات التفاسير لشدة الحاجة إليها، وهي تمثل موضوعات محدودة.

(٣) ظ: ابن النديم، الفهرست، ص٩٥. والمحوّل قرية غربي بغداد، أخباري صاحب تصانيف، ظ: الدوودي(ت:٩٤٥هـ)، طبقات المفسرين، ص٣٩٧.

(٤) ذكر حاجي خليفة (ت:١٠٦٨هـ) في كتابه كشف الظنون، ٢٤١/١: كتاب علي بن إبراهيم الحوفي، وسماه (البرهان في تفسير القرآن). وأن الاختلاف في تسمية كتاب الحوفي (ت:٤٣٠هـ) لاتزال قائمة تحتاج إلى تحرير، إلا ان الباحثين في علوم القرآن يدرجونه تحت عنوان: "البرهان في علوم القرآن"، على سبيل المثال ظ: د. يوسف بن خلف العيساوي، علم إعراب القرآن تأصيل وبيان، ص١٥٨، د. محمد خازر المجالي، الوجيز في علوم الكتاب العزيز، ص٣٣، ولعل سبب ذلك يعود فيما ذكره الزرقاني (ت:١٣٦٧هـ): انه ظفر بكتاب مخطوط في دار الكتب المصرية لعلي الحوفي اسمه: "البرهان في علوم القرآن" ومنهجيته فيه انه يتناول الآية ويذكر العلوم المتعلقة فيها. ظ: مناهل العرفان في علوم القرآن، ٣٢/١. وبسبب هذه المنهجية يُدرج على انه كتاب في علوم القرآن.

الجوزي (ت:٥٩٧هـ) كتابين هما: "فنون الأفنان في عيون علوم القرآن" و"المجتبى في علوم تتعلق بالقرآن".

وفي القرن السابع الهجري ألّف علم الدين السخاوي (ت:٦٤٣هـ) كتاب "جمال القراء"، وألّف أبو شامة المقدسي (ت:٦٦٥هـ) كتاب "المرشد الوجيز فيما يتعلق بالقرآن العزيز". ومن أشهر ما أُلف في مباحث علوم القرآن كتاب "البرهان في علوم القرآن" لبدر الدين الزركشي (ت:٧٩٤هـ)، وهو مشتمل على بعض موضوعات علوم القرآن، وكذلك كتاب "التيسير في قواعد التفسير" لمحمد بن سليمان الكافيجي (ت:٨٧٩هـ) في القرن التاسع الهجري، وألّف جلال الدين البلقيني (ت:٨٢٤هـ) كتابه "مواقع العلوم من مواقع النجوم"، وفي القرن العاشر الهجري ألّف جلال الدين السيوطي (ت:٩١١هـ) كتاب "الإتقان في علوم القرآن" وهو من أشهر الكتب وأوسعها في هذا الباب.

وفي العصر الحديث نال التأليف بعلوم القرآن الكريم الكعب المعلى وكثر ذلك فيها وفي مباحثها ولعل اطلالة سريعة على المكتبات تبين ذلك جلياً، وليس ههنا محل حصرها أو تعدادها، إذ تبقى مائدة القرآن رحبة لمن قصدها دوحة غناءة لمن استظل بها من الباحثين وغيرهم، فجزاهم الله ﷻ خيراً في خدمتهم لكتابه العزيز.

والحق إن كثيراً من المباحث في علوم القرآن ما تزال بحاجة إلى النظر في مسائلها وإعادة الكتابة فيها، وعدم الاكتفاء والتسليم بما سطر فيها من غير دليل، وعلوم القرآن أوسع من أن يحيط بها أبناء جيل أو أجيال من البشر.

ومما لا شك فيه أن التاريخ لا يعرف كتاباً درسه الدارسون وألف في علومه المؤلفون وصنف فيه المصنفون مثل القرآن الكريم، وما تزال المؤلفات تدون وما زال العلماء يبحثون ويتدبرون، وما يزال القرآن نقياً لم تكدر صفوه الدلاء وفائضاً لم

تنقصه كثرة الواردين، وسيظل نوراً يستضيء به طلاب الحقيقة، وهدي يهتدي به الناس إلى يوم القيامة.

٤. علوم القرآن اصطلاح خاص:

بعد ازدهار التدوين العلمي ووضع الاصطلاحات والأسماء للفنون العلمية صار اسم (علوم القرآن) اصطلاحاً خاصاً لمباحث تتعلق بالقرآن الكريم مباشرة، ولهذا فلعلوم القرآن معنيان: معنى إضافي ومعنى علم على الفن المدون، وإليك بيان ذلك:

١. المعنى الإضافي:

اعلم أن الإضافة بين "علوم" و"القرآن" تشير إلى أنواع العلوم والمعارف المتصلة بالقرآن الكريم سواء كانت خادمة للقرآن بمسائلها أو أحكامها أو مفرداتها، أو إن القرآن دل على مسائلها أو أرشد إلى أحكامها. فيشمل كل علم خدم القرآن أو استند إليه كعلم التفسير[١] وعلم التجويد وعلم الناسخ والمنسوخ وعلم الفقه وعلم العقائد وعلم اللغة وغير ذلك.

بل توسع بعض العلماء فعد منها علم الهيئة والفلك والجبر والهندسة والطب وغيرها؛ والحق أنه وإن كان القرآن الكريم يدعو إلى تعلمها إلا أنه لا يجمل عدها من علوم القرآن فإن هناك فرقٌ كبيرٌ بين الشيء الذي يحث القرآن على تعلمه في عمومياته أو خصوصياته وبين العلم الذي يدل القرآن على مسائله أو يرشد إلى أحكامه.

وعليه نلحظ ان في إضافة العلوم إلى القرآن وجهين:

(١) أن بعض الباحثين جعل علم التفسير علماً مستقلاً عن علوم القرآن الكريم لا جزء منها، وهو ما نؤيده ونميل إليه، لأن كل علوم القرآن تكون خادمة للتفسير والتفسير ثمرتها.

الأول: أن يراد منها عموم (المعلومات) التي تنطوي تحت ألفاظ القرآن، فأية معلومة نصَّ عليها أو أشار إليها فهي من علومه؛ أي: معلوماته، وهذا المعنى ذهب إليه بعض العلماء، فأطلقوا هذا على علوم القرآن، قال ابن العربي المالكي (ت٥٤٣هـ): (وقد ركَّبَ العلماءُ على هذا كلاماً، فقالوا: إنَّ علومَ القرآنِ خمسونَ علماً، وأربعُمائة علمٍ، وسبعةُ آلاف، وسبعونَ ألفَ علمٍ، على عدد كَلِمِ القرآنِ، مضروبةً في أربعةٍ، إذ لكلِّ كلمةٍ منها ظهرٌ وبطنٌ..)[١].

الثاني: جملة من أنواع المعلومات المضبوطة ضبطاً خاصّاً والمتعلقة بالقرآن الكريم من حيث نزوله وجمعه وقراءاته ومكيِّه ومدنيِّه وأسباب نزوله وإعجازه وناسخه ومنسوخه وما إلى ذلك[٢].

وهذا الوجه هو الذي نعنيه في مباحث هذا الكتاب وهو المعروف عند المختصين بالدراسات القرآنية عند إضافة العلوم الى القرآن بمصطلح "علوم القرآن".

وبهذا يظهر أن علوم القرآن بالمعنى الإضافي تشمل كل العلوم الدينية والعربية ويمكن تسميتها العلوم الخاصة بالقرآن، وأخرى علوم عامة تشمل كل المعارف والمعلومات والعلوم الخادمة لبيان معاني الكتاب العزيز.

٢. معنى علوم القرآن كفن مدون:

ثم نقل المعنى الإضافي وجعل علماً على الفن المدون وأصبح مدلوله كفن مدون أخص من مدلوله بالمعنى الإضافي.

---

[١] قانون التأويل، تحقيق: د. محمد السليماني، ص٥٤٠، ظ: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ١٢٨/٢.

[٢] ظ: الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ٢٠/١، مساعد ناصر الطيار، المحرر في علوم القرآن، ٢٣/١.

ويعرف علوم القرآن كفن مدون بعدة تعريفات منها أنه:

(العلم الذي يبحث عن أحوال القرآن من حيث نزوله وأداءه وكتابته وجمعه وترتيبه في المصاحف وبيان خصائصه العامة الأخرى مع إدخال بعض البحوث على أساس الإلحاق)[١].

وعرفه السيد محمد باقر الصدر (قدس سره)، بإنه: (جميع المعلومات والبحوث التي تتعلق بالقرآن الكريم وتختلف هذه العلوم في الناحية التي تتناولها من الكتاب الكريم)[٢].

ويرى جملة من العلماء[٣]: بأنه كل ما يتصل بالقرآن الكريم من دراسات فيدخل في ذلك علم التفسير، وعلم القراءات، وعلم الرسم العثماني، وعلم إعجاز القرآن، وعلم أسباب النزول، وعلم الناسخ والمنسوخ، وعلم إعراب القرآن، وعلم غريب القرآن، وعلوم الدين واللغة، إلى غير ذلك.

وتنقسم علوم القرآن على ضربين:

١. علوم القرآن التاريخية (تاريخ القرآن): المتعلقة مباحثها بالموارد الخارجة عن النص القرآني مثالها: ظاهرة الوحي وأسباب النزول والمكي والمدني..
٢. علوم القرآن الموضوعية: المتعلقة مباحثها بالموارد الداخلة في النص القرآني ومثالها: الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه وغريب القرآن ..

وعلوم القرآن الموضوعية هي محور تأليف كتابنا هذا.

٥: موضوع علوم القرآن:

هو القرآن الكريم من أية ناحية من النواحي المذكورة في التعريف.

---

(١) محمد علي التسخيري، محاضرات في علوم القرآن، ص١٣-١٥
(٢) محمد باقر الحكيم، علوم القرآن، ص٢٢.
(٣) ظ: الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ٢٧/١، أبو شامة، المرشد الوجيز، ص٧.

٦: الفرق بين علوم القرآن وأصول التفسير:

يتردد كثيراً السؤال الآتي:

هل علوم القرآن وأصول التفسير شيء واحد... أو أن بينهما فرقاً؟

وقبل الإجابة لابد من تعريف علم أصول التفسير؛ وتعريفه هو: علم يبحث فيه عن القواعد والمصادر التي يتوصل بها إلى التفسير الصحيح لكتاب الله تعالى[١].

لهذا؛ ومن خلال البحث لم أقف على مَن فرّق بينهما، إذ ضم بعض العلماء مباحث علم أصول التفسير ضمن علوم القرآن وصهرها فيه من غير الإشارة لوجود علم بمصطلح "أصول التفسير" كما فعل الزركشي[٢]، والسيوطي[٣]، وابن عقيلة المكي (ت:١١٥٠هـ)[٤]، وغيرهم من المؤلفين المعاصرين.

غير أن بعض الباحثين يميل إلى التسوية بينهما، بمعنى أنه يصح إطلاق أحدهما على الآخر وأنهما مترادفان وعلمان على مسمّى واحد[٥].

ومن ثم جواز إطلاق أصول التفسير على علوم القرآن من باب إطلاق الجزء على الكل، أو التسوية بينهما وانهما مترادفان وعلمان على مسمّى واحد، يقول الدكتور مناع القطان: (وقد يُسمّى هذا العلم – أي علوم القرآن – بأصول التفسير؛ لأنه يتناول المباحث التي لا بد للمفسّر من معرفتها للاستناد إليها في تفسير

---

(١) للتفصيل في هذا العلم من حيث مبادئه ومصادره وضوابطه وقواعده ظ: المؤلف، أصول التفسير، ص٣٣ وما بعدها.

[٢] ظ: البرهان في علوم القرآن، ١٤٧/٢.

[٣] ظ: الاتقان في علوم القرآن، ١٩٢/٤.

[٤] ظ: الزيادة والإحسان في علوم القرآن، ٩١٧/٣.

[٥] ظ: مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، ص١٦، وذكر نحو هذا الدكتور محمد بن لطفي الصباغ في كتابه: بحوث في أصول التفسير، ص١٠ حيث قال: وموضوعنا في هذا الكتاب هو أصول التفسير، وهو علم مهم من علوم القرآن، د. فهد الرومي، أصول التفسير ومناهجه، ص١٢.

القرآن)[١]، فنلحظ أن تداخل المباحث بين العلمين، وأن كلاً منهما يبحث فيما لابد للمفسر من معرفته، كان وراء ذلك.

ولكن بالتأمل الدقيق في تعريف العلمين: أصول التفسير، وعلوم القرآن، وبالوقوف على ما فيهما من مباحث وموضوعات، والنظر في كيفية تناولهما بالبحث والدراسة، يتبيّن لنا أن بينهما فرقاً، مفاده:

أن **علم أصول التفسير** يهتمّ بوضع القواعد التي تقلل مراعاتها من خطأ المفسر، وغالب أبحاثه في اللفظ العربي وأحواله عند الإفراد والتركيب، وحقيقته ومجازه، وصريحه وكناياته، وفي ناسخ القرآن ومنسوخه، وعامه وخاصه، ومنطوقه ومفهومه، ومطلقه ومقيّده، ومجمله ومبينه، ومحكمه ومتشابهه، ومعرفة شروط المفسر وأدبه، والمنهج الأمثل الذي يجب أن يسلكه، وما إلى ذلك من الأدوات والقواعد المهمة التي يحتاج إليها المفسّر، ويجب عليه مراعاتها أثناء قيامه بمهمة التفسير.

وأما علوم القرآن: بشقيها علوم القرآن التاريخية[٢] وعلوم القرآن الموضوعية فهو بحر واسع يتناول العلوم المختلفة المتعلقة بالكتاب الكريم مثل: جمع القرآن وتدوينه وترتيبه، وتفسيره وأسماءه، وغريبه وإعجازه، وأسباب نزوله، ومكيه ومدنيه وناسخه ومنسوخه، ورسم المصحف، والقراءات، والترجمة، وغيرها من العلوم الكثيرة، كما أشار ابن العربي المالكي (ت:٥٤٣هـ) فيما تقدم ذكره.

وما يرى من تداخل بعض مباحث العلمين كالناسخ والمنسوخ والعام والخاص مثلاً لا يعني التسوية بينهما، لاختلاف البحث فيهما من جهة فأصول التفسير يُعنى

---

[١] مباحث في علوم القرآن، ص١٦.

[٢] وقد سبق هذا الكتاب ان افردنا كتاباً عن علوم القرآن التاريخية: علوم القرآن التاريخية (تاريخ القرآن)، ٢٠٢٣م.

بوضع القواعد في ذلك الباب، بينما يتناولها علوم القرآن من جهة كونها خادمة للكتاب، معينة على كشف معانيه[١].

٧: دواعي دراسة (علوم القرآن) وفائدتها:

لقد حرص العلماءُ أيَّما حرصٍ على بيان فوائد العلوم التي يشتغلون بها، ويخوضون غمارهَا، لأن ذلك يبعثُ الهمةَ على الاتجاه إليها، والنشاط في الإقبالِ على تحصيلها. وإذا كان الأمرُ كذلكَ في سائرِ العلوم فإنه في العلومِ الشرعيةِ بعامة وفي علوم القرآن بخاصةٍ أظهرُ وأوضح، ومن ثم لا يسعُنا إغفالَ هذا الأمر، ونحن نعرِّف بعلوم القرآن الكريم.

فمن فوائد دراسة هذا العلم ما يلي:

١. الثقافة العالية العامة في القرآن الكريم. إذ إن الدارس لهذا العلم يكون على حظ كبير من الفهم بالقرآن، وبما يشتمل عليه من أنواع العلوم والمعارف، ويحظى بثقافة عالية وواسعة فيما يتعلق بالقرآن الكريم، وإذا كانت العلوم ثقافة للعقول، وصلاحاً للقلوب وتهذيباً للأخلاق، وإصلاحاً للنفوس والأكوان، وعنوان التقدم والرقي، وباعثة للنهضات، ففي القمة- من كل ذلك- علوم القرآن؛ فالقرآن أحسن الحديث، وأصدقه، وعلومه أشرف العلوم وأوجبها على كل مسلم أيّا كان تخصصه وأيّا كانت حرفته.

٢. التسلح بمجموعة من المعارف القيمة التي تمكن من الدفاع عن هذا الكتاب العزيز ضد من يتعرض له من أعداء الإسلام، ويبث الشكوك والشبهات في عقائده

---

[١] وخشية الإطالة في بيان تفاصيل علم أصول التفسير؛ أحيل القاريء المهتم بهذا الموضوع إلى مراجعة كتابنا: أصول التفسير – دراسة في المبادئ العامة والضوابط والقواعد –، دار حدود، بيروت، ٢٠١٨م.

وأحكامه وتعاليمه. ولا شك أن الدفاع عن القرآن- الذي هو أصل الإسلام- من أوجب الواجبات على الأمة الإسلامية، ولاسيما علماؤها وأهل الرأي فيها وإنه لشرف عظيم، وفضل كبير أن يكون المسلم منافحاً عن هذا الكتاب الجليل.

٣. تيسير تفسير القرآن الكريم فهذه العلوم مفتاح لباب التفسير ولا يصح لأحد أن يفسر القرآن الكريم قبل أن يتعلم اسرار هذه العلوم. إذ كيف يتأتى لدارس القرآن ومفسره أن يتوصل إلى إصابة الحق والصواب، وهو لا يفرق بين ناسخه ومنسوخه! ولا يعلم محكمه من متشابهه! وبأي شيء كان إعجازه! وكيف ثبت! وما هو مبهمه وغريبه!.. إلى غير ذلك مما يذكر في هذا الفن، فيكون عرضة للزلل والخطأ.

٤. معرفة الجهود العظيمة التي بذلها السلف من العلماء لدراسة القرآن الكريم وعنايتهم الكبرى به وبعلومه التي كان لها الأثر في حفظه من التغيير والتبديل.

٥. إن من يتصدَّى لبيان القرآن وتعليمه للخلق، لابد من معرفة الشروط والآداب التي يجب توفرها في حامل القرآن، والعلوم الواجب توفرها فيه، وهذا من أرفع المنازل، وأعظم المقامات، ومن أفضل الأعمال التي يتقرَّب بها العبد إلى ربه، وأن القائمين على معرفة القرآن وعلومه وتدريسه، وتعليمه لهم مقام صِدْق عند ربِّهم.

٦. زيادة ثقافة الفرد المسلم بالمصدر الأول لدينه، وأعظم ما يملكه في وجوده، إذ ينبغي لكل مسلم أن يأخذ حظه من القرآن مهما كان تخصصه، ومهنته، وحرفته.

ربنا وتقبل دعاء ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب

المقدمة الثانية: نظرة عامة عن القرآن الكريم

في هذه المقدمة بيان مجمل عن القرآن الكريم من حيث:

أولاً: القرآن الكريم في اللغة والاصطلاح:

أ) القرآن الكريم لغةً: اختلف العلماء في المعنى اللغويّ للقرآن الكريم على أقوال[١]:

١. منهم من قال إنَّ القرآن اسم عَلَمٍ غير مُشتقٍّ من جذرٍ لغوي وغير مهموزٍ (أي قران)، وهو بذلك اسمٌ اختصَّ الله تعالى به الكتاب الذي نزل على النّبي ﷺ كما في أسماء الكتب الأخرى التّوراة والإنجيل، وهذا القول مُنتقلٌ عن الشافعيّ وغيره.

٢. من العلماء من ذهب إلى القول إنَّ القرآن اسمٌ مشتقٌّ من القرائن؛ لأنَّ الآيات يُصَدِّق بعضها بعضاً، ويُشابه بعضه بعضاً كالقرينات، أي المُتشابهات، وهذا قول الفرَّاء (ت:٢٠٧هـ).

٣. قيل إنَّه لفظٌ مهموز (أي قرآن)، وهو مشتقٌّ من قَرَأ ومصدرٌ له، وهذا ما ذهب إليه اللحيانيّ (ت:٢١٥هـ) وغيره.

٤. ذهب الزَجَّاج (ت:٣١١هـ) وغيره إلى القول بأنَّ القرآن وصفٌ مشتقٌّ من القَرْءِ أي الجمع، ومثال ذلك: قرأت الماء في الحوض؛ أي جمعته فيه، وسُمِّي القرآن بذلك لأنَّه جمع السّور بعضها إلى بعضٍ، أو لأنَّه جمع ثمرات وفوائد الكتب السَماويَّة التي نزلت قبله كما قال الرّاغب (ت:٤٢٥هـ)[٢].

ومن مجموع التعريفات اللغوية نخرج بجامع لغوي هو انه مشتق من فعل أو مصدر.

---

(١) ظ: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ١/١٨١-١٨٢.
(٢) ظ: مفردات ألفاظ القرآن، ص٦٦٩.

ب) القرآن الكريم اصطلاحاً: عُرِّف القرآن الكريم في اصطلاح الباحثين والعلماء بعدة تعريفات وكل ينظر في تعريفة الى جانب معين، ومن جملة التعريفات يمكن ان نستخلص التعريف الآتي ونركن إليه؛ فنقول هو:

(كلام الله ﷻ المُعجَز، المُوحَى به لفظاً ومعنىً إلى النّبي محمد ﷺ، المنقول بالتّواتر، المَكتوب بين دفَّتَي المُصحف، المتعبَّد بتلاوته، المَبدوء بسورة الفاتحة والمختوم بسورة النّاس).

وفي هذا التعريف نلحظ عدة معان أهمها:

١. ان المقصود بأنَّه كلام الله المُعجز: أي أنَّ الله تعالى أنزل القرآن الكريم ليكون مُعجزةً مُؤيِّدةً للنبي ﷺ، وتمثَّل هذا الإعجاز بما حواه القرآن الكريم من فصاحةٍ وبلاغةٍ، وإخبارٍ عن الغيب وقصصٍ للأمم السَّابقة، وما تضمَّنه من إعجازٍ علميٍّ وتشريعيٍّ، يكمن الإعجاز في تحدّي القوم الكافرين بأن يأتوا بمثله أو بعشر سورٍ منه أو حتّى آيةٍ واحدةٍ من مثل آياته، وما زال التحديّ قائماً، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿**قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هُذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا**﴾[1]، وهذا التحدي خاص بالقرآن وما تضمنه من نصوص وآيات فيخرج الاحاديث القدسية.

٢. المُراد بالمُوحَى به: أي أنَّ القرآن الكريم بكلِّ ألفاظه ومعانيه مُنزّلٌ من الله تعالى على نبيّه الخاتم ﷺ وليس لرسول الله فيه أي دور إلا البيان والتبليغ.

٣. الى النبي محمد ﷺ: هنا يخرج ما انزل على الأنبياء عليهم السلام من قبله كالتوراة والانجيل. وان كان كل كتاب نازل على نبي من الأنبياء يسمى باسمه ويختص به.

٤. المقصود بمتعبَّدٍ بتلاوته؛ أي أنَّ في تلاوة القرآن الكريم عبادةً وقربةً يتقرَّب بها المُؤمن الى الله تعالى، ويحظى بها بالأجر والثَّواب العظيم، وكذلك فإنَّ الصَّلاة لا

(١) سورة الإسراء، الآية: ٨٨.

تصحُّ إلا بقراءة آياتٍ من القرآن الكريم، ومن ذلك قول النّبي ﷺ: (لا صلاة لمن لم يقرأ في صلاته بفاتحة الكتاب)[١].

٥. أمَّا المُراد من أنَّه منقولٌ بالتَّواتر؛ أي أنَّه نُقِل من جمعٍ إلى جمعٍ بحيث يستحيل اتِّفاقهم على الكذب في نقله؛ فقد تلقَّاه المسلمون – مُشافهةً من النّبي ﷺ– ، ونقلوه إلى الجيل الذي يليهم، بحيث يُجزم بصدق النَّقل ودقَّته، ولذلك فمن أنكر شيئاً من القرآن الكريم فقد كفر وخرج عن دين الإسلام، والتواتر يخرج قراءات الآحاد والقراءات الشاذة.

فإذا تأملت عزيزي الدارس في هذا التعريف، لحظت فيه خصال: الإنزال على النبي محمد ﷺ، والنقل بالتواتر، والتعبد بتلاوته، والإعجاز.

ثانياً: أسماء وأوصاف القرآن الكريم:

للقرآن الكريم صفات وأسماء كثيرة، ورد معظمها في نصوصه، أو في سّنة المعصوم عليه السلام، كما اجتهد الكثير من العلماء في البحث حول أسماء القرآن الكريم، وتأليف الكتب حول عددها ومعانيها، والدارس المتتبع يلحظ ان هناك اختلافاً واسعاً عند بعض الباحثين في عدد اسماء القرآن الكريم وصفاته[٢]، والسبب في هذا الاختلاف يعود إلى:

---

(١) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ٧٣٢/٤، ظ: البخاري، صحيح البخاري، ١٨٤/١.

(٢) فقد ذكر الحرالي (ت:٦٤٧هـ) نيفاً وتسعين أسماً وذكر الزركشي خمس وخمسون أسماً نقلاً عن شَيْذَلَة القاضي الشافعي (ت:٤٩٤هـ)، ظ: البرهان في القرآن، ٢٧٣/١، وبلغ عند بعضهم ثمانون أسماً، ظ: د. محمود راميان، تاريخ قرآن، ص٣١، أما عند الشيخ محمد علي التسخيري فكانت خمسة أسماء فقط والعدد ذاته عند عبد الله يوسف الجديع، ظ: محاضرات في علوم القرآن، ص٢٩، المقدمات الأساسية في علوم القرآن، ص١٢، وعدّ السيد محمد باقر الصدر ثلاثة أسماء فقط هي: (الكتاب، الفرقان، القرآن)، ظ: المدرسة القرآنية، ص٢٠٩–٢١٠، في حين يرى بعض الباحثين ان ليس للقرآن إلا أسماً واحداً: (القرآن)، ظ: استاذنا الدكتور محمد حسين الصغير، تأريخ القرآن، ص٧٧، د. سيروان عبد الزهرة الجنابي، تأريخ القرآن وعلومه، ص ٢٨، اما الدكتور صبحي الصالح فيرى ان هناك مبالغة في اسماء القرآن فيمن نقل عنه الزركشي فقال: (ولا ريب أنه خلط فيها بين التسمية والوصف)، مباحث في علوم القرآن، ص٢١.

١. عدم التمييز بين أسماء وأوصاف القرآن الكريم.
٢. تباين الأفهام في اختيار الأسماء.
٣. عدم وجود مانع من تسمية الشئ بصفته.
٤. تسمية القرآن الكريم بأي صفة لا يسلبه خواصه القدسية.

أ) أسماء القرآن الكريم:

كما اتضح آنفاً عدم اتفاق الباحثين على أسماء معينة للقرآن الكريم، إلا اننا لحظنا ان هناك أربعة أسماء تكاد تكون هي المشهورة في أقوال الكثيرين منهم، وهي:

١. القرآن: قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيد﴾(١).
٢. الفرقان: قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾(٢).
٣. الكتاب: قال تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فيه هدى لِلْمُتَّقِينَ﴾(٣).
٤. الذكر: قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا له لَحَافِظُونَ﴾(٤).

والتسميات الثلاثة: الفرقان، الكتاب، الذكر، مشتركة بين القرآن الكريم والكتب السماوية الأخرى(٥)، وتسمية (القرآن) هي التسمية الوحيدة التي جُعلت إسماً خاصاً لهذا الكتاب السماوي.

ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد

(١) سورة البروج، الآية: ٢١.
(٢) سورة الفرقان، الآية: ١.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١-٢.
(٤) سورة الحجر، الآية: ٩.
(٥) ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ﴾ سورة البقرة، الآية: ٥٣، ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ﴾، سورة الأنبياء، الآية: ٤٨.

ب) صفات القرآن الكريم:

تقدم بيان الأختلاف بين الباحثين في عدد أسماء وصفات القرآن الكريم وكذلك التداخل فيما بينها عندهم، وحتى نسهل على الدارس الموضوع في الصفات يمكن تصنيف تلك الصفات إلى مجموعتين:

المجموعة الأولى: وهي التي تشير إلى صفات القرآن الذاتية، والتي منها:

١. الكريم: قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾(١).
٢. المجيد: قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ﴾(٢).
٣. العظيم: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾(٣).
٤. العزيز: قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾(٤).
٥. الحكيم والعلي: قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾(٥).
٦. الصدق: قال تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ﴾(٦).
٧. الحقّ: قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾(٧).
٨. المبارك: قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ﴾(٨).
٩. العَجَبُ: قال تعالى: ﴿قُرْآناً عَجَباً﴾(٩).
١٠. العِلم: قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنْ الْعِلْمِ﴾(١٠).

---

(١) سورة الواقعة، الآية: ٧٧.
(٢) سورة البروج، الآية: ٢١.
(٣) سورة الحجر، الآية ٨٧.
(٤) سورة فصلت، الآية: ٤١.
(٥) سورة الزخرف، الآية: ٤.
(٦) سورة الزمر، الآية: ٣٣.
(٧) سورة آل عمران، الآية: ٦٦.
(٨) سورة ص، الآية: ٢٩.
(٩) سورة الجن، الآية: ٢٩.
(١٠) سورة الرعد، الآية: ٣٧.

المجموعة الثانية: وهي التي تشير إلى صفات القرآن التأثيرية، التي تشير إلى علاقة القرآن بالناس، والتي منها:

١. الهُدى: قال تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾(١) .

٢. الرحمة: قال تعالى: ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ﴾(٢).

٣. الموعظة: قال تعالى: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾(٣).

٤. الشفاء: قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنْ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ﴾(٤).

٥. التذكرة: قال تعالى: ﴿كَلاَّ إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ﴾(٥).

٦. المبين: قال تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾(٦).

٧. البلاغ: قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي هَذَا لَبَلاَغاً لِقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾(٧).

٨. البشير والنذير: قال تعالى: ﴿بَشِيراً وَنَذِيراً فَأَعْرَضَ...﴾ (٨).

٩. البصائر: قال تعالى: ﴿هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ﴾(٩).

١٠. البيان: قال تعالى: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ﴾(١٠).

١١. النور: قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً﴾(١١).

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢.
(٢) سورة لقمان، الآية: ٣.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٣٨.
(٤) سورة الاسراء، الآية: ٨٢.
(٥) سورة المدثر، الآية: ٥٤.
(٦) سورة يوسف، الآية: ٢.
(٧) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٥.
(٨) سورة فصلت، الآية: ٤.
(٩) سورة الجاثية، الآية: ٢٠.
(١٠) سورة آل عمران، الآية: ١٣٨.
(١١) سورة النساء، الآية: ١٧٤.

حكمة تعدد الأسماء والصفات.. بين العلماء حكمة تعدد الأسماء للقرآن الكريم وصفاته؛ فقال الفيروز آبادي (ت:٨١٧هـ): (إعلم أن كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى أو كماله في أمر من الأمور، أما ترى أن كثرة أسماء الأسد دلت على كمال قوته، وكثرة أسماء القيامه دلت على كمال شدته وصعوبته، وكثرة أسماء الداهية دلت على شدة نكايتها، وكذلك كثرة أسماء الله تعالى دلت على كمال جلال عظمته، وكثرة أسماء النبي ﷺ دلت على علو رتبته وسمو درجته، وكذلك كثرة اسماء القرآن دلت على شرفه وفضيلته)[١].

وبين صفات القرآن الكريم الكثيرة اشتراك وامتياز، فهي تشترك في دلالتها على ذات واحدة هي القرآن الكريم نفسه، ويمتاز كل واحد منها عن الآخر بدلالته على معنى خاص، فكل اسم للقرآن يدل على حصول معناه فيه، فتسميته مثلاً بالهُدى يدل على الهداية فيه، وتسميته بالتذكرة يدل على أن فيه ذكرى، وهكذا.

- الفرق بين المصحف والقرآن:

لا يصح أن يجمع لفظ القرآن لأن القرآن الكريم واحد لا يختلف في كل المصاحف، أما المصحف فيصح جمعه فيقال: "مصاحف" لأن كل واحد منها أو مجموعة تختلف عن الأخرى[٢].

ربنا وتقبل دعاء ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب

(١) بصائر ذوي التمييز، ٨٨/١.
(٢) وتجدر الاشارة هنا الى قول الدكتور فهد الرومي؛ إذ قال: (فإن قلت: أرأيت تسميته بالمصحف هل وردت في الكتاب أو في السنة؟ قلت: إن المصحف ليس اسماً للقرآن ذاته وانما هو اسم للصحف التي كتب عليها القرآن، ولم يطلق عليه (المصحف) إلا بعد جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر في صحف ضم بعضها إلى بعض فسميت مصحفاً.
ولهذا نرى العلماء يتحدثون عن حكم بيع المصحف ولم يقل أحد منهم بيع القرآن، فالقرآن كلام الله تعالى، أما المصحف فهو من عمل البشر وصناعتهم التي يبتغون بها الرزق والكسب الحلال). خصائص القرآن الكريم، ص١٢٤.

- الفرق بين القرآن والكتاب:

هناك إشارة استنبطها بعض العلماء من تسميته بالقرآن والكتاب فقالوا: روعي في تسميته قرآناً كونه متلوا بالألسن كما روعي في تسميته كتاباً كونه مدوناً بالأقلام فكلتا التسميتين من تسمية شيء بالمعنى الواقع عليه(١).

وفي تسميته بهذين الاسمين إشارة إلى أن من حقه العناية بحفظه في موضعين لا في موضع واحد، أعني أنه يجب حفظه في الصدور، والسطور جميعاً، فلا ثقة لنا بحفظ حافظ حتى يوافق الرسم المجمع عليه من الأصحاب المنقول إلينا جيلاً بعد جيل على هيئته التي وضع عليها أول مرة ولا ثقة لنا بكتابة كاتب حتى يوافق ما هو عند الحفاظ بالإسناد الصحيح المتواتر.

ونحن وان نستحسن هذا الاستنباط لكن ليس من باب الجزم القطعي، إذ ان محل استنباط العلماء من هاتين التسميتين (القرآن والكتاب) وبيان دلالة اللفظ فيهما إنما يكون في علم التفسير، والمفسرون هم أهل الاختصاص

ثالثاً: فضله ومكانته:

يحتل القرآن الكريم مكانة معنوية كبيرة في نفوس أتباع الدين الإسلامي، فهو المصدر الأساس لتنظيم حياتهم الفردية والاجتماعية، وهو يُعدّ مصدراً من مصادر المعرفة عند المسلمين بكلا قسميها الدنيوي والأخروي. وقد وردت روايات كثيرة في مقام تبيان فضل القرآن الكريم، وأنه يتضمن جميع مجريات الناس؛ أعم من الماضي والمستقبل، ومشتمل على خَبَر السَّماء والأَرضِ، قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: (إن الله تبارك وتعالى أنزل في القرآن تبيان كل شئ حتى والله ما ترك الله شيئا

(١) ظ: د. محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم، ص١٢، د. صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، ص١٧. إلا ان الشيخ محمد علي التسخيري أنكر هكذا استنباط، فقال: (ونحن لا نستطيع أن نقف عند هذا الحد بل قد نرفضه باعتبار أن هاتين التسميتين جاء بهما القرآن نفسه ولقّنهما الإسلام أتباعه لا أنهما جائتا بعد ذلك لتشير الى صفتين متأخرتين حدثتا أو تُوقع لهما أن تحدثا فيه وهما قراءته وكتابته وصيانته بهما من التحريف). محاضرات في علوم القرآن، ص٢٨.

يحتاج إليه العباد، حتى لا يستطيع عبد يقول: لو كان هذا انزل في القرآن؟ إلا وقد أنزله الله فيه)[١].

وحث الرسول الإكرم ﷺ والأئمة الاطهار عليهم السلام على التفكّر في آيات القرآن الكريم، والعمل وفق تشريعاته وتعاليمه وهديه، وحضّوا على تلاوته وتعلّمه وتعليمه، وتحدثوا مفصلاً عن ثواب قراءة آياته وسوره. ومن أهم ما وصف به النبي ﷺ والعترة عليهم السلام القرآنَ أنه شفاء والمخرج من الفتن والشفيع يوم القيامة وفيه خبر ما كان ويكون، يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام: (إنّ فيه شفاء من أكبر الداء، وهو الكفر والنفاق والغيّ والضلال)، وقال عنه عليه السلام أيضاً: (إن فيه علم ما مضى، وعلم ما يأتي إلى يوم القيامة، وحكم ما بينكم وبيان ما أصبحتم فيه تختلفون)[٢].

رابعاً: آداب تلاوة القرآن الكريم:

يُستحبّ لقارئ القرآن أن يُراعي الكثير من الآداب؛ منها: استحضار النيّة الصالحة والخالصة لله سبحانه، والتسوّك، والطهارة، والاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، والخشوع والتدبّر أثناء القراءة، وترتيل آياته والبكاء، وسؤال الله عز وجل الرحمة عند تلاوة آياتها، والاستعاذة من العذاب عند ذكره، والسجود عند آيات السجدة، والتخلق بآدابه ومكارمها.

خامساً: الفرق بين القرآن الكريم والحديث القدسي:

تقدم معنى تعريف القرآن الكريم أما الحديث القدسي فهو: ما يُضيفه النبي ﷺ الى الله تعالى على أنه من كلامه تعالى؛ فهو بهذا: كلام الله المنزل – لا على وجه الإعجاز – الذي حكاه أحد الأنبياء عليهم السلام أو أحد الأوصياء، مثل ما رُوي أن الله تعالى قال: (الصوم لي وأنا أُجزي به)[٣]. وقال النبي ﷺ: (قال الله عز وجل: عبدي

(١) الكليني، الكافي، ١/٥٩.
(٢) الكليني، الكافي، ١/٦١.
(٣) ظ: جعفر السُبحاني، أصول الحديث وأحكامه في علم الدراية، ص٢٠. ولقد أفرد بعض العلماء كتباً خاصة بالأحاديث القدسية، فجمع فيها مجموعة مما اختاره أو تمكّن من جمعه من الأحاديث القدسية، ومن جملة هؤلاء العلماء:

المؤمن لا أصرفه في شئ إلا جعلته خيراً له، فليرض بقضائي وليصبر على بلائي وليشكر نعمائي أكتبه يا محمد من الصديقين عندي)[١].

وعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال: (أوحى الله عز وجل إلى داود النبي عليه السلام ياداود ان عبدي المؤمن إذا أذنب ذنباً ثم رجع وتاب من ذلك الذنب واستحيى مني عند ذكره غفرت له وأنسيته الحفظة وأبدلته الحسنة ولا أبالي وأنا أرحم الراحمين)[٢].

ولهذا يُعدُّ القرآن الكريم والأحاديث بكلا قسميها القدسية والنبوية من النصوص الشرعية، إلاّ أنّ هناك جملة من الفوارق بينها، بحيث تختلف كيفية التعاطي مع هذه النصوص من قِبَل علماء المسلمين، وتبعاً لذلك تتحقّق التراتبية في التقديم والتأخير بينها. فالقرآن الكريم والحديث القدسي يجتمعان في كَونِ مصدرهما واحد وهو الله تعالى، إلاّ أنهما يختلفان في أمور عدة أهمها ما يلي:

١- القرآن الكريم معجز، والحديث القدسي لا يلزم منه أن يكون معجزاً.
٢- القرآن مادة الصلاة الأساسية فلا تكون الصلاة إلا به بخلاف الحديث القدسي.
٣- جاحد القرآن الكريم يكفر بخلاف جاحد الحديث القدسي.
٤- التواتر في نقل القرآن الكريم فهو قطعيُّ الثبوت، أما الأحاديث القدسية فأكثرها آحاد ومنها الصحيح والحسن والضعيف.
٥- القرآن الكريم يكون من عند الله عز وجل لفظاً ومعنىً أما الحديث القدسي يجوز أن يكون لفظاً من النبي صلى الله عليه وآله وسلم[٣].
٦- القرآن المجيد لا يُمس إلا بالطهارة والحديث القدسي يجوز مسه بدونها.

---

١. الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي (ت:١١٠٤هـ)، الجواهر السنية في الأحاديث القدسية، ١٩٨٤ م، مؤسسة الوفاء، بيروت.
٢. السيد حسن الشيرازي (ستشهد:١٤٠٠هـ)، كلمة الله، مؤسسة الوفاء، بيروت.
(١) الكليني، الكافي، ٦١/٢.
(٢) الصدوق، ثواب الأعمال، ص١٣٠.
(٣) إلا ان المحقق الداماد (ت:١٠٤١هـ) محمد باقر الحسيني الاسترآبادي يرى ان الحديث القدسي أيضاً من لفظ الله وانه موحى إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بألفاظه. إذ قال: (والحديث القدسي كلام يوحى إلى النبيّ معناه فيجري الله على لسانه في العبارة عنه ألفاظاً مخصوصةً في ترتيب مخصوص، ليس للنبيّ أن يبدّلها ألفاظاً غيرها، أو ترتيباً غيره). الرواشح السماوية، ١٩٢/١.

سادساً: الفرق بين القرآن الكريم والحديث النبوي:

تقدم تعريف القرآن الكريم، أما الحديث النبوي فهو: ما نُقل وأُثر من أقوالٍ وأفعالٍ أو تقارير أو صفاتٍ خَلقيةٍ أو خُلقيةٍ عن النبي ﷺ.

أما القول فمثاله قوله ﷺ: (إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فالقوهم بطلاقة الوجه وحسن البشر)[١]. وأما الفعل: فكتعليمه ﷺ الصلاة ومناسك الحج للمسلمين، وأما التقرير المقصود به إقرار النبي ﷺ وموافقته وسكوته لما صدر أمامه أو ما بلغه من أقوال وأفعال المسلمين، ذلك أنّ النبي ﷺ لا يقرّ أو يوافق على أمرٍ ما غير مشروعٍ، وأما الصفات الخَلقية التي يقصد بها لون بشرة النبي ﷺ وطوله، وطريقة مشيه، وغير ذلك من الصفات الخَلقية، أمّا الصفات الخُلقية فمثالها الشجاعة التي كان النبي ﷺ يتحلّى بها، وتواضعه، وعطفه، ولينه، وغير ذلك من الأخلاق الحميدة. هذا وإن أدنى تأمل في تعريف القرآن الكريم وتعريف الحديث النبوي ليظهر منه الفرق بينهما كما هو واضح.

سابعاً: الفرق بين الحديث القدسي والحديث النبوي:

تقدم بيان الحديث القدسي والحديث النبوي، وبالنظر الى معنى كل من الحديثين القدسي والنبوي تظهر عدة فوارق أهما ما يأتي:

١- الحديث النبوي لا يضاف إلا الى النبي ﷺ لفظاً ومعنىً وإن كان مردُّه للوحي كما قال تعالى: ﴿**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى**﴾[٢]، أما الحديث القدسي فمعناه من عند الله ﷻ ولفظه من عند الرسول ﷺ على الصحيح من أقوال أهل العلم، وقد قيل إن لفظه أيضاً من عند الله تعالى.

---

(١) الكليني، الكافي، ١٠٣/٢.
(٢) سورة النجم، الآية: ٣-٤.

٢- تكمُن الغاية من الحديث القدسي التوجيه والإرشاد الرباني وبيان جلال الربوبية، وليست الغاية منه بيان حكمٍ تكليفي أو معالجة حادثةٍ ما أو إجابة سؤال، أمّا الحديث النبوي فيغلب عليه البيان والتفصيل لمجمل القرآن الكريم والأحكام والحث على الأخلاق الفاضلة الكريمة(١).

٣- ثبت الحديث القدسي بأخبار الآحاد، وكذلك غالبية الأحاديث النبوية، إلّا أنّ منها المتواتر اللفظي والمعنوي.

٤- يتضمن الحديث النبوي ما ثبت من قول أو فعل النبي ﷺ، أمّا الحديث القدسي فيتعلّق بما أخبر به الرسول ﷺ عن الله ﷻ.

٥- أسلوب الأحاديث القدسية غالباً ما يكون قوي يحملُ على الخوف والإجلال والترغيب والترهيب، أما الأحاديث النبوية يغلب عليها أنها سهلة الألفاظ والمعاني.

ثامناً: فضل القرآن الكريم على اللغة العربية:

موضوع القرآن الكريم وفضله على اللغة العربية من الموضوعات المهمة التي لا يمكن تجاهلها بحال، ولابد للدارس من الاطلاع عليها، إذ من خلالها تتكون لديه الصورة الكاملة لعظمة القرآن المجيد، فاللغة العربية إذا ما قورنت بغيرها من اللغات وما حدث لها يظهر أثر القرآن الكريم على الاستقرار الصوتي لها، وحفظ معانيها، ويمكن إجمال الأثر في العناصر الآتية:

١- المحافظة على اللغة العربية من الضياع:

السر الكامن وراء خلود اللغة والحفاظ عليها من الاندثار هو القرآن الكريم بما كان له من أثر بالغ في حياة الأمة العربية حين نقلها من الجاهلية السوداء، وحولها من أمة تائهة إلى أمة عزيزة قوية بتمسكها بهذا الكتاب الذي صقل نفوسهم، وهذب طباعهم، وطهر عقولهم من رجس الوثنية وعطن الجاهلية، وألف بين قلوبهم

(١) ظ: حسن أيوب، الحديث في علوم القرآن والحديث، ١/١٧٦-١٧٧.

وجمعهم على كلمة واحدة توحدت فيها غاياتهم، وبذلوا من أجلها مهجهم وأرواحهم، ورفع من بينهم الظلم والاستعباد، ونزع من صدورهم الإحن والضغائن والأحقاد، فقد كان القرآن الكريم ولا يزال كالطود الشامخ يتحدى كل المؤثرات والمؤامرات التي حيكت وتحاك ضد لغته، يدافع عنها، ويذود عن حياضها، يقرع أسماعهم صباح مساء، وليل نهار بقوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[2].

٢- تقوية اللغة والرقي بها نحو الكمال:

منح القرآن الكريم اللغة العربية قوة ورقياً ما كانت لتصل إليهما لولا القرآن الكريم، بما وهبها الله سبحانه من المعاني الفياضة، والألفاظ المتطورة والتراكيب الجديدة، والأساليب العالية الرفيعة، فأصبحت بذلك محط جميع الأنظار، والاقتباس منها مناط العز والفخار، وغدت اللغة العربية تتألق وتتباهى على غيرها من اللغات بما حازت عليه من محاسن الجمال وأنواع الكمال، وفي هذا يقول الدكتور الرافعي (ت:١٩٣٧م): (نزل القرآن الكريم بهذه اللغة على نمط يعجز قليله وكثيره معاً، فكان أشبه شيء بالنور في جملة نسقه إذ النور جملة واحدة، وإنما يتجزأ باعتبار لا يخرجه من طبيعته، وهو في كل جزء من أجزاءه جملة لا يعارض بشيء إلا إذا خلقت سماء غير السماء، وبدلت الأرض غير الأرض، وإنما كان ذلك، لأنه صفى اللغة من أكدارها، وأجراها في ظاهره على بواطن أسرارها، فجاء بها في ماء الجمال أملأ من السحاب، وفي طراءة الخلق أجمل من الشباب، ثم هو بما تناول بها من المعاني الدقيقة التي أبرزها في جلال الإعجاز، وصورها بالحقيقة وأنطقها بالمجاز،

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٣-٢٤.
(٢) سورة الإسراء، الآية: ٨٨.

وما ركبها به من المطاوعة في تقلب الأساليب، وتحويل التركيب إلى التراكيب، قد أظهرها مظهراً لا يقضى العجب منه لأنه جلاها على التاريخ كله لا على جيل العرب بخاصته، ولهذا بهتوا لها حتى لم يتبينوا أكانوا يسمعون بها صوت الحاضر أم صوت المستقبل أم صوت الخلود لأنها هي لغتهم التي يعرفونها ولكن في جزالة لم يمضغ لها شيح ولا قيصوم)[١] – والشيح والقيصوم نباتان من نبات البادية، يضرب بهما المثل، يقال: فلان يمضغ الشيح والقيصوم، إذا كان عربياً خالص البداوة. انظر لسان العرب: (شيح، قصم).

٣- توحيد لهجات اللغة العربية وتخليصها من اللهجات القبلية الكثيرة:

من المعلوم أن لهجات اللغة العربية كانت مختلفة، تحتوي على الفصيح والأفصح، والرديء والمستكره، وكانت القبائل العربية معتدة بلهجتها، ولا شكّ أن لغات العرب متفاوتة في الفصاحة والبلاغة، ولغة قريش افصحها فكان الغالب على لغة القرآن الكريم لهجة قريش وما ذلك إلا لأن لغة قريش أسهل اللغات وأعذبها وأوضحها وأبينها، وكانت تحتوي على أكثر لغات العرب، ونظراً لكونهم مركز البلاد وإليهم يأوي العباد من أجل الحج أو التجارة، فقد كانوا على علم بمعظم لغات العرب بسبب الاحتكاك والتعامل مع الآخرين، ولكن لغتهم أسهل اللغات كما ذكرنا.

ويزاد على ذلك أيضاً كون الرسول ﷺ من مكة، ومكة بطبيعة الحال موطن قريش، فلا بد من نزول كتاب الله بلسانهم، ليكون حجة عليهم واعجازاً لفصحائهم، دليل ذلك قوله تعالى: **[وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ]**[٢]، فعلى هذا تكون لغة القرآن لغة قريش.

وينقل السيوطي عن الواسطي قوله: (.... لأن كلام قريش سهل واضح، وكلام العرب وحشي غريب)[٣]، ولذلك حاول العرب الاقتراب منها، وودوا لو أن ألسنتهم

(١) تاريخ آداب العرب، ٢/٧٤.
(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٤.
(٣) الإتقان في علوم القرآن، ١/٣٩٢.

انطبعت عليها حين رأوا هذا القرآن يزيدها حسناً، ويفيض عليها عذوبة، فأقبلوا على القرآن الكريم يستمعون إليه، فقال كبرائهم على الرغم من أنفهم: (إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وأسفله لمغدق، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه)[١].

٤- تحويل اللغة العربية إلى لغة عالمية:

العرب قبل نزول القرآن الكريم، لم يكن لهم شأن يذكر أو موقع بين الأمم آنذاك كي تُقبل الأمم على تعلم لغتهم، والتعاون معهم فليست لغتهم لغة علم ومعرفة، وكذلك ليس لديهم حضارة أو صناعة، كل ذلك جعل اللغة تقبع متقوقعة في جزيرتها فلا تبرحها.

وقد ظلوا كهذا، حتى جاء القرآن الكريم، يحمل أسمى ما تعرف البشرية من مبادئ وتعاليم، فدعا العرب إلى دعوة الآخرين لدينهم، ومما لا شك فيه أن أول ما يجب على من يدخل الإسلام هو تعلم اللغة العربية لإقامة دينه، وصحة عباداته، فأقبل الناس أفواجاً على تعلم اللغة العربية لغة القرآن الكريم، ولولا القرآن الكريم لم يكن للغة العربية هذا الانتشار وهذه الشهرة.

وقد اتسع انتشار اللغة العربية جداً حتى تغلغلت في كثير من البلدان كإيران والهند والصين وأفغانستان واندونيسيا، وحسبنا شاهداً على ذلك ما نعلمه من مشاهير العلماء من تلك البلاد ورواد العلوم أمثال الطوسي والبخاري وابي حنيفة والرازي وابن سينا..

٥- تحويل اللغة العربية إلى لغة تعليمية ذات قواعد منضبطة:

من الثابت المعروف أن العرب قبل نزول القرآن كانوا يجرون في كلامهم وأشعارهم وخطبهم على السليقة، فليس للغتهم تلك القواعد المعروفة الآن، وذلك لعدم الحاجة إليها، ولا أدل على ذلك من أن التاريخ يحدثنا عن كثير من العلماء الذين

---

(١) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ٢/١١٠.

صرحوا أن لغتهم استقامت لمّا ذُهب بهم إلى الصحراء والبادية لتعلم اللغة العربية النقية التي لم تشبها شائبة، ومن هؤلاء الفقيه الشافعي، وأن الوليد بن عبد الملك كان كثير اللحن، لأنه لم يغترف لغته من الينبوع العربي الصحراوي الصافي(١).

ولما اختلط العرب المسلمون بغيرهم من الأقوام الاخرى، واحتك الأعاجم بالعرب فدخل عليهم اللحن على لغتهم، فضعفت اللغة مع مرور الأيام وفشا اللحن في قراءة القرآن، الأمر الذي نبّه له الإمام علي عليه السلام وحفز أبا الأسود الدؤلي وجعله يضع قواعد النحو، التي هي أساس ضبط حركات الحروف والكلمات، ومن ثم العمل على ضبط المصاحف بالشكل حفاظاً على قراءة القرآن من اللحن والخطأ.

وقد روى الجاحظ: (إن أول لحن سمع في البادية، هذه عصاتي بدل عصاي، وأول لحن سمع في العراق، حي على الفلاح بكسر الياء بدل فتحها)(٢)

وليس هذا فحسب، بل يرجع الفضل للقرآن الكريم في أنه حفظ للعرب رسم كلماتهم، وكيفية إملائهم، على حين أن اللغات الأخرى قد اختلف إملاء كلامها، وعدد حروفها.

٦- تهذيب ألفاظ اللغة العربية، ونشوء علم البلاغة:

كان العرب أمّة أكثرها ضارب في الصحراء، لم يتحضر منها إلا القليل، فلا جرم ان يكون في لغتهم الخشن الجاف، والوحشي الغريب، وقد أسلفنا عن الواسطي أن لغة قريش كانت سهلة لمكان حياة التحضر التي كانت تحياها في ذلك.

ولعل من يقرأ الأدب الجاهلي ويتدبره، يزداد إيماناً بما للحضارة من أثر ألفاظ اللغة، فإنه سيرى في أدب أهل الوبر كثيراً من مثل "جحيش" و"مستشزرات"

---

(١) أنه خطب يومًا على المنبر فقرأ: يا ليتها كانت القاضية (بضم تاء ليت)، فقال عمر بن عبد العزيز – كان تحت المنبر – (يا ليتها كانت القاضية عليك وأراحتنا منك). ظ: الجاحظ (أبو عثمان عمر بن بحر)، البيان والتبيين، ٤٢٤/١.
(٢) الجاحظ، البيان والتبيين، ٧٥/١.

"وجحلنجع"، وما إلى ذلك مما ينفر منه الطبع، وينبو عنه السمع، على حين أنه يكاد لا يصادفه من ذلك شيء في أدب القرشيين.

والقرآن الكريم – فضلاً عن أنه نقل العرب من جفاء البداوة وخشونتها، إلى لين الحضارة ونعومتها، فنزلوا عن وحشيتهم، وتوخوا العذوبة في ألفاظهم، – قد تخير لألفاظه أجمل ما تخف به نطقاً في الألسن، وقرعاً للأسماع، حتى كأنها الماء نقاوة، والنسيم رقة، والعسل حلاوة، وهو بعد بالمكان الأسمى الذي أدهشهم وحير ألبابهم، وأفهمهم أن البلاغة شيء وراء التنقيب والتقعير، وتخير ما يكد الألسن ويرهقها من الألفاظ، فعكفوا عليه يتدبرونه، وجروا إليه يستمعونه ذلك أن القرآن الكريم قد انتهج في تعابيره أسلوباً له حلاوة، وعليه طلاوة، تنتفي فيه الكلمة انتقاء، حتى كانت مفردات القرآن الكريم من اللغة العربية بمثابة اللباب وغيرها كالقشور، ولا أدل على ذلك من المقارنة بين الشعر الجاهلي والإسلامي، أو الأدب الجاهلي والإسلامي، لتجد البون شاسعاً، والفارق كبيراً، فأقبلوا إليه يزفون، ومن بحره ورياضه يستقون وينهلون.

٧– تنمية ملكة النقد الأدبي:

وذلك أن العرب كانت لهم أسواقهم المشهورة، ومعلقاتهم المنظومة، ومبارياتهم المعروفة، فلما نزل القرآن الكريم، ولامس شغاف قلوبهم، ورقت له أحاسيسهم ومشاعرهم، فتغيرت أحكامهم وقوانينهم، فنقلهم من الفصيح إلى الأفصح، ومن الجيد إلى الأجود، ذلك هو القرآن بإعجازه، فإذا كان القرآن الكريم بهذه المنزلة وبهذه المكانة، وبهذا التأثير على العرب ولغتهم فنقلهم من البداوة إلى الحضارة، ومن الذل والهوان إلى الرفعة والسؤدد، ومن التقوقع والتشرذم إلى العالمية والانتشار، ومن الوحشي والغريب إلى السهولة واليسر، ومن العامية إلى الفصحى.

والحق؛ أن توافر هذه الحقائق القرآنية، والتاريخية، والبحثية المعاصرة، حول أثر القرآن الكريم وفضله ومكانة ومستقبل علاقة التلازم بين القرآن ولغتهِ ومستقبل تلك العلاقة؛ لهو خير دليل على مستقبل اللغة العربية، ومدى تأثيرها المستقبلي في الحركة الحضارية العالمية.

الفصل الثاني

علم النسخ في القرآن الكريم

الفصل الثاني

علم النسخ في القرآن الكريم

لمعرفة الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم أهمية بالغة عند الباحثين والمهتمين بعلوم القرآن الكريم حيث تتوقف على وجوده معرفة الاحكام الشرعية والوقوف على ماهو معمول منها وما هو قد رفع حكمه، فكثُرت أقوال العلماء في بيان أهمية موضوع النَّسخ؛ فقد وصف الزركشي (ت:٧٩٤هـ) هذا العلم بأنه علم عظيم[١]، وقال الفيروز آبادي (ت:٨١٧هـ): (اعلم أن معرفة الناسخ والمنسوخ باب عظيم من علوم القرآن، ومن أراد أن يخوض في بحر التفسير فرض عليه الشروع في طلب معرفته والاطلاع على أسراره ليسلم من الأغلاط والخطأ الفاحش والتأويلات المكررة)[٢].

وكان المسلمون الأوائل شديدي الاهتمام به، وقد عدّوا الجاهل به جاهلاً بالشريعة ليس له أن يتحدث عن الحلال والحرام، فقد رُوي عن الإمام علي عليه السلام أنه مر على قاضٍ، فقال له: (أتعرف الناسخ من المنسوخ؟ قال: لا، فقال: هلكت وأهلكت)[٣].

وعن ابنِ عباس (ت:٦٨هـ) في قوله تعالى: ﴿**يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾[٤]؛ قال: (يعني: المعرفة بالقرآن؛ ناسخه ومنسوخه، ومحكَمه ومتشابهه، ومقدَّمه ومؤخَّره، وحلاله وحرامه، وأمثاله)[٥].

---

(١) ظ: البرهان في علوم القرآن، ٢/٢٩.
(٢) بصائر ذوي التمييز، ١/١١٧.
(٣) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ٢٧/٢٠٢.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٦٩.
(٥) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٥/٥٧٦.

وتكمن أهمية علم الناسخ والمنسوخ بكونه يرتبط ارتباطاً مباشراً بمعنى القرآن، وعلى وجه الخصوص بأحكام القرآن، إذ النسخ مرتبط بالأحكام الشرعية دون غيره من علوم القرآن، كما سيتضح ان شاء الله تعالى فيما يأتي.

أولاً: معنى النسخ في اللغة والاصطلاح:

١. **في اللغة:** جاء النسخ في لسان العرب على معان ثلاثة هي[١]:

أ) **النقل والكتابة:** ومثاله قولنا: **(نسخت الكتاب)** إذا نقلت ما فيه إلى غيره بدليل قوله تعالى: ﴿**إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾[٢] أي أن نستنسخ ما تكتب الحفظة فيثبت عند الله.

ب) **التبديل والتغير:** تقول العرب: **(نسخ الشيء بالشيء)** بمعنى استبدال الشيء بشيء آخر، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ**﴾[٣].

ت) **الرفع والإزالة:** تقول العرب: **(نسخت الشمسُ الظلَّ وانتسخته)** أزالته والمعنى أذهبت الظل وحلت محله، و **(نسخت الرياح آثار الديار)** غيرتها، ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿**مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا**﴾[٤].

٢. **النسخ في الاصطلاح:**

عُرِّف النسخ بتعريفات كثيرة عند العلماء، وتلك التعريفات متفاوتة في لفظها ومعناها، إلا أن ما يناسبنا هنا – في نظري – هذا التعريف:

---

(١) ظ: ابن منظور، لسان العرب، ٤٤٠٧/٥، الراغب، المفردات في غريب القرآن، ص٤٩٠.
(٢) سورة الجاثية، الآية: ٢٩.
(٣) سورة النحل، الآية: ١٠١.
(٤) سورة البقرة، الآية: ١٠٦.

هو (رفع أمر ثابت في الشريعة المقدسة بارتفاع أمده وزمانه، سواء أكان ذلك الأمر المرتفع من الأحكام التكليفية أم الوضعية، وسواء أكان من المناصب الإلهية أم من غيرها من الأمور التي ترجع إلى الله تعالى بما أنه شارع)[١].

فقد بين التعريف بأن الأمر الثابت في الشريعة المقدسة لا يُنسخ إلا بعد أن ينتهي الأمد الذي حدّده تعالى لصلاحيته، فإذا انتهى ذلك الأمد نُسخ ذلك الأمر، وحلّ محلّه أمر صالح لتلك الفترة وما بعدها، كما أشار الى نسخ الشرائع الأخرى، والأحكام الوضعية.

وبكلام أوضح: الآية القرآنية تنزل بحكم شرعي حين تكون من آيات الأحكام، فيعمل بها حتى تنزل آية أخرى ناسخة لها ترفع الحكم الأول وتزيله، فيصير العمل بالأولى باطلاً، وبالثانية واجباً وإليه أشار الفرّاء (ت:٢٠٧هـ) من قبل حين قال: (النسخ أن يعمل بالآية، ثم تنزل الأخرى فيعمل بها وتترك الأولى)[٢]، فهذا هو الراجح في معنى النسخ، وإذا لم تكن الآية منسوخة سمّيت محكمة، فالمحكم في الاصطلاح تارة يقابل المتشابه، وأخرى يقابل المنسوخ[٣]، وبذلك فإن الآيات المنسوخة تتصف بزوال الحكم وعدم ثبوته، على حين تتصف الآيات المحكمة بثبات الحكم واستمرار العمل فيه، وفي ذلك كان جواب الإمام جعفر الصادق عليه السلام حين سُئل عن الناسخ والمنسوخ قال: (لناسخ الثابت المعمول به، والمنسوخ ما قد كان يعمل به ثم جاء ما نسخه والمتشابه ما اشتبه على جاهله)[٤]. وفي مورد آخر يؤكد ذلك قال عليه السلام: (فالمنسوخات من المتشابهات، والمحكمات من الناسخات)[٥].

---

(١) السيد الخوئي (ت:١٤٢٣هـ)، البيان في تفسير القرآن، ص٢٧٧.
(٢) معاني القرآن، ٥٤/١.
(٣) ظ: د. كاصد ياسر الزيدي وآخر، علوم القرآن والتفسير، ص١٠١.
(٤) المجلسي، بحار الانوار، ٩٤/١٩.
(٥) الكليني، الكافي، ٢٨/٢.

وعليه فلا يدخل في هذا التعريف:

١. ما كان من عادات الجاهلية ثم حرّمه الإسلام، مثل: التبني، الزواج بأكثر من أربع نساء، شرب الخمر، الزواج بالجمع بالاختين، ..، إذ أن وجودها في الأصل لم يكن وفق حكم شرعي.
٢. كما لا يدخل فيه فعل الصحابة في إيقاف بعض الاحكام الشرعية، كما أوقف عمر بن الخطاب سهم المؤلفة قلوبهم، وحين أوقف حدّ السرقة عام الرمادة، وحين منع الزواج بالكتابيات، إذ ليس فعله حكم شرعي (قرآن أو سنة) بل اجتهاداً منه(١).
٣. ما كان فيه تحديد لمسؤولية النبي ﷺ(٢).
٤. الأخبار المتعلقة بالماضي، والوعود المتعلقة بالمستقبل، وما يتصل بصفات الله تعالى كل ذلك لا يدخله النسخ.

ثانياً: شروط النسخ:

يتضح من خلال معرفة معنى النسخ أن هناك شروطاً يجب مراعاتها عند النسخ لا يستغني عنها كل من يبحث في هذا العلم، ويمكن ان نجملها في(٣):

١. أن يكون النسخ في الأحكام الشرعية المعمول بها؛ فلا يقع إلا في الأوامر والنواهي.
٢. أن يكون المنسوخ حكماً شرعياً سابقاً نزولاً عن الناسخ.

---

(١) للتوسعة في الشواهد والأدلة والمصادر ظ: د. محمد خازر المجالي، الوجيز في علوم الكتاب العزيز، ص١٥٦.
(٢) قيل ان قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾ سورة آل عمران، الآية: ٢٠، منسوخ بآية السيف: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ..﴾، سورة التوبة، الآية: ٥. وليس الأمر كذلك؛ لأن الآية الأولى موردها مَجيء وفد نجران الى النبي ﷺ لغرض المحاججة، أما آية السيف فهي واردة في قتال المشركين.
(٣) للتوسعة ظ: د. محمد كاظم الفتلاوي، علم النسخ – دراسة في النظرية والتطبيق–، ص٢٩.

٣. يشترط في النسخ أن يكون في زمن رسول الله ﷺ وإلا فلا نسخ بعد وفاته واستقرار التشريع.

٤. ان لا يقع النسخ في الأمور الحسية التي تدرك بالحواس الخمس، وذلك لأنها من الأمور المشاهدة التي تراها العيون، ولا تختلف تلك الرؤية بالنسبة لعالم وعالم آخر، وبالنسبة لزمن وزمن آخر(١).

٥. ان لا يقع النسخ في الأحكام العقلية وأصول الدين، أو بذكر صفات الله واليوم الآخر وأصول العبادات والمعاملات لأنها من الثوابت لا المتغيرات(٢).

٦. وحدة الموضوع في الآيتين الناسخة والمنسوخة، لأن اختلاف الموضوعين يعني أن لا وجود لعلاقة بينهما كي تنسخ إحدهم الأخرى لفقدان الجامع الرابط بينهما.

٧. أن يكون النسخ بدليل شرعي ثبت بالقرآن الكريم أو بالسنة، فلا العقل أو الإجماع ونحوهما ينسخان الحكم الثابت بنص من الكتاب والسنة، كما هي الحال الآن في آفة المفتونين الذين ينسخون الأحكام الشرعية وفقاً لمقتضيات العقل، مؤولين ذلك بالمصالح والمنافع.

٨. أن يكون بين الناسخ والمنسوخ تعارضاً ولا يمكن الجمع بينهما.

٩. ان لا يكون النسخ بالاخبار والقصص، لأن أخبار الله ﷻ لا تتخلف، فالأخبار التي لا تحتمل الإنشاء، أي: أنها خبرية لفظاً ومعنى، لا يدخلها النسخ(٣).

---

(١) ومثال الأمور الحسية: كون النار محرقة، والعالم حادث، والسماء فوق الأرض، فهذه الأمور لا تتبدل ولا تتغير، إلا أن يشاء الله تعالى، كالمعجزة التي حصلت لإبراهيم – عليه السلام– حينما رماه الكافرون في النار، فجعلها الله برداً وسلاماً، والمعجزة خارقة للعادة لا يقاس عليها.

(٢) ظ: الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ١٧٧/٢.

(٣) أما الأخبار المتعلقة بالوعيد، فالظاهر على أنه يجوز فيها النسخ، لجواز أن يغفر الله تعالى لمن توعده، فلا يعذبه بفضله ورحمته، فالوعيد متعلق بالمشيئة الإلهية.

١٠. أن يكون الدليل الناسخ أقوى من المنسوخ أو مساوياً له في العلم فلا يُنسخ الأقوى بالأدنى منه قوة.

١١. أن يكون الحكم المرفوع (المنسوخ) غير مقيد بوقت: أي: ألا يكون الحكم المرفوع مقيداً بوقت يقتضي دخوله زوال الحكم وارتفاعه عن المكلف، فإن كان الحكم مقيداً بذلك فلا يسمى منسوخاً إن دخل وقت زواله وانقضائه؛ إذ لا يكون انقضاء وقته الذي قُيد به نسخاً له، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾[١].

ثالثاً: مشروعية النسخ (أدلة النسخ)

يستدل أهل العلم على وجود النسخ في الإسلام على عدد من الدلائل المنطقية والنصوص الشرعية:

أما الدلائل المنطقية فتتمثل في كون النسخ عملية طبيعية يقبلها العقل لأن مصلحة العبد تتغير عبر الزمن؛ ولو لم يكن النسخ جائزاً لما بُعث النبي الكريم ﷺ إلى الناس كافة، فالرسالة المحمدية ناسخة للشرائع السماوية السابقة كاليهودية والنصرانية وغيرهما؛ قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[٢].

ومن النصوص الشرعية يستدل العلماء بقوله تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾[٣]، فالنَّسخ هو رفع حُكم بعض الآيات بدليل آخر يأتي بعده، وما من آية ينسخها الله تعالى أو يُزيلها من قلوب الناس إلا ويأتِ بما هو أنفعُ

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٧.
(٢) سورة آل عمران الآية: ٨٥.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٠٦.

لهم أو مثله لأنه أعلم بمصلحة عباده مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾[١].

نعم.. نقل عن بعض اليهود والنصارى مخالفتهم لوقوع النسخ، وقالوا باستحالة وقوعه لأنه يستلزم منه أحد أمرين: العبث والبداء[٢]، كما نسبوا الى نبي الله موسى عليه السلام أنه قال: (لا نسخ في شريعتي)[٣].

ولا يعنينا هنا رأي اليهود والنصارى في وقوع النسخ من عدمه، فليس في كلامهم حجة علينا ولا نفع وثمرة تقتضي الى تفصيله وبيانه، وفي الحقيقة قد يَعجبُ المرءُ من نقل خلافهم في كتب علوم القرآن وأصول الفقه[٤].

ولكن أثار جملة من الباحثين شبهات في مصطلح البداء الذي عناه اليهود عند انكارهم النسخ في الشريعة وربطوه بمفهومه عند الشيعة الإمامية[٥]، وهذا غير صحيح بالتحقيق، إذ ان النسخ ليس كالبداء على معناه الحقيقي، الذي هو عبارة عن

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٠١.
(٢) وملخص رأيهم هو: أولاً: عدم حكمة الناسخ، وهو الله تعالى، إذ إن تشريع الحكم من الحكيم المطلق لابد وأن يكون على طبق مصلحة تقتضيه، لأن الحكم الجزافي ينافي حكمة جاعله، وعلى ذلك فرفع هذا الحكم الثابت لموضوعه، يكون مع بقاء الحال على ما هو عليه من وجه المصلحة، وعلم ناسخه بها، وهذا ينافي حكمة الجاعل مع أنه حكيم مطلق.
ثانياً: جهل الناسخ بوجه الحكمة، وهذا يكون من جهة البداء، فيبدو لله نسخ الحكم، كما هو الغالب في الأحكام والقوانين العرفية، وهو يستلزم الجهل منه تعالى.
وكلا هذين اللازمين مستحيل في حقه تعالى، وعلى ذلك يكون وقوع النسخ في الشريعة محالاً لأنه يستلزم المحال. وهذا فهم قاصر لحكمة النسخ من اليهود كما سيتضح من مبحثنا هذا.
(٣) ظ: السمرقندي علاء الدين (ت:٤٥٠هـ)، ميزان الأصول، ٩٨٤/٢.
(٤) وصدق الشوكاني (ت:١٢٥٥هـ) إذ قال: (وأما الجواز: فلم يحكَ الخلافُ فيه إلا عن اليهود، وليس بنا إلى نصب الخلاف بيننا وبينهم حاجة، ولا هذه بأول مسألة خالفوا فيها أحكام الإسلام، حتى يُذكَرَ خلافُهم في هذه المسألة، ولكن هذه من غرائب أهل الأصول). أرشاد الفحول، ٥٢/٢.
(٥) وكأنموذج ممن وقع عليه اللبس والاشتباه وعدم الاطلاع على مصادر الشيعة الامامية والتكرار لمن سبقه بلا تحقيق الدكتور مصطفى زيد، إذ قال: (كيف استساغ الرافضة أن يربطوا بين النسخ والبداء، ليتّخذوا من جواز النسخ ووقوعه ذريعة الى وصف الله سبحانه وتعالى بالبداء..). النسخ في القرآن، ص٢٢. ومن قبله الزرقاني (ت:١٩٤٨م) إذ قال: (اجتمعت اليهود والرافضة على الضلالة، ضلالة استلزم النسخ للبداء..)، مناهل العرفان في علوم القرآن، ١٥٢/٢، وكذلك الرازي (ت:٦٠٤هـ) إذ قال: (قالت الرافضة: البداء جائز على الله تعالى، وهو أن يعتقد شيئاً ثم يظهر له أن الأمر بخلاف ما اعتقده)، تفسير مفاتيح الغيب، ٥٣/١٩.

نشأة رأي جديد وإنّما هو ظهور للناس بعد خفاء عليهم، لمصلحة في هذا الإخفاء في بدء الأمر.

وقد وردت النصوص التي تؤكد هذا المعنى عن طريق أهل البيت عليهم السلام، قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: (من زعم أن الله عز وجل يبدو له في شئ لم يعلمه أمس فابرؤا منه)(١).

فمفهوم البداء باختصار عند الشيعة الإمامية هو ان الشارع تعالى يشرّع حكماً يكون بظاهره الدوام والاستمرار، حسبما ألفه الناس من دوام الأحكام المطلقة، لكنّه في الواقع كان من الأوّل محدوداً بأمد معلوم لديه تعالى، ولم يظهره للناس إلا بعد انتهاء الأمد المذكور، لمصلحة في ذلك الإخفاء وفي هذا الإظهار المتأخّر.

وبالعموم نرى ان جعل كثير من الباحثين كل من النسخ والبداء في جنب الآخر فيه اشتباه؛ إذ ان النسخ بحث أصولي يفيد المجتهد في مقام استنباط الأحكام الشرعية من القرآن الكريم، ولهذه الجهة يناسب بحثه مع الأبحاث الفقهية.

واما البداء فهو بحث كلامي وليس بينه وبين المباحث الفقهية تناسب، وكذلك بينهما فرق من ناحية المصداق إذ النسخ يكون في الأحكام التشريعية والبداء يكون في الشؤون التكوينية، ولكن مع ذلك يكونان مشتركين في جهة واحدة وهي عدم منافاة النسخ والبداء بالمعنى الذي تقبله الشيعة الإمامية مع علم الله تعالى المسبق.

لهذا اقتضى الأمر بتسليط الضوء أكثر على مفهوم مصطلح البداء عند الشيعة الإمامية في نهاية موضوع بحثنا هذا – ان شاء الله تعالى –.

وبكلمة.. ان مشروعية النسخ عند علماء المسلمين جائز عقلاً وشرعاً، ووجوده في القرآن الكريم لا يتعارض مع قدسية الكتاب العزيز، فالتشريع تشريع الخالق سبحانه، وهو يفعل ما يشاء؛ والامر مرتبط بالتأكيد بمصلحة العباد آنذاك، وان ما

(١) المجلسي، بحار الانوار، ١١١/٤.

وصل الينا هو كمال التشريع الإسلامي والمنسجم مع حاضرنا ومستقبلنا حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

رابعاً: أركان النسخ:

أركان النسخ أربعة؛ هي: النسخ، والناسخ، والمنسوخ، والمنسوخ عنه.

١. **النسخ** هو: رفع الحكم.
٢. **الناسخ** هو: الله ﷻ؛ فهو سبحانه الرافع للحكم، لكن ربما يُسمى الدليل ناسخاً على سبيل المجاز؛ فيقال: هذه الآية ناسخة لتلك، وربما يُسمى الحكم ناسخاً على سبيل المجاز أيضاً؛ فيقال: صوم شهر رمضان ناسخ لصوم عاشوراء(١).
٣. **والمنسوخ** هو: الحكم المرفوع.
٤. **والمنسوخ عنه** هو: المُتعبّد المكلّف.

خامساً: طريق معرفة النسخ:

يُعرف الناسخ والمنسوخ عن طريق:

١- النقل الصريح عن المعصوم عليه السلام، أو عن الصحابي الذي اشتُهر بالتفسير، فقد ذكر السيوطي عن ابن الحّصار (ت:٦٢٠هـ) قال: (إنما يرجع في النسخ على نقل صريح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو عن صحابي يقول آية كذا نسخت كذا)(٢)، ويؤيد هذا قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: **(كنت نهيتكم من زيارة القبور ألا فزوروها)**(٣) وما ورد عن الصحابي يجب أن يفيد سبق أحد النصين المتعارضين على الآخر أو التراخي عنه، كأن يقول: نزلت هذه الآية بعد تلك الآية أو نزلت هذه الآية قبل تلك الآية، أو يقول

(١) عن ابن عمر (ت:٧٤هـ) قال: (صام النبي ص عاشوراء وأمر بصيامه، فلما فرض رمضان ترك). البخاري، صحيح البخاري، ٢٢٦/٢.
(٢) الإتقان في علوم القرآن، ٥٢/٢.
(٣) المجلسي، بحار الانوار، ٢٨٦/٩٦، مسلم، صحيح مسلم،٦٧٢/٢.

هذا عام كذا، وكان معروفاً سبق الآية التي تعارضها أو كان معروفاً تأخرها عنها..[١].

٢- إجماع علماء الأمة على أن هذا ناسخ وهذا منسوخ.
٣- معرفة النص القرآني المتقدم من المتأخر في التاريخ.

وعليه **فليس من طرق النسخ** ما يلي:

١. قول الصحابي: (كان الحكم علينا كذا ثم نسخ)؛ لأنه ربما قاله عن اجتهاد وليس عن نقل[٢].
٢. اجتهاد المجتهد من غير سند؛ لأن اجتهاده ليس حجة.
٣. قول المفسر: (هذا ناسخ وهذا منسوخ) من غير دليل؛ لأن كلامه ليس بدليل ولا حجة.
٤. التعارض الظاهري بين النصوص.
٥. ثبوت أحد النصين المتعارضين بعد الآخر في المصحف؛ لأن ترتيب المصحف ليس على ترتيب النزول.
٦. تأخر إسلام أحد الراويين[٣].

إذاً لا بد في موضوع النسخ من التأكد من دقة النقل فيه، فهناك خلط بين النسخ وغيره كما سنرى فيما يأتي.

سادساً: أنواع النسخ في اصطلاح المتقدمين:

من المهم العناية بمعرفة مصطلحات العلماء المتقدمين، ليكون طالب العلم عارفاً بمقصودهم وحتى لا يقع في محاكمة كلامهم على اصطلاح حادث بعدهم،

(١) ظ: الزرقاني، مناهل العرفان، ٢/٢١٠.
(٢) الآمدي، الأحكام، ٣/٢٢٤.
(٣) وهذا في السُنة بطبيعة الحال.

ومن تلك المصطلحات التي وقع فيها الخطأ في فهم كلامهم هو مصطلح النسخ، إذ انهم يقصدون شيء من لفظ النسخ ويفهم المتأخر انهم يقصدون بذلك مصطلح النسخ.

قال ابن القيم (ت:٧٥١هـ): (مراد عامة السلف بالناسخ والمنسوخ رفع الحكم بجملته تارة وهو اصطلاح المتأخرين، ورفع دلالة العام والمطلق والظاهر وغيرها تارة إما بتخصيص أو تقييد أو حمل مطلق على مقيد وتفسيره وتنبيه فالنسخ عندهم وفي لسانهم هو: بيان المراد بغير ذلك اللفظ بأمر خارج عنه، ومن تأمل كلامهم رأى من ذلك فيه ما لا يحصى، وزال عنه إشكالات أوجبها حمل كلامهم على الاصطلاح الحادث المتأخر)[١].

وقال الشاطبي (ت:٧٩٠هـ): (النسخ عندهم في الإطلاق أعم منه في كلام الأصوليين، فقد يطلقون على تقييد المطلق نسخاً، وعلى بيان المجمل والمبهم نسخاً، كما يطلقون على رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر نسخاً، لأن جميع ذلك مشترك في معنى واحد)[٢].

وهذا ما سنلحظه عبر هذه الأنواع الآتية وهي بمثابة أسباب لأجلها أكثر بعضهم من ذكر المنسوخ، وهي:

النوع الأول: تخصيص العام:

إن التخصيص والنسخ في علوم التفسير أمراً حير العلماء كثيراً وسعوا إلى معرفة الفرق بينهم، إذ ان هذا النوع من أكثر الأنواع التي وقع الشبه بينه وبين النسخ عند المتأخرين أيضاً، وعقدت لذلك مباحث توضح الفرق بينهما.

---

(١) إعلام الموقعين، ٣٥/١.
(٢) الموافقات، ١٠٨/٣.

فالتخصيص: هو إلغاء حكم عن جزء من موضوع العام، واستبداله بحكم آخر؛ أي: يأتي ما يدخل عموم الشيء ثم يأتي ما يخرج بعض ذلك الشيء.

والنسخ: إلغاء حكم شرعي، واستبداله بحكم آخر.

١: **أوجه التشابه** بين النسخ والتخصيص: يتفق التخصيص والنسخ في أمرين:

الأول: الإلغاء.

الثاني: الاستبدال؛ لذا سمي التخصيص بـ: النسخ الجزئي، في مقابل النسخ الكلي.

٢: أوجه الاختلاف بين النسخ والتخصيص:

ومن الفروق التي يذكرها أهل العلم بين النسخ والتخصيص الآتي[١]:

١. ان النسخ لا يكون متقدماً على المنسوخ، ولا مقترناً به، بل يجب أن يتأخر عنه، أما التخصيص فيمكن أن يتقدم على العام، أو يقترن به، أو يتأخر عنه.
٢. النسخ لا يقع إلا بدليل شرعي نقلي؛ ولكن التخصيص يقع بدليل عقلي.
٣. النسخ: تبديل، والتخصيص: تقليل.
٤. أن النسخ رفع الحكم بعد ثبوته، بخلاف التخصيص؛ فإنه بيان المراد باللفظ العام.
٥. في النسخ لا يمكن الجمع بين النص الناسخ والنص المنسوخ؛ لوجود تناقض بين حكمي النصين. أما في التخصيص يمكن الجمع بين النص الخاص والنص العام؛ لعدم وجود تناقض بين حكمي النصين.
٦. أن النسخ يختص بالأحكام ولا يقع في الأخبار المحضة، أما التخصيص فيقع في الأخبار والأحكام.

---

(١) ظ: د. محمد كاظم الفتلاوي، علم النسخ – دراسة في النظرية والتطبيق–، ص٣٥.

٧. ان النسخ يرد على النص العام والنص الخاص، والتخصيص لا يرد إلا على النص العام.
٨. نسخ الكتاب بخبر الواحد غير صحيح، ولكن تخصيصه به صحيح.
٩. النسخ: إلغاء كلي، واستبدال كلي. التخصيص: إلغاء جزئي، واستبدال جزئي.
١٠. أن النسخ لا يقع إلا بالكتاب أو السُنّة،والتخصيص يمكن أن يقع بالعقل والحسّ.

ومن امثلة التخصيص في القرآن:

١: خبر ابن عباس، قال: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا**﴾(١)، ثم نسخ واستثني من ذلك: ﴿**لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ**﴾(٢)، فالآية الأولى فيها نهي عن دخول جميع البيوت قبل الاستئذان، ثم خص من النهي ما كان منها غير مسكون، يدخله الإنسان لتحصيل حاجاته دون استئذان، فسمى ابن عباس التخصيص نسخاً مع استمرار العمل بالنص الثاني.

٢. تخصيص آية لأخرى؛ فهي كقوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً**﴾(٣)، فحُكْم الجَلْد هنا يعمُّ جميعَ القاذفين الذين لم يأتوا بأربعة شهداء، لكن خرَج من هذا العموم الأزواجُ، بقوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ**﴾(٤).

---

(١) سورة النور، الآية: ٢٧.
(٢) سورة النور، الآية: ٢٩.
(٣) سورة النور، الآية: ٤.
(٤) سورة النور، الآية: ٦.

النوع الثاني: تقييد المطلق

أي: يأتي نص يأخذ شيئاً أو شخصاً غير محدد، ثم يأتي في موضع آخر ما يحدِّده.

مثاله: قول قتادة (ت:١١٨هـ) وغيره من المتقدمين في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَّ حَقَّ تُقَاتِهِ**﴾(١)، قالوا: نسخت بقوله تعالى: ﴿**فَاتَّقُوا اللهَّ مَا اسْتَطَعْتُمْ**﴾(٢)، فالآية الأولى فيها أمر بالتقوى مطلقاً، ثم قيِّدت بالاستطاعة في الثانية، فسموا تقييد المطلق نسخاً، مع أن العمل بالآية الأولى محكم لم يترك، إنما بيّن وجهه بالآية الثانية.

النوع الثالث: اعتبار ما ظاهره التعارض نسخاً:

التعارض في القرآن أن تتقابل آيتان، بحيث يمنع مدلول إحداهما مدلول الأخرى، مثل أن تكون إحداهما مثبتة لشيء والأخرى نافية له ولا يمكن أن يقع التعارض بين آيتين مدلولهما خبري، لأنه يلزم كون إحداهما كذباً، وهو مستحيل في أخبار الله تعالى.

فمن أمثلة ذلك ما نلحظه في:

١. قوله تعالى في القرآن: ﴿**الم ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ**﴾(٣)، وقوله فيه: ﴿**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّاسِ**﴾(٤)، فجعل هداية القرآن في الآية الأولى خاصة بالمتقين، وفي الثانية عامة للناس، والجمع بينهما أن الهداية في الأولى هداية التوفيق والانتفاع، والهداية في الثانية هداية التبيين والإرشاد.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.
(٢) سورة التغابن، الآية: ١٦.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢.
(٤) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.

٢. قوله تعالى لبني إسرائيل: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[١] لا يعارض قوله تعالى في تفضيل الأمة الإسلامية: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[٢]، لأن المراد بالعالمين عالموا زمانهم بدليل الآيات والأحاديث المصرحة بأن هذه الأمة أفضل منهم.

وعليه نلحظ ان لا تعارض في النصوص القرآنية؛ وعند عدم وجود التعارض ليس هناك ما يستدعي الى القول بالنسخ[٣].

النوع الرابع: تبيين المجمل وتفسيره.

مثاله: كما وقع عند قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾[٤]، لَمَّا نزلت على رسول الله ﷺ: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٥]، قال الراوي: فاشتدَّ ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، ثم بركوا على الركب، فقالوا: أي رسول الله، كُلِّفنا من الأعمال ما نُطِيق، الصلاة، والصيام، والجهاد، والصدقة، وقد أُنزِلت عليك هذه الآية ولا نُطِيقها، قال رسول الله ﷺ: (أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا؟ بل قولوا: سمعنا وأطعنا، غفرانك ربنا وإليك المصير)، قالوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير، فلما اقترأها القوم ذلَّت بها ألسنتهم، فأنزل الله في إثرها: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.
(٣) هناك مثال آخر عند بعض الباحثين يتعلق بآية تغيير القبلة من بيت المقدس الى المسجد الحرام، آثرنا ذكره في ان يكون شاهدنا في موضوع: (ما يتم النسخ ببدل او من دون بدل). وفي كل الأحوال يبقى اثبات ان الآية: ١٤٤ من سورة البقرة ناسخة لآية: ١١٥ من ذات السورة محل خلاف عند العلماء.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٨٤.
(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٨٤.

﴿أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾[1]، فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى، فأنزل الله عز وجل: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾[2]، قال: نعم، ﴿لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾، قال: نعم، ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾، قال: نعم، ﴿وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾، قال: نعم.

فهذا الذي نزل من القرآن من بعد من وعد الله تعالى لعباده المؤمنين بالمغفرة غيرُ منافٍ للمحاسبة لهم عما أسرُّوا؛ لأن المحاسبة لا تعني العذاب، كما قال الله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا، وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾[3].

وأما إضمار الكفر والنفاق وبغض المؤمنين وموالاة الكافرين، فتلك من أعمال القلوب التي يحاسب عليها صاحبها ويؤاخذ عليها، فهنا جاءت الآية الأولى مجملة، لكنها متصلة بما فسّرها، فلا نسخ فيها، كما أن هذه الآية محكمة، وتحمل خبراً عقديّاً، ومن المعلوم امتناع النسخ في الأخبار العقدية كما تقدم ذكره من شروط النسخ.

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٥.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.
(٣) سورة الانشقاق، الآية: ٨-٩.

النوع الخامس: إطلاقهم النسخ على تبيين المبهم:

مثاله: ما جاء عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾(١)، أنه منسوخ بقوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾(٢).

وإنما ذلك بيانٌ لمبهم في قوله تعالى: (لِلَّهِ وَالرَّسُولِ)(٣).

النوع السادس: ترك العمل بالنص مؤقتاً لتغير الظرف (المنسأ).

والمراد به الإزالة الوقتية؛ أي: ترك العمل بالنص الأول مؤقتاً، والعمل بالنص الثاني، لا نسخاً، ولكن مؤقتاً، فهذه الصورة ليست معارضة بين نصين نفى المتأخرُ منهما المتقدِّمَ.

مثاله: جميع الآيات الآمرة بالعفو أو الصفح أو الإعراض عن المشركين والكفار، مع الآيات الآمرة بقتالهم أو بأخذ الجزية منهم، فقد ذكر بعض المتقدمين أن القتال أو أخذ الجزية قد نسخ الحكم الأول، وهذا عبّرت عنه طائفة بقولهم: منسوخ بآية السيف.

قال ولي الله الدهلوي (ت:١١٨٠هـ): (بلغ عدد الآيات المنسوخة بآيات السيف قرابة الخمسمائة، ولو تأملت لوجدتها غير محصورة، والمنسوخ باصطلاح المتأخرين عدد قليل)(٤).

---

(١) سورة الانفال، الآية: ١.
(٢) سورة الانفال، الآية: ٤١.
(٣) سورة الانفال، الآية: ١.
(٤) الفوز الكبير في أصول التفسير، ص٥٣- ٥٤.

ولكن بالنظر والتدقيق تجد ان اختلاف العلماء والمفسرون في توجيه آية السيف كان بسبب (الإتجاه العقدي والفكري لهم، لأن المباني الفكرية لها أثرها الواضح في توجيه المعنى، وخاصة فيما يتعلّق بفريضة الجهاد)[١].

كما أن جميع ذلك ليس من باب النسخ في شيء؛ إذ شروط النسخ منتفية فيه، والعمل بالنصين جميعاً حاصل؛ لأن كل أمر ورد يجبُ امتثاله في وقتٍ ما؛ لعلة (ظروف) توجب ذلك الحكم، ثم ينتقل بانتقال تلك العلة إلى حكم آخر، وهذا ليس بنسخ؛ لأن النسخ يقتضي الإزالة، والإزالة تقتضي عدم جواز امتثال النص الثاني أبداً.

فالخلاصة إذن أننا يمكن ان نلتمس **الفرق بين النسخ والنسء من جهتين:**

١. أن النسخ رفع وإسقاط للحكم بالكلية، أما النسء فهو إزالة مؤقتة للعمل بأحد النصين حين لا يوجد سببه.
٢. أن المنسوخ غير معمول به بعد نسخه أبداً، أما المُنْسأ فمعمول به، عند وجود سببه.

النوع السابع: نقل حكم الإباحة الأصلية.

والمراد به عندهم أن الشيء تكون الإباحةُ أصليةً فيه، ثم يأتي نصٌّ يُغيِّر الحكم فيه؛ لأنهم يعتبرون سكوت الشارع أولاً في إباحته حكماً مستفاداً من ذلك السكوت؛ لذلك من المتقدمين من اعتبر تغيُّر تلك الإباحة إلى حكم جديد بنص إنما هو نسخ.

مثاله: كان المسلمون في أول تكليفهم في الصلاة يكلّم بعضهم بعضاً؛ قال عبد الله بن مسعود (ت:٣٢هـ): (كنا نتكلم في الصلاة ونرد السلام ويسأل الرجل صاحبه عن حاجته)[١].

(١) د. عادل عباس النصراوي، إشكالية البعد التأريخي للقرآن، ص١٥٩.

الى أن نزل قوله تعالى: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾[٢]، ولم يعن به كل السكوت وانما عني به ما ورد عنه ﷺ: (إن هذه الصلاة لا يحل فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن...)[٣]

ثم كانوا يلتفتون في الصلاة فنزل قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾[٤]. قال ابن العربي (ت:٥٤٣هـ) في خصوص هاتين الآيتين: (القنوت هو ترك الكلام، والخشوع هو ترك التلفت بقلبه أو بجوارحه)[٥].

وهذا يعني أنهم كانوا يفعلون تلك الأمور (الكلام والتلفّت) في الصلاة بحكم الأصل من الإباحة، فلم تنسخ الآية شيئاً ولكنها بينت أصلاً.

ومن ذلك فإن تحريم ماهو مباح بحكم الأصل ليس بنسخ عند الأصوليين وعلماء علوم القرآن، كالخمر[٦] والربا، فإن تحريمهما بعدما كانا على حكم الأصل لا يعد نسخاً لحكم الإباحة الاصلية.

وعليه يظهر لنا أن النسخ عند المتقدمين هو بيان المراد بغير ذلك اللفظ، بل بأمر خارج عنه، ومن ثم لا يمكن حمل كلامهم عن النسخ بذات الفهم للمصطلح عند المتأخرين، فلا وجه للاستدلال بكلام المتقدمين عند المتأخرين.

---

(١) ابن عطية الاندلسي، تفسير المحرر الوجيز، ٣٢٣/١، وعن زيد بن أرقم قال: (كنا نتكلم في الصلاة يكلم أحدنا أخاه في حاجته حتى نزلت هذه الآية..). البخاري، صحيح البخاري، ١٦٢/٥.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٣٨.
(٣) أبو داود، سنن ابي داوود، ٢١١/١.
(٤) سورة المؤمنون، الآية: ٢.
(٥) الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، ص١٧٥. تحقيق: د. عبد الكبير العلوي المدغري، مكتبة الثقافة الدينية، ١٩٩٢م.
(٦) نعم ذكرنا الخمر ها هنا كمثال مع وجود الإشارة الى انه كان محرماً في الأصل في كل الشرائع السماوية، وان لا صحة لقضية التدرج في تحريمة. ظ: العلامة الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ١٥٨/٤.

سابعاً: فوائد معرفة النسخ في القرآن الكريم:

لمعرفة علم النسخ في القرآن الكريم فوائد عديدة نجمل القول في أهمها:

١. الاستعانة به في تفسير القرآن الكريم.
٢. معرفة تاريخ التشريع، وتدرج الحكم وتطور التشريع ووصوله إلى مرحلة الكمال: يعلم الله بما يتحمله الناس في كل مرحلة من مراحل حياتهم فكان ينزل من الآيات ما يتناسب مع نفوسهم وحياتهم.
٣. إفادة الداعية في دعواه إلى الله، ومراعاة أحوال الناس؛ لأن النسخ راعى فيه الشارع مراحل الدعوة الإسلامية.
٤. في النسخ إظهار نعمة الله ﷻ برفعه تكليفاً أضيق إلى ما هو أخف.
٥. ضبط الفتوى؛ عن ابن عباس أنه قال في قوله: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[١]، قال: (ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، ومقدّمه ومؤخره، وحرامه وحلاله)[٢].
٦. بيان حكمة الشرع في مراعاة مصالح العباد بحسب الظروف والأحوال؛ كوصفات طبيب حاذق تختلف حسب أحوال المريض، فحينما ينسخ الحكم الذي لا يصلح استمرار العمل به ويُستبدل بحكم آخر صالح يُحقق مصلحة أبناء المجتمع الإسلامي فهذا برهان قاطع على أن الله سبحانه وتعالى يريد الخير للناس وما ينفعهم في هذه الحياة.
٧. ابتلاء المكلف واختباره بالامتثال لأمر الله أو عدمه، فالمؤمن يقول سمعاً وطاعة لما جاء من عند الله سواء كان النسخ من الخفيف إلى الثقيل أو العكس ولا يجادل بل يلتزم ويعمل بالحكم الأخير وبذلك يكون له الأجر على الطاعة بعكس الإنسان غير مؤمن فقد يجادل ويقع في الضلال.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦٩.
(٢) الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ٣٤٨/٢، السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ١٩٧/٤.

ثامناً: أنواع النسخ في القرآن الكريم:

قسم علماء القرآن الكريم النسخ في القرآن الكريم على ثلاثة أنواع؛ وهي كالآتي:

النوع الأول: نسخ الحكم والنص (التلاوة):

بمعنى نسخ لفظ الآية والحكم الذي تدل عليه؛ ودليلهم ما ورد عن عائشة أنها قالت: (كان فيما أُنزلَ من القرآن عشرُ رضعاتٍ معلوماتٍ يُحرِّمْنَ، ثم نُسِخْنَ بخمسِ معلوماتٍ، وتُوفّي رسول الله ﷺ وهن فيما يقرأ من القرآن)[١]. فجملة: (عشرُ رضعاتٍ معلوماتٍ يُحرِّمْنَ) كانت من القرآن ثم نسخت تلاوتها وحكمها.

ونرى ان هذا النوع وتبنيّه يحتاج الى كثير تأمل لما فيه من المحذورات التي تشير الى وقوع التحريف في الكتاب العزيز، فما نُقل إنما هو خبر الواحد، في آية مزعومة لا علم لأحدٍ بها، ثم اثبات نسخها بذلك الخبر أيضاً[٢].

النوع الثاني: نسخ التلاوة وبقاء الحكم:

وهذا النوع يعني أن لفظ الآية ينسخ ويُحذف من القرآن الكريم؛ ويبقى العمل بحكمها كما كان سابقاً، واستدلوا على ذلك بما روي عن عمر بن الخطاب وأبي بن كعب أنهما قالا: (كان فيما أنزل من القرآن الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البته نكالاً من الله والله عزيز حكيم)[٣]. فقد نسخت هذه الآية وبقي حكم الرجم على المحصن الزاني معمولاً به[٤].

---

(١) مسلم، صحيح مسلم، ١٠٧٥/٢.
(٢) ويجيب الدكتور فهد الرومي على هذا الاشكال بقوله: (أن التواتر شرط لإثبات لفظ قرآني، أما النسخ فيكفي لإثباته خبر الآحاد، والمقام هنا مقام إثبات نسخ آية لا إثباتها)، دراسات في علوم القرآن، ص٤١٣، ونلحظه هنا يقر بالناسخ ولا يقر بالمنسوخ! كما ان الخبر أعلاه متضمن اثبات آية فهل نثبت نسخ آية من غير وجود الآية المنسوخة!! فهذا مخالف لما اتفق عليه العلماء من شروط النسخ ومن توافر أركانه.
(٣) احمد بن حنبل، مسند احمد، ١٣٢/٥.
(٤) ظ: الزرقاني، مناهل العرفان، ٢٣٥/٢.

وهنا **سؤال**، وهو أن يقال: ما الحكمة في رفع التلاوة مع بقاء الحكم؟ وهلا أبقيت التلاوة ليجتمع العمل بحكمها وثواب تلاوتها؟

وتبنّى ابن الجوزي (ت:٥٩٧هـ) جواباً على هذا السؤال وهو: (إنما كان كذلك ليظهر به مقدار طاعة هذه الأمة في المسارعة إلى بذل النفوس بطريق الظن من غير استفصال لطلب طريق مقطوع به، فيسرعون بأيسر شئ، كما سارع الخليل إلى ذبح ولده بمنام، والمنام أدنى طرق الوحي)[١].

والحقيقة ان ما ذكره ابن الجوزي، لا يصح أن يكون سنداً، إباحة هذا النوع من النسخ؛ لأن القول به، هو القول بالتحريف، حيث أن الأمثلة التي ذُكرت دليلاً على تحقيقه، تكون دليلاً على سقوط كثير من الآيات الكريمة[٢]، وذلك مخالف لما صرّح به الذكر الحكيم من الحفظ، كما في قوله تعالى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾[٣].

وهذا النوع من النسخ غير جائز، ولم يقع في القرآن الكريم، وما نُقل في هذا المجال لا يتجاوز المثال الواحد أو المثالين، وكذلك بسبب:

أوّلاً: أنّ ما ذُكر من الروايات من أخبار الآحاد، وهذا لا يصح على القرآن الذي ثبوته بالتواتر، وعليه يجب ان يكون نسخه بالتواتر أيضاً.

ثانياً: أنّ القرآن معجز بلفظه ومعناه، متّحد بفصاحته، وسمو معاني بلاغته، وروعة نظمه وتأليفه وابداع أُسلوبه. وما ذُكر أعلاه لا يصل مقامها الى مقام آيات الكتاب العزيز!

---

(١) كشف المشكل من حديث الصحيحين، ٦٥/١.
(٢) للتوسعة في الأمثلة التي ذكرت هذا النوع من النسخ ومناقشتها ظ: مقدمة المحقق: د. موسى بناي العليلي لكتاب: هبة الله بن سلامة بن نصر بن علي البغدادي (ت:٤١٠هـ)، الناسخ والمنسوخ، ص٢٧ – ٣٨.
(٣) سورة الحجر، الآية: ٩.

النوع الثالث: نسخ الحكم وبقاء النص (التلاوة):

وهذا النوع يعني بقاء لفظ الآية في المصحف الشريف ويعتبر من ضمن ما يتلى من القرآن الكريم أما الذي تتضمنه هذه الآية فقد رفع العمل به لنزول نص آخر نسخ العمل بالأول.

وهذا النوع هو النوع الوحيد من النسخ الذي وقع في القرآن، وكل ما بحثه العلماء الذين كتبوا حول الناسخ والمنسوخ وآيات الكتاب، كان كله يصب في هذا المجال؛ ومن أمثلته:

١. في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ يَغْلِبُواْ أَلْفاً مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ**﴾[١]؛ قال المفسرون: لفظ هذا الكلام لفظ الخبر، ومعناه الأمر والمراد: يقاتلوا مائتين، وكان هذا فرضاً في أول الأمر ثم تم نسخها بقوله تعالى: ﴿**الْآنَ خَفَّفَ اللهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ**﴾[٢].

أن الآية الأولى أفادت وجوب ثبات الواحد للعشرة، وأن الآية الثانية أفادت وجوب ثبات الواحد للاثنين، وهما حكمان متعارضان، فتكون الثانية ناسخة للأولى[٣].

وان الأمر في الآية الأولى للوجوب أصلاً، ولا صارف له هنا عن حقيقته، وان الآية الثانية بدأت بقوله عز وجل ﴿**الْآنَ خَفَّفَ اللهُ عَنْكُمْ**﴾ وهذا يشعر بان الحكم قد

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٦٥.
(٢) سورة الأنفال، الآية: ٦٦.
(٣) ظ: ابن الجوزي، نواسخ القرآن، ص١٦٨.

تغير، إذ لا معنى للتخفيف برفع ندب شيء كان مندوباً، لأنه بطبيعة كونه ليس ملزماً، فلا يحتاج الى التخفيف ما داموا لا يؤاخذون على تركه[١].

وعليه أن يثبت المسلم لرجلين فإن زاد جاز له الفرار ولا يُعد حينها فاراً من الزحف مع هذا بقاء تلاوة الآية المنسوخة.

٢. في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً﴾[٢] نسخت بالآية التالية لها وهي قوله تعالى: ﴿أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[٣].

فالآية الأولى المنسوخة تضمنت وجوب تقديم الصدقة عند مناجاته ﷺ والانفراد معه في الحديث، ونسخ هذا الحكم بالنص الثاني الذي جاء فيه التخفيف عن الأمة في هذا الجانب.

تاسعاً: حكمة رفع الحكم وبقاء تلاوتة؟!

والجواب من وجوه منها:

---

(١) ويرى جماعة من الأصوليين والمفسرين والباحثين، ان الآية جملة خبرية، والأخبار لا يقع فيها النسخ، وان الآية الثانية ليست ناسخة وانما هي رخصة (تخفيف)؛ إذ لم ترفع الحكم الأول ما كان تخفيفاً بلا إزالة للحكم الأول فلا يعد نسخاً، ويقول الأستاذ الخضرى معلقا على القول بنسخ الآية المذكورة: (وربما يقال ان الرخص مع العزائم كذلك، ولم يقل أحد ان الرخصة تنسخ العزيمة، فآية التيمم لم تنسخ آية الوضوء. مع ان آية الوضوء توجبه على كل حال، وآية التيمم توجب رفع الاول وإيجاب شيء آخر، فكذلك هنا). أصول الفقه، ص٢٨١. وذهب آخرون إلى أن الأخبار تنقسم على قسمين: أخبار آتية، وأخبار ماضية، فالأخبار الماضية لا يقع فيها النسخ، والأخبار الآتية قد يقع فيها النسخ. ونرى: يبقى الأمر محل خلاف عندهم ما لم يحسمه كلام صريح لمعصوم عليه السلام.
(٢) سورة المجادلة، الآية: ١٢.
(٣) سورة المجادلة، الآية: ١٣.

أولاً: ان الآية القرآنية يُتعبد بها من خلال العمل بها ومن حيث تلاوتها، فإذا رفع حكم العمل بها فهذا لا يمنع أجر وثواب تلاوتها لكونها كلام الله ﷻ، فتركت التلاوة لهذه الحكمة.

ثانياً: من خلال بقاء النسخ نتعرف على مراحل التشريع الإسلامي والاحداث التأريخية، فالنص القرآني نص تأريخي ثابت ننتفع منه في بيان مراحل اجتازها الزمن لتكون عبرة للحاضر والآتي.

ثالثاً: أن النَّسخ غالباً يكون للتخفيف عن المسلمين، فأبقيت التلاوة تذكيراً بفضل الله تعالى ونعمه على المسلمين من رفع الجهد والمشقة.

رابعاً: يبقى التحدي والاعجاز في النص المنسوخ، فمعجزة القرآن الكريم في كل آياته خالدة يتحدى بها عبر العصور.

عاشراً: أقسام النسخ في القرآن:

فصل العلماء القول في أقسام النسخ وعدوها أربعة أقسام:

الأول: نسخ القرآن بالقرآن.

الثاني: نسخ القرآن بالسنة: وهو نوعان:

١. نسخ القرآن بالسنة الآحادية.
٢. نسخ القرآن بالسنة المتواترة.

الثالث: نسخ السنة بالقرآن.

الرابع: نسخ السنة بالسنة؛ وفيه أربعة أنواع:

١. نسخ المتواتر بالمتواتر.

٢. نسخ الآحاد بالآحاد.
٣. نسخ الآحاد بالمتواتر.
٤. نسخ المتواتر بالآحاد.

وبما ان تتبع كل هذه الأقسام من النسخ والتفصيل فيها يخرجنا في كثير من مضامينه عن بحثنا القرآني، نختصر القول على النوع الثالث من أنواع النسخ وهو **نسخ الحكم وبقاء النص (التلاوة)**، ونلحظ فيه ثلاثة أقسام من النسخ؛ هي:

١. نسخ القرآن بالقرآن.
٢. نسخ القرآن بالخبر المتواتر.
٣. ونسخ القرآن بخبر الآحاد.

القسم الأول: (نسخ القرآن بالقرآن) لا اشكال فيه؛ وهو يجوز عقلاً وواقع شرعاً[١].

أما القسم الثاني: (نسخ القرآن بالخبر المتواتر) اختلف العلماء في هذه المسألة على آراء:

الرأي الأول: علماء مانعين اطلاقاً من نسخ القرآن بالسنة المتواترة[٢].

يبدو من بعض المانعين انهم يرون بالعموم ان العقل والشرع لا يمنعان نسخ القرآن بالسنة، ولكنهم يرون ان النص القرآني: ﴿**مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ**

(١) إلا ان أبي مسلم الاصفهاني المعتزلي (ت:٣٢٢هـ) يرى بجواز النسخ عقلاً ويمنع وقوعه شرعاً، محتجاً بقوله تعالى: ﴿**لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**﴾، سورة فصلت، الآية: ٤٢، والرد عليه بأن معنى الآية الكريمة: ان القرآن لم يتقدمه ما يبطله من الكتب ولا يأتي بعده ما يبطله. وهناك غيره من العلماء والباحثين الذين يرون بعدم وجود النسخ في القرآن الكريم – كما سياتي بيانه في (موقف علماء المسلمين من عدد آيات النسخ) من مبحثنا هذا –.
(٢) ومنهم الشافعي (ت:٢٠٤هـ)، ظ: كتاب الرسالة، ص١٣٧، وبهذا صرح أحمد بن حنبل، في إحدى الروايتين عنه. وأكثر أهل الظاهر قد قطعوا بامتناع نسخ القرآن بالسنة المتواترة. ظ: الآمدي، الاحكام في أصول الاحكام، ١٣٩/٣. ومن الشيعة الامامية الشيخ المفيد (ت:٤١٣هـ)، التذكرة بأصول الفقه، ص٤٣. وكذلك أبو الفتح الكراجكي (ت:٤٤٩هـ)، ظ: كنز الفوائد، ص١٩٣.

﴿مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾[١] ذكر ان نسخ الآية يكون بآية قرآنية أخرى لا بالسُنة[٢]، وان (السُنة ليست خيراً من القرآن ولا مثله)[٣].

الرأي الثاني: علماء اجازوا نسخ القرآن بالسنة المتواترة.

والذين اجازوا النسخ بالسنة المتواترة اختلفوا بين قائل بالوقوع فعلاً وآخر قائل بجوازه نظرياً مع نفي وقوعه عملياً.

وكان دليل الذين قالوا بجواز نسخ القرآن بالسنة المتواترة بالعموم؛ أنه لا إشكال فيه عقلاً ولا نقلاً[٤]؛ فالكل وحي من الله تعالى، وإن كان للقرآن خصائص، وللسنة خصائص، لكنهما من مشكاة واحدة؛ كما قال تعالى: ﴿**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى**﴾[٥]، وصح عن النبي ﷺ أنه قال: (ألا إني أوتيتُ القرآنَ ومثلَه معه)[٦].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٠٦.
(٢) ظ: الامدي، الاحكام، ١٥٧/٣. وممن يرى ان الآية تنسخ بآية أخرى الشيخ المفيد (ت:٤١٣هـ) إذ قال: (أن السمع ورد بأن الله تعالى لا ينسخ كلامه بغير كلامه)، التذكرة بأصول الفقه، ص٤٣. كما ويفهم ان منع بعض العلماء من نسخ القرآن بالسنة انهم كانوا يرمون الى تعظيم القرآن المجيد؛ هذا ما وجه به الدكتور صبحي الصالح منع الشافعي نسخ القرآن بالسنة. ظ: مباحث في علوم القرآن، ص٢٦١.
(٣) د. فهد بن عبد الرحمن الرومي، دراسات في علوم القرآن، ص٤١١.
تعقيب على مقولة: (السنة ليست خيراً من القرآن ولا مثله)؛ الحقيقة ان خيرية القرآن الكريم في الفضل والمقام والدلالة، مساوية لما صح من سُنة المعصوم عليه السلام، فكما نحن مأمورون بوجوب العمل بالاحكام الشرعية الواردة في النص القرآني ومعرفة شؤون الدين منه مأمورون أيضاً بوجوب العمل بالاحكام الشرعية الواردة في سُنة المعصوم عليه السلام ومعرفة شؤون الدين منها؛ قال تعالى: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾ سورة الحشر، الآية: ٧. قال النبي ﷺ: (أني تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبرَ من الآخر كتابَ الله حبل ممدود من المساء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي وانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض). احمد بن حنبل، مسند احمد، ١٤/٣. مما استدل بهذا الحديث الشريف على حجية سنة المعصوم عليه السلام من أئمة أهل البيت عليهم السلام.
(٤) ظ: الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ٣٩٨/١، الخوئي، البيان في تفسير القرآن، ص٣٠٥، وممن اجازه من مدرسة الصحابة: مالك وأبو حنيفة واحمد في رواية. ظ: مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، ص٢٤٣
(٥) سورة النجم، الآية: ٣ – ٤.
(٦) احمد بن حنبل، مسند احمد، ١٣١/٤.

ويكلمة.. ان المتتبع للآيات القرآنية التي وقع عليها النسخ لا يجد ان ناسخها من السنة الشريفة وانما كل من قال بوقوع النسخ في القرآن كان شاهده من القسم الأول وهو نسخ القرآن بالقرآن.

وعليه ان هذا القسم من نسخ القرآن بالسنة المتواترة يبدو جائزاً عقلاً ولم يقع في القرآن.

قال الشيخ الطوسي (ت:٤٦٠هـ): (أن هذا – نسخ القرآن بالسنة المتواترة – وإن كان جائزاً، فعندنا انه لم يقع، لأنه لا شئ من ظواهر القرآن يمكن ان يدعى انه منسوخ بالسنة اجماعاً، ولا بدليل يوجب العلم)[١].

اما **القسم الثالث:** أي نسخ القرآن بخبر الواحد فهو غير ممكن لأن من شروط الدليل الناسخ ان يكون بمستوى قوة الدليل المنسوخ[٢]، والقرآن الكريم متواتر يفيد اليقين، والآحادي مظنون، ولا يصح رفع اليقين بالمظنون[٣]، ومن ثم فالمتواتر لا ينسخه إلا متواتر.

إحدى عشر: أنواع النسخ من حيث البدل وعدمه:

هناك قسمان رئيسان للنسخ من هذا الجانب، هما نسخ ببدل ونسخ بدون بدل:

١. **النسخ ببدل:** أي أنه يؤتى بحكم جديد بدل الحكم المنسوخ، ومعظم النسخ من هذا القسم. والمثال الذي اتفق عليه جُل العلماء والباحثين، هو تحويل القبلة من

---

(١) التبيان في تفسير القرآن، ٣٩٨/١؛ ظ: الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ٣٤٢/١.
(٢) ظ: المصدر نفسه؛ الشاطبي، الموافقات، ١٠٦/٣.
(٣) نعم ذهب البعض من مدرسة الصحابة الى جواز نسخ القرآن بالسنة الآحادية، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾. سورة البقرة، الآية: ١٨٠. فيرون ان هذه الآية منسوخة بحديث: (لا وصية لوارث)، وهو على الصحيح حديث آحاد. ظ: ابن رشد، بداية المجتهد، ٣٢٨/٢. والواقع ان الآية منسوخة بآية المواريث، والحديث هكذا: (ان الله أعطى كل ذي حق حقه ولا وصية لوارث). مسند احمد: ١٨٦/٤، فيشير أول الحديث الى آية المواريث.

بيت المقدس الى الكعبة الشريفة، قال الله ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ إِنَّ اللّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾(١).

انها نسخت بقوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ، فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾(٢).

قال ابن عباس (ت:٦٨هـ): (كان أوّل ما نسخ من القرآن القبلة)(٣)، وبهذا يرى جملة من العلماء والباحثين ان أول ما نُسخ من القرآن من سورة البقرة القبلة كانت نحو بيت المقدس تحولت نحو الكعبة(٤).

مما نلحظه ان هذه الآية ليست ناسخة لآية أخرى، بل هي مما يصدق عليه القول انها ناسخة للسُنة، فلم يثبت ان التوجه بالصلاة الى بيت المقدس كان بنص قرآني وانما بسُنة النبي ﷺ، إذن فهي نسخ السُنة بالقرآن(٥).

مثالنا الآخر: هو في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾(٦)، أَكْثَرُ الْعُلَمَاءِ على أَنَّ هذه الآية نَاسِخَةٌ لقوله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾(١)

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧٥.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٤٤.
(٣) الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن، ١/٧٠٠.
(٤) ظ: ومنهم: قتادة (ت:١١٨هـ) والزهري (ت:١٢٤هـ)، الناسخ والمنسوخ، ص١٣، وابن البارزي (ت:٧٣٩هـ)، ناسخ القرآن العزيز ومنسوخه، ص٢٢. وغيرهم..
(٥) كما ويُرى أنه لا تعارض بين الآيتين، فالأصل التوجه للمسجد الحرام، ولكن في حال عدم العلم باتجاه القبلة كان له التوجه لغيرها، وبهذه الآية استدلت الروايات على (صحة الصلاة الى غير القبلة لسهو أو اضطرار، وعلى صحة الصلاة على ظهر الراحلة). ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ١/٢٥٠. وفي فتوى سماحة السيد السيستاني في التحري عن القبلة؛ قال: (يبذل جهده في تحصيل المعرفة بها، ويعمل على ما يحصل له من الظن، ومع تعذره يكتفي بالصلاة إلى أي جهة يحتمل وجود القبلة فيها، والأحوط استحبابا أن يصلي إلى أربع جهات مع سعة الوقت، وإلا صلى بقدر ما وسع وإذا علم عدمها في بعض الجهات اجتزأ بالصلاة إلى المحتملات الأخر)، منهاج الصالحين، ١/١٧٢.
(٦) سورة البقرة، الآية: ٢٣٤.

وذلك أن المتوفى عنها زوجها كانت تجلس في بيت المتوفى عنها عاماً، وينفق عليها من ماله ما لم تخرج من المنزل، فإن خرجت لم يكن على الورثة جناح في قطع النفقة عنها، ثم نسخ الحول بالأربعة الأشهر والعشر، ونسخت النفقة بالربع والثمن في سورة "النساء"[٢].

ملحوظة: ان الآية الناسخة رقمها (٢٤٠) والآية التي وقع عليها النسخ رقمها (٢٣٤) أي ان الناسخ ها هنا متقدم على المنسوخ!

نعم.. كون الآية المنسوخة متأخرة عن الآية الناسخة في المصحف؛ لا يعني أنّها نزلت بعدها، فإنّ ترتيب الآيات في المصحف ليس موافقاً لترتيب النزول.

٢. **النسخ بدون بدل:** فيُنسخ الحكم ولا بدل له، مثاله آية النجوى[٣]، إذ نلحظ أن الحكم نُسخ ولا بدل له[٤].

أثنا عشر: موقف علماء المسلمين من عدد آيات النسخ:

انقسم علماء المسلمين في النسخ على ثلاث اتجاهات:

الاتجاه الأول: الافراط فيه: إذ أفرط كثير من العلماء والباحثين في عدد الآيات المنسوخة، إذ بلغ عددها (٢٤٦ آية) عند ابن خزيمة (ت:٣١١هـ)[٥]، ومنهم من كان كان يطلق كلمة النسخ على مجرد مخالفة آية لأخرى في ظاهرها، فجعلوا من كل تعارض بين آيتين بسبب التخصيص أو التقييد نسخاً – كما تقدم بيانه في أنواع

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٤٠.
(٢) ﴿وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ﴾. سورة النساء، الآية: ١٢.
(٣) سورة المجادلة، الآية: ١٣.
(٤) وبعض الباحثين قسم البدل في النسخ الى: ١. النسخ الى غير بدل، ٢. النسخ الى بدل أخف، ٣. النسخ الى بدل مماثل، ٤. النسخ الى بدل أثقل. ومثلوا لكل قسم بمثال، إلا اننا نكتفي بما ثبتناه بالمتن بالقسمين الرئيسيين من النسخ ببدل ومن عدمه.
(٥) ظ: الناسخ والمنسوخ، ص٢٨١.

النسخ في اصطلاح المتقدمين –، بل الأغرب من ذلك أن بعضهم يرى أن بعض الآيات ينسخ صدرها بآخرها، كما في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾[١]، إذ قالوا: إن آخر الآية يدعوا الى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو بذلك ناسخ لأولها[٢].

كما زعم بعض السلف أن آيات الإذن في القتال نسخت جميع آيات الصبر والعفو والإعراض والصفح[٣].

الاتجاه الثاني: المنكرون لوجود النسخ: وقد أفرط أصحاب هذا الاتجاه في أنكار وقوع النسخ في القرآن الكريم، وأوّل من ذهب إلى هذا الرأي أبو مسلم الأصفهاني (ت:٣٢٢هـ)[٤]، وأصبح سبباً لإنكار الآخرين له، وهو من علماء القرن الرابع.

ويبدو ان سبب انكاره للنسخ ان في هذا القرن علَتْ أصوات تحريف القرآن، وجرى التشكيك في أكثر المصادر الإسلامية اعتباراً، فقد جهر أبو مسلم – السياسي البارز – بمعارضته لهذه التُّهَم، وأنكر النسخ بصراحةٍ؛ دفاعاً عن القرآن.

ومن المنكرين للنسخ الشيخ محمد رشيد رضا (ت:١٣٥٤هـ)[٥]، والشيخ محمد أبو زهرة (ت:١٣٩٥هـ)[٦]، وعلي حسب الله (ت:١٩٧٨م)[٧]، والدكتور عبد المتعال

---

(١) سورة المائدة، الآية: ١٠٥.
(٢) ظ: ابن العربي، أحكام القرآن، ٢٠٥/١.
(٣) للأطلاع على الآيات التي ادّعي نسخها بآيات القتل وتحليل الكلام فيها؛ ظ: د. عادل عباس النصراوي، إشكالية النسخ في القرآن الكريم، ص٤٣.
(٤) ظ: الآمدي (ت:٦٣١هـ)، الاحكام، ١١٥/٣، عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، ٩٧/٩.
(٥) وقد أنكر النسخ تلويحاً وقام بتأويل الآيات الثلاثة الدالّة على النسخ، وفسَّرها بمعجزات وشرائع الأنبياء السالفين. ظ: تفسير المنار، ٣٤٥/١.
(٦) ظ: أصول الفقه، ص١٨٨.
(٧) ظ: أصول التشريع الإسلامي، ص٣٠٦ –٣١٢.

الجبري (ت:١٩٩٥م)[١]، والشيخ محمد الغزالي (ت:١٩٩٦م)[٢]، والدكتور أحمد حجازي السقّا[٣]، وغيرهم من العلماء والباحثين[٤].

الاتجاه الثالث: المعتدلون: فيثبت أصحاب هذا الاتجاه النسخ نظرياً، ويختلفون في مساحة تطبيقه في القرآن الكريم مع تضيّقهم لها، فالبعض يرى أن عدد الآيات المنسوخة لا يزيد على عشرين آية[٥]، وبعض الباحثين يرى أن النسخ في القرآن لا يزيد عن عشر آيات[٦]، ويرى باحث آخر ان المجزوم بنسخه ثماني آيات منسوخة فقط[٧]، ويرى الشعراني (ت: ١٣٩٣هـ) ان النسخ في القرآن في خمسة موارد[٨]، في حين يرى السيد أبو القاسم الخوئي (ت:١٤٢٣هـ) ان النسخ وقع في آية واحدة فقط.

وعند التتبع والاستقراء لأقوال العلماء والباحثين عند ذكرهم للآيات المنسوخة نلحظهم قد اتفقوا (بالاشتراك) على آيتيين اثنتين فقط، – الأولى منهما محل اجماع مطبق – هما:

- ﴿**إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً**﴾[٩]، الآية الناسخة: ﴿**أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ**﴾[١٠].

---

(١) ظ: النسخ في الشريعة الإسلامية كما أفهمه، ص١٢٨.
(٢) ظ: نظرات في القرآن الكريم، ص٢٠٢.
(٣) ظ: لا نسخ في القرآن، ص٢٢٤.
(٤) منهم: السيد أحمد خان الهندي (ت:١٣١٥هـ)، ظ: تفسير القرآن وهو الهدى والفرقان، ١٨/١. وذكر الدكتور عبد المتعال الجبري ممن وافقه على عدم وجود النسخ: عبد الرزاق نوفل (ت:١٩٨٤م)، والشيخ أحمد حسن الباقوري (ت:١٩٨٥م)، والشيخ عبد الله العلايلي (ت:١٩٩٦م). ظ: النسخ في الشريعة الإسلامية كما أفهمه، ص١٢٨.
(٥) ظ: السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ٧٧/٣.
(٦) ظ: د. صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، ٢٧٤.
(٧) ظ: محمد هادي معرفة، التمهيد في علوم القرآن، ٣٠٠/٢.
(٨) ظ: حسين جوان آراسته، دروس في علوم القرآن، ص٢٩٦.
(٩) سورة المجادلة، الآية: ١٢.
(١٠) سورة المجادلة، الآية: ١٣.

- ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ، قُمِ اللَّيْلَ إِلا قَلِيلا، نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلا﴾[١]، الآية الناسخة: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ﴾[٢].

وما عدا ذلك من الآيات المنسوخة فهو موضع اختلاف بينهم بين القبول والرفض.

يتضح مما تقدم ان عدد الآيات المنسوخة محل اجتهاد واختلاف بين العلماء، وان كل هذا من مناشئ التنوع في الفهم تبعاً للروايات الواردة في نسخ الآيات، على وفق الضوابط المختلفة في قبول الرواية وردّها، وبحسب المباني في القول بالنسخ مطلقاً أو في خصوص آية أو آيات من دون غيرها أو المنع منه مطلقاً، أو التفصيل.

الترجيح: من كل ما سبق يترجح رأي الاتجاه الثالث، لقوة أدلتهم، وسلامتها من المعارضة القادحة، بخلاف رأي أبي مسلم فإن أدلته لا تخلو من وجه ضعف، ثم إن الخيرية والأفضلية إنما هي بحسب مراعاة مصالح العباد، لا بحسب اختلاف الأحكام شدة وتيسيرا.

ثلاثة عشر: الفرق بين النسخ والبداء:

تعرفنا فيما سبق على معنى النسخ وتبين انه أمر تشريعي، أي: إنّ الله يُشرّع أمراً ويستمر هذا التشريع لفترة معينة، ثم يستبدل هذا التشريع بتشريع آخر؛ لأنّ التشريع الأول لا يصلح للزمان اللاحق؛ أما البداء فهو أمر عقائدي يتعلق بالأمور الكونية المتعلقة بمصير الإنسان.

---

(١) سورة المزمل، الآية: ١-٣.
(٢) سورة المزمل، الآية: ٢٠. ويذكر الدكتور مصطفى زيد: (ان قيام الليل كان قد فرض أولاً على جميع الامة، ثم نسخ بعد أثنى عشر شهرا فأصبح تطوعا بعد ان كان فريضة، وان التهجد قد فرض على النبي ص خاصة بمقتضى آية الاسراء [٧٩] وبقي فرضا عليه حتى انتقل الى الرفيق الأعلى، فلم ينسخ). النسخ فى القرآن الكريم، ٨١٦/٢.

والبداء أشبه بالنسخ، فلا يكون معناه أن الله ﷻ يكون جاهلاً ثم علم – كما تزعم اليهود كما تقدم –، فهما ليس بمنزلة الرأي الجديد، فلا يحمل على معناه الحقيقي، بل هو ظهور للناس بعد خفاء عليهم، والخفاء صادق على الناس دون المشرع وهو الله سبحانه وإنما أخفاها عليهم لمصلحة وهكذا الظهور إنما برز لانتهاء أمد ذلك الخفاء فالحكم السابق كان يظنه الناس أنه تشريع – ظاهره – فيه الدوام والاستمرار، أما الواقع ليس كذلك، فقد شاء الرب الحكيم أن يجعل من الأول محدوداً بأمد معلوم لديه، إلا أنه لم يظهره لمصلحة هو سبحانه قدّرها في علمه الأزلي وهذه المصلحة مرتبطة بأمد هو سبحانه أعلم به.

وإنّ ما يقدّره الله سبحانه لعبده يكون طبقاً لمقتضى معين، ثم يبدل اللّه تقديره طبقاً لمقتضٍى جديد يظهر في العبد نتيجة عمل معين يقوم به، مع علمه سبحانه السابق في كلا الأمرين والحالين، قال تعالى: ﴿**يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاء وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ**﴾[١].

بمعنى ان للأعمال تأثير في مصائر الإنسان؛ وهذه حقيقة قرآنية مؤكدة، إضافة الى ما في السنّة النبوية من تأكيد متواتر عليها، وهي أنّ أعمال الإنسان من الإيمان والشرك والطاعة والمعصية، وبر الوالدين وعقوقهما والانفاق على الفقراء والإمساك عن ذلك، وصلة الرحم وقطيعتها، ... الخ ، مؤثرة في الرزق والبركة وطول العمر والسعادة، وهذه الأُمور ذكرها القرآن الكريم مراراً، وأيدتها السنّة النبوية، وقد لخصها القرآن الكريم، بقوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَّ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ** ﴾[٢]، والذي ينكر البداء لابد وأن يعرف أنّ إنكاره ينجرّ إلى إنكار مثل هذه الحقيقة الواضحة، فإن كان يؤمن بها، فليعلم أنّ هذا الذي يؤمن به هو الذي تسميه الإمامية بالبداء.

---

(١) سورة الرعد، الآية: ٣٩.
(٢) سورة الرعد، الآية: ١١.

فالبداء بمضمونه هذا هو ما يعتقد به كل المسلمين، والنزاع بينهما لفظي، يقول السيد عبد الحسين شرف الدين (ت:١٩٥٧م): (فالنزاع في هذه المسألة بيننا وبين أهل السنة لفظي، ثم يقول: فإن أصرّ غيرنا على هذا النزاع اللفظي وأبى التجوّز بإطلاق البداء على ما قلناه، فنحن نازلون على حكمه فليبدل لفظ البداء بما يشاء وليتق اللّه ربه في أخيه المؤمن)[١].

بكلمة.. ان البداء يتفق مع النسخ في أصل الفكرة، ويختلفان في المتعلق، حيث يتعلق البداء بالأمور التكوينية بينما يتعلق النسخ بالأمور التشريعية؛ فهو يرتبط بوظائف المكلفين.

ولكن مما يؤسف له ان جملة من الباحثين والكتّاب[٢] – سامحهم الله وهداهم – حين تعرضهم لمصطلح البداء (يحملون على إخوانهم الإمامية بشكل عنيف، متهمين إياهم بالانحراف والضلال، حتى إن بعضهم يكاد أن يقول: أن الامامية أشد انحرافاً من اليهود والنصارى حين حاولوا انكار النسخ، لان أولئك أنكروا النسخ في محاولة لتنزيه الله سبحانه من النقص، وهؤلاء قالوا بالبداء فأثبتوا الجهل والنقص لله سبحانه)[٣].

فالبَدَاء بمعنى تغيّر الإرادة وتبدّل العزم الناشئين عن تجدد علمه سبحانه لم يقل به أحد من الشيعة بالنسبة إلى الله تعالى، بل يرونه ضلالاً وفساداً في العقيدة، وكل ما يُنسب إليهم إنما هو افتراء وبهتان أو نتيجة لسوء الفهم أو لعدم الاطلاع على رأي الشيعة بالنسبة إلى هذا الموضوع، كما هو السبب في كثير من الأمور الأخرى.

---

(١) أجوبة مسائل جار الله، صيدا، ص١٠٢.
(٢) ظ: د. عادل حسن علي، الجمان في علوم القرآن، ٢٣٦، مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، ص٢٤١، د. مصطفى زيد، النسخ في القرآن، ص٢٥، الزرقاني، مناهل العرفان، ١٨٢/٢، د. علي حسن العريض، فتح المنان في نسخ القرآن، ص٥٠، د. شعبان محمد عطية، النسخ في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، ص٢٢٤.
(٣) محمد باقر الحكيم، علوم القرآن، ص٢٠٠.

وعليه نرى من الضرورة بمكان ونحن ندرس النسخ ان نوضح مفهوم البداء[١]:

فالبداء تارة نفهمه على أساس ان يعتقد الله ﷻ شيئاً، ثم يظهر له أن الامر بخلاف ما اعتقده، كأن يرى في الحكم مصلحة ثم يظهر له خلاف ذلك، أو يرى خلق شئ من مخلوقاته حسناً ثم يظهر له خلاف ذلك فهذا شئ باطل لا يقول به أحد من المسلمين – من دون فرق بين الاماميين وغيرهم – بل أنكره اليهود والنصارى، ونزهوا الله عنه.

وقد وردت النصوص التي تؤكد هذا المعنى عن طريق أهل البيت عليهم السلام، قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: (من زعم أن الله ﷻ يبدو له في شئ لم يعلمه أمس فابرؤا منه)[٢].

والبداء – تارة أخرى – نفهمه على أساس آخر بان نتصوره نسخاً في التكوين، فليس هناك فرق أساسي بينه وبين النسخ من حيث الفكرة، وانما الفرق بينهما في الموضوع الذي يقع النسخ فيه أو البداء، فالازالة والتبديل إذا وقعا في التشريع سميناهما نسخاً، وإذا وقعا في الأمور الكونية من الخلق والرزق والصحة والمرض وغيرها سميناهما بداء.

والجدير بالذكر أن هذه الفكرة للبداء سببها شبهة أثارها اليهود حول قدرة الله ﷻ وسلطانه، وأشار القرآن الكريم إليها كما ناقشها أيضاً بقوله تعالى: ﴿**وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ..**﴾[٣].

---

(١) للتوسعة: ظ: السيد الخوئي، البيان في تفسير القرآن، ص٢٧٠ – ٢٧٧، محمد باقر الحكيم، علوم القرآن، ص٢٠٠، المجلسي، بحار الانوار، ٩٢/٤-١٣٤، محمد هادي معرفة، التمهيد في علوم القرآن، ٢٧٩/٢، السيد محمد كلانتر، البداء عند الشيعة الامامية، ص٥، جعفر السبحاني، البداء في ضوء الكتاب والسنة، ص١١، مرتضى العسكري، البداء، ص٧، د. عبد الرسول الغفار، الميسر في علوم القرآن، ص١٩٢، رياض الفتلاوي، دروس في علوم القرآن والسنة، ص١١٩، طالب الساعدي، دروس توضيحية في علوم القرآن، ص١٢٩.
(٢) المجلسي، بحار الانوار، ١١١/٤.
(٣) سورة المائدة، الآية: ٦٤.

وخلاصة الشبهة: أن الله سبحانه إذا خلق شيئاً وقضى فيه أمره استحال عليه ان تتعلق مشيئته بخلافه، فهو حين يخلق قانون الجاذبية للأرض – مثلا – أصبح مسلوب القدرة والسلطان أمام هذا القانون، فلا يقدر ان يشاء خلافه أو ينسخه، شأنه في هذا شأن صاحب البندقية، فإنه حين يضغط على الزناد يفقد قدرة التحكم في الرصاصة.

وهذا المعنى هو الذي عبر عنه القرآن الكريم بقوله: **(وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ)** كما جاء ذلك في رواية عن الإمام الصادق عليه السلام حيث قال: (لم يعنوا أنه هكذا ولكنهم قالوا فرغ عن الامر فلا يزيد ولا ينقص)[١].

فالقول بالبداء عند الإمامية يعني فكرة النسخ مطبقة في المجال التكويني ومنطلقة من مفهوم قوله تعالى: **(بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ)** وقوله تعالى: ﴿**يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاء وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ**﴾[٢]. فهي تؤمن بعلم الله سبحانه بما يقدمه وما يؤخره، وما ينقصه وما يزيده، وما يستبدل به، كما انها تؤمن بقدرته على هذا التقديم والتأخير والاستبدال، وهناك نصوص كثيرة تؤكد أن فكرة الامامية عن البداء لا تتعدى حدود هذا المعنى ولا تتجاوز عنه.

قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: (إن الله يقدم ما يشاء ويؤخر ما يشاء، ويمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء، وعنده أم الكتاب)[٣]، وقال عليه السلام: (فكل أمر يريده الله فهو علمه قبل ان يصنعه، وليس شئ يبدو له إلا وقد كان علمه، ان الله لا يبدو له عن جهل)[٤].

---

(١) المجلسي، بحار الانوار، ١٠٤/٤.
(٢) سورة الرعد، الآية: ٣٩.
(٣) المجلسي، بحار الانوار، ١٢١/٤.
(٤) المصدر نفسه، ١٢١/٤، العياشي، تفسير العياشي، ٢١٨/٢.

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: (ما بدا لله في شئ إلا كان في علمه قبل ان يبدو له)[١].

وعن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام قال: (قال علي بن الحسين وعلي بن أبي طالب قبله ومحمد بن علي وجعفر بن محمد عليهم السلام: كيف لنا بالحديث مع هذه الآية: **(يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاء وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ)** فأما من قال بأن الله تعالى لا يعلم الشئ الا بعد كونه فقد كفر وخرج عن التوحيد)[٢].

وبعد هذا كله لا نجد مجالاً للتشكيك في فكرة البداء إذا أخذناها في حدود فكرة النسخ مطبقة على التكوين، ولا يكون اتهام الإمامية بالانحراف لأنهم قالوا بهذه الفكرة، إلا شبيهاً بالاتهام الذي وجهه اليهود والنصارى إلى عامة المسلمين لأخذهم بفكرة النسخ.

فوائد الاعتقاد بالبداء:

واتماماً للفائدة يلحظ المتأمل في الاعتقاد بالبداء ان له آثاراً متعددة، نجملها في الآتي:

١. الاعتراف بسلطة الله تعالى على العالم أجمع وقدرته على حدوث العالم وبقائه، ونفاذ إرادته على جميع الوجودات، كذلك يتضح الفرق بين العلم الإلهي وعلم المخلوقين الذين وإن أعطى الله تعالى لبعضهم كالأنبياء العلم إلا أنهم لا يحيطون بما أحاط به علمه تعالى.

٢. إن الاعتقاد بالبداء يؤيد كون الإنسان مختاراً في أفعاله، وأن لإرادته دخلاً في تغيير القضاء، وتحديد مصيره مبتني على حسن عمله أو سوئه.

---

(١) الكليني، الكافي، ١٤٨/١.
(٢) الطوسي، كتاب الغيبة، ص٤٣٠، المجلسي، بحار الانوار، ١١٥/٤.

٣. الاعتقاد بالبداء موجبٌ لانقطاع العباد إليه تعالى وطلبهم منه استجابة دعائهم والتوفيق لطاعته والابتعاد عن معصيته، في حين إنكاره يستلزم يأس العبد عن استجابة الله تعالى لدعائه، وإنّه لا نفع من الدعاء والتضرع إليه لتغيير ماجرى عليه قلم التقدير.

فنلحظ أهمية البداء في الجانب **العقائدي**: كأن عقيدة البداء جاءت تكملة لعقيدة القضاء والقدر، فلكي يُدفع الغلو والإفراط في عقيدة القضاء والقدر، ولا تؤخذ بمعنى يسلب الاختيار عن الله وعن الإنسان، كان لابد من تتميمها بعقيدة البداء التي جاءت لتؤكد أن القدر لا يصل حد سلب الاختيار عن اللّه، ولا سلب الاختيار عن الإنسان.

وأما أهمية البداء في الجانب **التربوي** ان مشيئته سبحانه ليست جزافية غير تابعة لضابطة حكيمة، بل لو تاب العبد وعمل بالفرائض وتمسّك بالعصم خرج من صفوف الأشقياء ودخل في عداد السعداء، وبالعكس.

وفي إطار ذلك كله نستطيع أن نفهم معنى كلام الأئمة عليهم السلام بأنه:

- (ما عبد الله بشيء مثل البداء)[١]
- (وما عُظّم الله عز وجل بمثل البداء)[٢].
- (ما بعث الله نبيّاً حتى يأخذ عليه ثلاث خصال: الإقرار بالعبودية وخلع الأنداد، وأن الله يقدّم ما يشاء ويؤخّر ما يشاء)[٣].

من أهم ما كتب في الناسخ والمنسوخ:

✓ الناسخ والمنسوخ في كتاب الله، قتادة بن دعامة السدوسي (ت:١١٧هـ).

---

(١) الكليني، الكافي، ١٤٦/١.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) المصدر نفسه، ١٤٧/١.

- ✓ الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز، أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت:٢٢٤هـ).
- ✓ الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، النحاس أبو جعفر (ت:٣٢٨هـ).
- ✓ الناسخ والمنسوخ، بن سلامة بن نصر البغدادي (ت:٤١٠هـ).
- ✓ نواسخ القرآن، ابن الجوزي عبد الرحمن البغدادي (ت:٥٩٧هـ).
- ✓ النسخ في القرآن، الدكتور مصطفى زيد.
- ✓ فتح المنان في نسخ القرآن، علي حسن العريض.

الفصل الثالث

علم المحكم والمتشابه

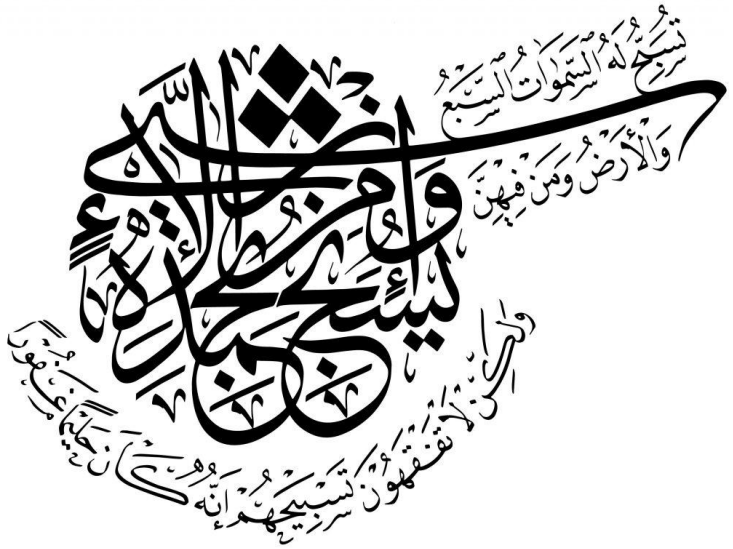
تسبح له السموات السبع
والأرض ومن فيهن
وإن من شيء إلا يسبح بحمده
ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا

الفصل الثالث
علم المحكم والمتشابه

من علوم القرآن الكريم ما تبحث في آياته نظرياً، اما علم المحكم والمتشابه فهو من العلوم التي تبحث في ماهية اللفظ القرآني نفسه، إذ بعضه محكم وبعضه متشابه، ومن ثم فمنه ما يمكن فهمه مباشرة ومنه ما لا بد من الرجوع في فهمه الى قواعد ثابتة وأصول متينة.

أولاً: الآيات التي تصف القرآن الكريم من حيث الإحكام والتشابه:

١. **القرآن الكريم كله محكم:** قال تعالى: ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾(١).

٢. **القرآن الكريم كله متشابه:** قال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ﴾(٢).

٣. **بعض القرآن الكريم محكم وبعضه متشابه:** قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾(٣).

نلحظ من الآية الأولى أنها وصفت القرآن المجيد بأنه كلّه مُحكم، بينما الآية الثانية تصِف القرآن بأنه كلّه متشابه، والآية الثالثة قسمت القرآن الكريم الى

---

(١) سورة هود، الآية: ١.
(٢) سورة الزمر، الآية: ٢٣.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٧.

مُحكم ومتشابه، والمُحكم هو الأصل الذي يُعتمد عليه، ويُرد إليه ما خالفه، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ .

كيفية التوفيق بين الآيات الثلاث:

تبدو هذه الآيات متعارضة في ظاهرها، ومن هنا بين العلماء المقصود منها، وهذا الذي دعاهم الى التفريق بين ما يُسمى بالإحكام العام والتشابه العام، والإحكام الخاص والتشابه الخاص، كما يلي:

* **الإحكام العام:** بعنى إحكام ألفاظه وعدم وجود خلل فيه، المراد بإحكامه أيضاً: إتقانه، وعدم تطرق النقص والاختلاف إليه، وهذا تبينه الآية الأولى.

* **التشابه العام:** بمعنى أن آياته متشابهة في الأسلوب والهدف، والحق والصدق، والإعجاز، والهداية إلى الخير، وسلامته من التناقض والاختلاف، وهذا الذي تُبينه الآية الثانية.

فالقرآن الكريم كله محكم من حيث أنه متقن فصيح يميز بين الحق والباطل والصدق والكذب وهذا هو الإحكام العام – كما تقدم –، **والقرآن كله متشابه** أي يشبه بعضه بعضاً في الكمال والجودة ويصدق بعضه بعضاً في المعنى ويماثله، وهذا هو التشابه العام – كما تقدم –، وكل من المحكم العام والمتشابه العام لا ينافي الآخر، فالقرآن كله محكم بمعنى الاتقان، وهو متماثل يصدق بعضه بعضاً.

* **الإحكام الخاص:** هو الذي يدل عليه المعنى الاصطلاحي، وهو الذي تبينه الآية الثالثة، بمعنى أن الآيات المحكمة هي أم الكتاب أي أن هذه الآيات جماع الكتاب وأصله، فهي بمنزلة الأم له، لا غموض فيها ولا التباس، كآيات الحلال والحرام التي هي أصل التشريع، وسنتعرف عليه لاحقاً.

* **التشابه الخاص:** وهو المعنى الاصطلاحي، الذي تُبينه الآية الثالثة، إذ تختلف على كثير من الناس الدلالة في الآيات المتشابهة مما يؤدي الى الالتباس والغموض، ولذلك سُمي هذا الالتباس أو الغموض متشابهاً من باب إطلاق السبب على المسبب، بخلاف الآيات المحكمة، فمن رد المتشابه إلى المحكم الواضح فقد اهتدى.

وهذا الأمر يقودنا للحديث عن معنى كل من المحكم والمتشابه بالمعنى الخاص، وهو المعنى الاصطلاحي، لما فيه من أهمية بالغة الخطورة في العمل بآيات الكتاب العزيز ورفع الالتباس، فعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه سُئل عن المحكم والمتشابه فقال: (المحكم ما يُعمل به والمتشابه ما اشتبه على جاهله)[١]؛ وعلى النحو الآتي:

ثانياً: تعريف المحكم والمتشابه:

اختلف العلماء في بيان حقيقة المحكم والمتشابه على أقوال كثيرة[٢] لا مجال لسرد كل ما قالوه في تعريف هذا العلم، إلا انا نجمل القول كالآتي:

١: تعريف المحكم:

أ- الإحْكام لغةً: الإتقان البالغ، ومنه البناء المحكم الذي أتقن، فلا يتطرق إليه الخلل أو الفساد [٣].

ب- **اصطلاحاً** فقد اختلف العلماء في تعريفه وتحديده على أقوال منها[١]:

---

(١) المجلسي، البحار، ٩٣/٦٦.
(٢) ظ: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ٦٨/٢، السيوطي، معترك الاقران، ص١٣٧، د. السيد عبد الحليم محمد، دراسات قرآنية، ص١٦٢، مناع قطان، مباحث في علوم القرآن، ص٢١٦.
(٣) ظ: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ١٠٠/٤.

- أن المحكم ما عُرف المراد منه، إما بالظهور أو بالتأويل.
- أن المحكم هو الفرائض والوعد والوعيد.
- أن المحكم لا يحتمل من التأويل إلا وجهاً واحداً.
- أن المحكم هو الواضح الدلالة الذي لا يحتمل النسخ.
- أن المحكم ما استقل بنفسه ولم يحتج إلى بيان.
- أن المحكم هو المتقن الذي لا يتطرق إليه الإشكال.
- أن المحكم هو الذي لم تتكرر ألفاظه.
- أن المحكم هو الحلال والحرام والحدود.

وعليه يبدو مما تقدم ان المحكم من الآيات ما يدل على مفهوم معين، لا نجد صعوبة أو تردداً في تجسد صورته أو تشخيصه في مصداق معين.

٢: تعريف المتشابه:

أ- **لغةً:** مأخوذ من الشَّبَه، وهو التماثل بين شيئين أو أشياء. ولما كان التماثل بين الأشياء يؤدي إلى الشك والحيرة، ويُوقع في الالتباس، توسعوا في اللفظ، وأطلقوا عليه اسم " المتشابه ". يقال: اشتبه الأمر عليه، أي التبس عليه[٢].

ب- المتشابه **اصطلاحاً** فقد اختُلف في تعريفه وتحديده أيضاً على أقوال منها[٣]:

- ما استأثر الله بعلمه، كقيام الساعة، وخروج الدابة والدجال.
- ما لم يستقل بنفسه واحتاج إلى بيان يرده إلى غيره.

---

(١) ظ: الطبرسي، مجمع البيان، ٤٠٩/٣، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٥/٢، الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ٦٩/٢، السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ٢/٢، الزرقاني، مناهل العرفان، ٢٧٢/٢.
(٢) ظ: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ١٠٠/٤.
(٣) ظ: الطبرسي، مجمع البيان، ٤٠٩/٣، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٥/٢، الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ٦٩/٢، صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، ص٢٨٢، فضل حسن عباس، إتقان البرهان في علوم القرآن، ٤٨٩/١.

- ما احتمل أكثر من وجه.
- ما لا يدرك إلا بالتأويل.
- ما كان غير واضح الدلالة ويحتمل النسخ.
- الاحرف المقطعة في أوائل بعض السور[١].
- ما كان من القصص[٢].
- ما كان من الأمثال.

والمتأمل في أقوال العلماء والباحثين في تعريف وتحديد المحكم والمتشابه يلحظ ان هناك تداخل مع بعضها، ويمكن ان نخلص بالرأي فيها الى قولين أثنين هما:

الأول: إن المحكم ما كان معناه واضحاً، والمتشابه ما لم يتضح معناه إلا بعد إعمال الفكر والتأمل فيه.

الثاني: إن المحكم ما علم معناه وكان في دائرة المعرفة، والمتشابه ما استأثر الله سبحانه بعلمه.

---

(١) يذهب جملة من الباحثين علي ان الاحرف المقطعة من الآيات المحكمات في حين يرى آخرون ان الاحرف المقطعة من الآيات المتشابهات، وقدم كل فريق منهم أدلة على صواب رأيه، للتوسعة ظ: فضل عباس صالح، الحروف المقطعة في أوائل السور، أطروحة دكتوراه، جامعة النجاح، كلية الدراسات العليا، فلسطين، ٢٠٠٣م، ص٤٩، والذي يراه المؤلف في الاحرف المقطعة انها من آيات القرآن المجيد اكيد، إلا انها ليست من المحكم أو المتشابه، فمن حيث المحكمات هن ليس من أم الكتاب فلا يمكن ارجاع المتشابه لها، وليست الاحرف المقطعة من المتشابهات من حيث لا أثر لها عند تأويل أهل الزيغ لها في ابتغاء الفتنة كما صرحت الآية! وانما هي من المبهمات التي تحتاج الى تفسير، وقريب من ذلك ما ذهب إليه العلامة الطباطبائي في قوله: (ولكن لا بد من الالتفات إلى أن في الآية الكريمة وضعت الآيات المتشابهة مقابلا للآيات المحكمة. ولازم هذه التسمية أن المتشابه له مدلول من قبيل المدلول اللفظي إلا أنه يشتبه فيه مع المدلول الحقيقي، والحروف المقطعة في أوائل السور ليس لها هكذا مدلول.
وبالإضافة إلى هذا يدل ظاهر الآية على أن جماعة من أهل الزيغ ومبتغي الفتنة يسعون في الاضلال بواسطة الآيات المتشابهة، ولم يسمع أن شخصا في المسلمين أضل الناس بالحروف المقطعة المذكورة، بل الذين يضلون الناس انما يضلون بتأويل كلها لا بهذه الحروف خاصة). القرآن في الإسلام، ص٣٥.
(٢) فالآيات التي بينت بشكل واضح أخبار الرسل وأممهم هي الآيات المحكمات، وأما الآيات التي تكررت في سور متعددة واشتبهت ألفاظها ومحتواها بشأن سيرة الأنبياء فهي من المتشابهات.

ثالثاً: الآثار والنتائج المترتبة على الأخذ بالمتشابه:

إذا سبرت تاريخ المسلمين عبر القرون، تقف على لفيف من أصحاب الزيغ، راحوا يتمسّكون بآيات لها ظهور بدويّ مريب، ومثير للشك في سائر الأُصول دون أن يأوّلوها بالمحكمات وإرجاعها إليها، كبعض الآيات التي توهم التجسيم والتشبيه، والجبر والتفويض، والهداية والضلالة، والختم على القلوب وحبط الأعمال، إلى غير ذلك من الآيات التي وقعت ذريعة لبغاة الفتنة وإضلال الناس.

قال العلامة الطّباطبائي: (أنت إذا تتبعت البدع والأهواء والمذاهب الفاسدة، الّتي انحرف[ت] فيها الفرق الإسلاميّة عن الحقّ القويم، بعد زمن النّبي ﷺ سواء كان في المعارف أو في الأحكام، وجدت أكثر مواردها من اتّباع المتشابه والتّأويل في الآيات بما لا يرتضيه الله سبحانه، ففرقة تتمسّك من القرآن بآيات للتّجسيم، وأخرى للجبر، وأخرى للتّفويض، وأخرى لعثرة الأنبياء، وأخرى للتّنزيه المحض بنفي الصّفات، وأخرى للتّشبيه الخالص وزيادة الصّفات، إلى غير ذلك، كلّ ذلك للأخذ بالمتشابه من غير إرجاعه إلى المحكم الحاكم فيه)[١].

وعليه يبدو **ان المتشابه** – حسب المصطلح القرآني – هو: اللفظ المحتمل لوجوه من المعاني تختلط علينا صورته الواقعية ومصداقه الخارجي وكان موضع ريب وشبهة.

ومن ثَمّ فهو كما يصلح للتأويل الى وجه صحيح، يصلح للتأويل الى وجه فاسد، ولأجل هذا الاحتمال وقع مطمع أهل الزيغ والفساد، ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله الى ما يتوافق مع أهدافهم الضالّة[٢].

---

(١) الميزان في تفسير القرآن، ٣/٤١.
(٢) ظ: هادي معرفة، التمهيد في علوم القرآن، ٣/٦.

و**التفسير** هو: كشف القناع عن اللفظ المشكل – أي المبهم – سواء أكان متشابهاً أم لم يكن.

و**التأويل** هو: إرجاع الكلام الى أحد محتملاته العقلانية ولو كان – في ظاهره – واضح المدلول.

ولعله ما يشمل كل ما تقدم – من التعريف الاصطلاحي للمحكم والمتشابه – أن يقال: **المحكم** هو ما يدل على معناه بوضوحٍ لا خَفاء فيه، و**المتشابه** هو الذي يخلو من الدلالة الراجحة على معناه.

وصف دلالة الآية السابعة من سورة آل عمران:

وتدلّ الآية على أنّ الإحكام والتشابه وصف لدلالة أُمور:

الأوّل: انّ أصحاب الزيغ (يتبعون ما تشابه) وذلك لأحد الوجهين:

١. ابتغاء الفتنة والفساد في المجتمع وإضلال الناس.
٢. ابتغاء تأويله وإرجاعه إلى ما يتوافق مع أهدافهم الفاسدة، فهم مكان أن يتّبعوا الآيات المحكمة يتّبعون ما تشابه للغايتين الفاسدتين. فاتّباع المتشابه لإيجاد الفتنة وابتغاء تأويله يعرب عن أنّ التشابه إنّما في دلالة الآية، فيأخذون من الاحتمالات ما يمكّنهم من الفتنة وجعل الآية حجّة لما يتبنّون من الأهواء.

ثانياً: انّه يصف الآيات المحكمة بأنّها أُمّ الكتاب، ومعنى ذلك إرجاع ما تشابه إلى الأُمّ؛ فيجب أن تكون الأُم واضحة الدلالة، بيّنة المعالم، حتى تفسر بها الآيات المتشابهة.

ثالثاً: انّ الآية تبحث عن تأويل المتشابه، فانّ التأويل في الآية إرجاع الآية بالتدبّر فيها وسائر الآيات الواردة في موضوعها إلى المعنى المقصود، وهذا يناسب

كون المحور في وصف القرآن بهما هو دلالة الآية وظهورها، فالآيات القرآنية بما انّها ليست على نسق واحد في الدلالة وعلى درجة واحدة في إفهام المراد تنقسم إلى محكمة ومتشابهة.

فالمحكم ما لا يحتمل إلاّ معنى واحداً، والمتشابه ما يحتمل وجوهاً متعدّدة وكان بعض الوجوه مثيراً للريب والشبهة، والتأويل إرجاع الآية بالتدبّر فيها وما ورد في موضوع الآية من الآيات، إلى المعنى المقصود.

رابعاً: الراسخون في العلم ومتشابه القرآن:

لقد تبين لنا من مصاديق المحكم هو مما لا خفاء فيها وان مصاديق المتشابه يتضح منها هي التي خلا منها الدلالة الراجحة على معناها وخفي المراد بها، فهل الآية: ﴿**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الألْبَابِ**﴾[1]. تحدد ان الراسخون في العلم يعلمون هذا المتشابه؟! أم لا يعلمه إلا الله ﷻ وحده؟

فمن قال بضرورة الوقف على لفظ الجلالة يقول إن الواو للاستئناف، وحينئذ لا يعلم الراسخون في العلم تأويل المتشابه، فلا يعلمه إلا الله ﷻ، ومن قال بجواز الوصل عد الواو للعطف، وعندها يعلم الراسخون في علم تأويل المتشابه.

ربنا وتقبل دعاء ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب

(١) سورة آل عمران، الآية: ٧.

أولاً: أدلة القائلين بوجوب الوقف (الاستئناف):

١. ورد عن النبي ﷺ حديثاً في ذم الذين يتبعون ما تشابه من القرآن، قال ﷺ: (فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم)[١].

٢. يرى جمع من المفسرين ان الوقف على قوله تعالى: {إِلَّا الله} وإن جملة {وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ} مستأنفة[٢].

٣. لو كانت الواو عاطفة، أي أن الراسخين في العلم يعلمون تأويله، حينئذ تكون هناك إشكالية في جملة: {يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا} من حيث موقعها الإعرابي.

٤. أن الراسخين في العلم مذكورون هنا ليكونوا قدوة لغيرهم في الابتعاد عن التأويل والتسليم بالمتشابه.

ثانياً: أدلة القائلين بوجوب التأويل (العاطفة):

١. ما ورد عن النبي ﷺ لا يتطرق الى المتأولين بشكل عام، بل الى من يتبع المتشابه ابتغاء الفتنة من خلال تأويله، وذلك باتباع أهوائهم، كما ان هناك أحاديث تدعوا الى التأويل[٣].

٢. كما ذهب جملة من المفسرين الى القول: ان {وَالرَّاسِخُونَ} معطوف على اسم الجلالة[١]، وفي هذا العطف تشريف عظيم: كقوله: ﴿شَهِدَ الله أنه لا إله إلا هو وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ﴾[٢].

---

(١) البخاري، صحيح البخاري، ١٦٦/٥.
(٢) وهذا مروي عن الجمهور، وهو قول ابن عمر، وعائشة، وابن مسعود، وأبي، ورواه أشهب عن مالك في جامع العتبية، وقاله عروة بن الزبير، والكسائي والأخفش والفراء والحنفية، والجبائي، وإليه مال الرازي فخر الدين، والسيوطي، محمد عزة دروزة، والعلامة الطباطبائي وغيرهم.
(٣) قال النبي ص في دعاءه لعبد الله بن عباس: (اللّهم علّمه التأويل وفقّهه في الدين)، الحاكم، المستدرك، ٥٣٤/٣.

٣. أما من حيث الموقع الاعرابي لجملة (يقولون)، فيمكن أن تكون حالاً، والتقدير: (إلا الله والراسخون في العلم يَعلمُونَه قائلين آمنا به...).
٤. يرى كثير من العلماء بأنه لو لم يكن للراسخين في العلم ميزة على غيرهم في هذا الأمر لما ذكرهم الله ﷻ، فهم لما مدحهم الله علم أنهم يعلمون تأويله.

ويلاحظ ان المفسرين لا إجماع بينهم على معرفة الراسخين في العلم بالتأويل ولا على عدمه، فقد انقسموا على فريقين منهم من قال ان الواو عاطفة ومنهم من ذهب الى ان الجملة مستأنفة، وما زال هذا الأمر موضع جدال وسجال بين المفسرين كما كان كذلك في زمن الرعيل الأول من المسلمين.

ثالثاً: الرأي التوفيقي بين القولين:

حتى نوفق بين الرأيين (القائلين بوجوب الوقف والقائلين بالتأويل)، فلا بد أن نعرف **معنى التأويل**، وهو محل خلاف أيضاً بين العلماء، فنقول إن للتأويل عند العلماء ثلاثة معان هي:

١. التأويل بمعنى التفسير، أي الكشف والبيان والتوضيح، وهذا المصطلح مستعمل عند الرعيل الأول من المفسرين (واعتبرت من قبلهم متفقة بصورة جوهرية مع كلمة التفسير في المعنى، فالكلمتان معاً تدلان على بيان معنى اللفظ والكشف عنه)[٣].
٢. التأويل بمعنى الرجوع، أي حقيقة الشئ الذي تؤول إليه، أو تحقق وقوع الشئ، ومثله قوله تعالى عن اليوم الآخر: ﴿**يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ**﴾[٤]، أي حين

---

(١) والى هذا التفسير مال ابن عباس، ومجاهد، والربيع بن سليمان، والقاسم بن محمد، والشافعية، وابن فُورك، والقرطبي، وابن عطية، والطبرسي، وغيرهم.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٨.
(٣) محمد باقر الحكيم، علوم القرآن، ص٧٤، ظ: د. حسيب عبد الحليم شعيب، المحكم والمتشابه في القرآن، ص٢٩.
(٤) سورة الأعراف، الآية: ٥٣.

يقع حقيقة فيأتي جزاؤه، وقوله على لسان النبي يوسف عليه السلام: ﴿هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾[١].

٣. التأويل بمعنى صرف اللفظ عن المعنى الظاهر المتبادر الى الذهن عند إطلاق اللفظ الى معنى آخر محتمل لوجود قرينة، وهذا المعنى هو المستعمل عند المتأخرين[٢].

وبناءً على ما تقدم نرى:

١. إن كان المقصود من التأويل المعنى الأول، فالراسخون في العلم يعلمون تأويله، فالقرآن بلسان عربي مبين، ولم يخاطبنا الله عز وجل بما لا نعلم معناه، وبناءً عليه لا نقف على لفظ الجلالة في الآية.
٢. إن كان المقصود من التأويل المعنى الثاني، فلا يعلم حقيقة المتشابه وما يؤول إليه إلا الله تعالى، خاصة تلك الأمور الغيبية المتعلقة بذات الله تعالى، وبناءً على هذا المعنى فيجب الوقف على لفظ الجلالة في الآية.
٣. وإن كان المقصود المعنى الثالث، فالراسخون في العلم أيضاً يعلمون تأويله، وبناءً عليه لا نقف على لفظ الجلالة.

خامساً: أهل البيت عليهم السلام والراسخون في العلم:

بعد ان اتضح خلاف المفسرين وعدم اجماعهم على معرفة الراسخين في العلم للمتشابه فعليه يحتاج تعيين أحد القولين إلى دليل تعبدي آخر، غير الآية نفسها، وهو الأخبار القوية المتعددة الدالة على أن الراسخين يعلمون بالتأويل، فالعمل بها متعين، ومن هذه الأقوال على سبيل المثال[٣]؛ قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام:

---

(١) سورة يوسف، الآية: ١٠٠.
(٢) ظ: د. محمد خازر المجالي، الوجيز في علوم الكتاب العزيز، ص١٧٢.
(٣) للتوسعة ظ: الكليني، الكافي، ٢١٣/١.

(نحن الراسخون في العلم، ونحن نعلم تأويله)[١]، وقوله عليه السلام: (والراسخون في العلم هم آل محمّد)[٢].

إن هذه النصوص المتضافرة الواردة عن أهل البيت عليهم السلام مع **الدليل العقلي** بعصمتهم عليهم السلام[٣] يوجب القول بأنّ الرسوخ في العلم منحصرٌ بهم عليهم السلام[٤]، مما يجعلنا متحفظين عند تعاملنا مع النص القرآني الكريم بحيث لا نسمح لأنفسنا أن نستخلص ونستنتج من النص مع وجود قول للمعصوم عليه السلام فيه؛ إلا في نطاق ما هو ظاهر من النص القرآني الكريم، وأما ما هو باطن أو ما هو محكوم بالضبابية والغموض حينئذٍ فإن أهل البيت عليهم السلام هم الذين يضطلعون بتفسير ذلك.

وها هنا قد يعترض معترض: أن ما ورد عن المعصومين عليهم السلام ما يتنافى ظاهراً مع الحديث السابق! إذ ورد عن الإمام علي عليه السلام قوله: (اعلم أن الراسخين في العلم هم الذين أغناهم الله عن الاقتحام في السدد المضروبة دون الغيوب فلزموا الإقرار بجملة ما جهلوا تفسيره من الغيب فقالوا أمنا به كل من عند ربنا فمدح الله عز وجل اعترافهم بالعجز من تناول ما لم يحيطوا بها علماً وسمى ترك التعمق فيما لم يكلفهم البحث عنه منهم رسوخا)[٥].

---

(١) الكليني، الكافي، ١/٢١٤.
(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ٨٩/ ٣٨٢.
(٣) للتوسعة في مصادر اثبات العصمة (نقلية وعقلية) ظ: السيد علي الميلاني، العصمة، مركز الأبحاث العقائدية، قم، ١٤٢١هـ.
(٤) نعم هناك من العلماء من يوجه الروايات الدالة على انحصار الراسخين في العلم بأهل البيت عليهم السلام بأنّها ناظرة إلى مرتبة العلم ودرجته القصوى التي يتحلّى بها أهل البيت (عليهم السلام) والتي لا يدانيهم فيها أحدٌ من الناس. وهذا الاستعمال والحصر ليس غريباً لمن له معرفة في القرآن الكريم، فعلى سبيل المثال: نجد الأنبياء عليهم السلام مع عظمتهم ومنزلتهم في العلم والمعرفة التي حباهم الله بها، ولكنّهم حينما يقارنون بين علمهم وعلمه سبحانه غير المتناهي يذعنون لتلك الحقيقة ويقولون كما قال سبحانه: ﴿**لا عِلْمَ لَنا إِنَّكَ أَنْتَ عَلاَّمُ الْغُيُوب**﴾. ظ: محمد حسين فضل الله، من وحي القرآن، ٥/٢٤٠، جعفر السبحاني، الفكر الخالد في معرفة العقائد، ٢/٣٠.
(٥) المجلسي، بحار الأنوار، ٣/٢٥٧، ظ: نهج البلاغة، ٣/١٦٢.

وهذا الاعتراض ليس في ميدانه إذ ان ما ورد عن الإمام علي عليه السلام ليس في محل تعارض فيما ذهب إليه أهل البيت عليهم السلام الى انهم هم الراسخون في العلم!! ولتوضيحه هناك مسالك عدة نكتفي منها بالحد الأدنى من التأمل إذ (ان الله سبحانه وتعالى قد احتفظ دون أدنى شك بجزء من الغيب لذاته وأعطى الأجزاء الأخرى من علم الغيب أعطاه للمعصومين عليهم السلام. وفي هذا ورد أكثر من حديث يشير الى المعنى المتقدم)[١]، إذاً لا تعارض البتة بين الذهاب الى أنهم عليهم السلام هم الراسخون في العلم وبين الذهاب الى أن بعض العلم قد احتفظ الله سبحانه وتعالى به لنفسه وحينئذ يرتفع هذا التعارض كما هو واضح.

وكما قلنا فإنّ تفسير الراسخين في العلم بأنّهم اشخاص النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وأئمّة الهُدى عليهم السلام[٢] يرى بعض العلماء انه لا يتعارض مع المفهوم الواسع الذي يشمله هذا التعبير، ففي حقيقة الأمر أنّ ذلك من قبيل تطبيق المفهوم على المصداق الأكمل والفرد الممتاز واللامع، إذ إنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل البيت عليهم السلام – وبلا ريب – هم أشهر وألمع الشخصيات الإسلامية في سماء العلم والمعرفة والفهم.

لهذا فقد نُقل عن ابن عبّاس قوله: (أنا من الراسخين في العلم)[٣]، إذ أنّ كلّ امريء يتعرّف على أسرار تأويل آيات القرآن بقدر سعته العلمية، فالذين يصدرون في علمهم عن علم الله عزوجل اللامتناهي لا شكّ أعلم بأسرار تأويله، والآخرون يعلمون جزءاً من تلك الأسرار بقدر سعة علمهم؛ وهذه الحقيقة هي التي تدفع الناس، وحتى العلماء منهم، للبحث عن المعلمين الإلهيين ليتعلموا منهم أسرار القرآن العظيم.

---

(١) د. محمود البستاني، دراسات في علوم القرآن، ص١٤٦.
(٢) ظ: مركز الأبحاث العقائدية، موسوعة الأسئلة العقائدية، ٤٤٦/٢.
(٣) الطبرسي، مجمع البيان، ٢٤١/٢، البغوي، معالم التنزيل، ٢٨٠/١.

كما ان الأخبار المتضافرة تجمع على ان **الصحابة والتابعين** قد فسروا جميع آي القرآن الكريم ولم يتوقفوا على شيء منه لم يفسروه بحجة أنه متشابه لا يعلمه إلا الله تعالى[١]، بل انهم فسَّروا حتى الحروف المقطعة[٢].

والدليل العقلي الواضح على ان الراسخين في العلم، يعلمون تأويل الآيات المتشابهة هو ان القرآن نزل بلغة الناس ومن أجل هدايتهم، وإذا عجز العلماء والراسخون في العلم عن تأويل القرآن، سيكون (القسم الكبير من القرآن الكريم لا فائدة في تنزيله للبشر مطلقاً حتى الرسول الأكرم ولا اثر له إلا صدى ألفاظه وسواد حروفه)[٣] وتبقى آياته لغزاً يتعذّر حلّه، في حين ان القرآن نفسه أمر بالتعقل والتدبّر في آياته.

ولو كان العلم بالتأويل لله وحده، فمعنى ذلك ان الرسول الأكرم ﷺ والأئمة عليهم السلام قد حُرِموا منه أيضاً؛ أي ان الرسول الذي كان مهبط الوحي، لا يعلم تأويل الآيات!

سادساً: حكمة ورود المحكم والمتشابه:

ذكر العلماء حكماً كثيرة لوجود المتشابه في القرآن الكريم ومن أهمها ما يلي:

أولاً: أن اشتماله (على المتشابه إنما هو لبعث العقل على البحث والتنقير، لئلا يموت بإهماله بإلقاء الواضحات التي لا يعمل فيها عامل الفكر)[٤] فيكون الحث على زيادة التفكر والتدبر في آيات القرآن الكريم، والبحث عن دقائقه، ولهذا كرر في القرآن الأمر بالتدبر والتفكر ليظهر في الثانية ما خفي في الأولى.

---

(١) ظ: الطبرسي، مجمع البيان، ٣/٤١٠.
(٢) ظ: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ٢/٧٣.
(٣) البلاغي محمد جواد، آلاء الرحمن في تفسير القرآن، ١/٢٥٧.
(٤) محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ٣/٥٦. ومن الجدير بالذكر ان العلامة الطباطبائي لم يرتض بالعموم اغلب أسباب وجود المتشابه وردها واكتفى ببعض منها.

ثانياً: ظهور التفاضل والتفاوت بين العلماء كل حسب طاقته وقدرته، وما بذله من جهد في التفكر والتدبر واشغال الوقت والجهد، كما قال ربنا: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[١]، فقد يقف العالم أمام آية من المتشابهات، ولا يجد لها مخرجاً، ويفتح الله على آخر، فتظهر له وتضح وضوح الشمس في رابعة النهار.

ثالثاً: بيان الإعجاز وإقامة الحُجَّة على العرب البلغاء الذين نزل القرآن بلغتهم ومع ذلك يشمل ما لا يَسَع أحداً مهما بلغ من العلم الوقوفُ على حقيقته، فهذا لا شك وجهٌ من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم[٢].

رابعاً: زيادة الأجر والثواب، لأن الأجر على قدر المشقة والتعب، فمعرفة المتشابه أشق وأصعب، وكلما كان الوصول للحق أشق وأصعب، كان الأجر أكبر وأعظم، وزيادة المشقة توجب زيادة الثواب. قال الفخر الرازي (ت:٦٠٦هـ): (متى كانت المتشابهات موجودة، كان الوصول إلى الحق أصعب وأشق، وزيادةُ المشقة توجِب مزيد الثواب)[٣].

خامساً: تحصيل العلوم الكثيرة؛ لأن معرفة المتشابه تحتاج إلى آلات ووسائل ليمكن بها معرفتها كعلم اللغة والنحو، وأصول الفقه، وغير ذلك من العلوم والمعارف.

سادساً: حمل الناس على تلقي العلم جثياً على الركب من الراسخين في العلم واضطرارهم لذلك، فإنهم إذا حضروا مجالسهم حصلوا علوماً أخرى، واكتسبوا آداباً أكمل، وعرفوا شأن العلماء، وعلو مقامهم، ووالوهم وزادت محبتهم. ومن خطبة للإمام علي عليه السلام في حث الناس الى الرجوع لأهل البيت عليهم السلام قال: (فالتمسوا ذلك من عند أهله، فإنهم عيش العلم، وموت الجهل. هم الذين يخبركم حكمهم عن

(١) سورة يوسف، الآية: ٧٦.
(٢) ظ: د. سيروان عبد الزهرة الجنابي، تأريخ القرآن وعلومه، ص٢٧١.
(٣) تفسير مفاتح الغيب، ١٤٩/٧.

علمهم، وصمتهم عن منطقهم، وظاهرهم عن باطنهم، لا يخالفون الدين ولا يختلفون فيه، فهو بينهم شاهد صادق، وصامت ناطق)[١].

سابعاً: بيان فضل العلماء الراسخين في العلم، وعلو مقامهم ومكانتهم، واختلاف مراتبهم[٢].

ثامناً: أن اشتمال القرآن الكريم على المتشابه لما فيه من (الابتلاء والتمييز بين الثابت على الحق والمُتزلزِل فيه)[٣] من أهل الزيغ المبتغين للفتنة؛ فتُمحص القلوب في التصديق به فإنه لو كان كل ما ورد في الكتاب معقولاً واضحاً لا شبهة فيه عند أحد لما كان في الإيمان شئ من معنى الخضوع لأمر الله تعالى والتسليم لرسله[٤].

تاسعاً: زيادة عظم القرآن في الانظار حيث ان العادة قاضية بأن كل كتاب كان فهم مطالبه اشكل كان قدّره عند الناس أعظم، واحتياج الناس لمعرفتها إلى التزود بالعلوم والمعارف حتى يرتقوا إلى مداركها، ويحظوا بمعانيها[٥].

عاشراً: إن غموض بعض الآيات القرآنية يفرضها دقة مضامينها وعمقها، ولو تم اعتماد أسلوب الاسهاب في الشرح والايضاح لتضاعف حجم القرآن الكريم وفقد روعته وتميّز أسلوبه، فكان لابدّ من ايكال بيان أغواره ومقاصده العميقة الى الراسخين في العلم المؤهلين لذلك[٦].

ربنا وتقبل دعاء ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب

(١) نهج البلاغة، خطبة: ١٤٧.
(٢) ظ: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ٢/٧٥.
(٣) الزمخشري، الكشاف، ١/٤١٢.
(٤) محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ٣/٥٦.
(٥) ظ: النهاوندي، نفحات الرحمن، ١/٢١.
(٦) ظ: السيد رياض الحكيم، علوم القرآن –دراسة منهجية–، ص٥٨.

سابعاً: منشأ التشابه في القرآن الكريم (الأسباب):

سبق تعريف المتشابه اصطلاحاً بأنه: ما احتمل أوجهاً من التأويل فيحتاج إلى بيان. ومنشأ التشابه يعود إلى خفاء مراد الشارع من كلامه، والخفاء يعود إلى أسباب ثلاثة يمكن اجمالها كالآتي:

١. **التشابه من جهة اللفظ:** قوله تعالى: ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾[١]، فلفظة: اليمين تحتمل استعمال يده اليمنى غير الشمال، وتحتمل أيضاً أن الضرب كان بقوة، لأن اليمين أقوى الجارحتين، وتحتمل أن الضرب كان بسبب اليمين التي حلفها إبراهيم عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾[٢].

٢. **التشابه من جهة المعنى:** مثل ما استأثر الله بعلمه من أهوال يوم القيامة، وعلامات الساعة، والجنة والنار، وذلك لمحدودية العقل فى إدراك معان القرآن.

٣. **المتشابه من جهة اللفظ والمعنى معاً:** قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾[٣] فهذا الخفاء في المعنى وفي اللفظ معاً إذ لا يمكن معرفة معنى هذه الآية إلا بالرجوع إلى تفسيرها، فقد كان أهل الجاهلية يعتقدون أن الرجل إذا أحرم بالحج لم يدخل من باب البيت بل يخرق خرقاً أو يدخل من وراء البيت، فرد عليهم القرآن وبيَّن أن ليس شيء من ذلك من أبواب البر ولكن البر هو التقوى.

قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى

(١) سورة الصافات، الآية: ٩٣.
(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٥٧.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٨٩.

ثامناً: نماذج من الآيات المتشابه:

هناك نماذج كثيرة من الآيات المتشابة[١] التي عمل عليها أصحاب الزيغ وتصدى لهم الراسخون في العلم، ومن المؤكد إن أوضح أمثلة ومصاديق الآيات المتشابة في القرآن هي الآيات المتعلّقة بصفات الله ﷻ وأفعاله، وكذلك الآيات التي تتحدث عن هداية وضلالة الإنسان، وان النظر الى مثل هذه الآيات أدّى منذ القرن الأول حتى وقتنا المعاصر، الى حصول استنتاجات مختلفة، كان بعضها منحرفاً وانتهى الى ظهور فرق متعددة.

ومن هذه الآيات على سبيل المثال الانموذج الاوضح في اتباع أهل الزيغ التأويل الباطل ما نلحظه عند تأويلهم لقوله تعالى:

١. ﴿**يُضِلُّ مَنْ يَشاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشاء**﴾[٢] إذ يتلخّص في الأخذ بالظهور المتزلزل غير المستقر إبتغاءً للفتنة، فيغترون بظاهر الآية ويبثّون فكرة الجبر الذي هو سلب الاختيار عن الإنسان في مجال الهداية والضلالة، والإيمان والكفر.

وأمّا الراسخون فتأويلهم هو إرجاع الآية إلى واقعها، بالإمعان في الآية والقرائن الحافّة بها، منضماً إلى ما ورد في الآيات المحكمة في هذا الموضوع، فيفسرون ما سبق من الآيات حول الهداية والضلالة، بقوله سبحانه: ﴿**وَقُلِ الحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَنْ شاءَ فَلْيَكْفُر**﴾[٣]، وبقوله سبحانه: ﴿**قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّما أَضِلُّ عَلى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِما يُوحِي إِلَيَّ رَبّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيب**﴾[٤].

---

(١) للتوسعة ظ: د. حسيب عبد الحليم شعيب، المحكم والمتشابه في القرآن، ص١٣٨، د. عبد الرسول الغفاري، المحكم والمتشابه، ص١٧٣، حسين جوان أراسته، دروس في علوم القرآن، ص٣١٥.
(٢) سورة النحل، الآية: ٩٣.
(٣) سورة الكهف، الآية: ٢٩.
(٤) سورة سبأ، الآية: ٥٠.

٢. ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَّ يَعْلَمُ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ ما يَكُونُ مِنْ نَجْوى ثَلاثَةٍ إِلَّا هُوَ رابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سادِسُهُمْ﴾(١)، ٣. ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلكِنْ لا تُبْصِرُونَ﴾(٢)، ٤. ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنا﴾(٣)، ٥. ﴿الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى﴾(٤)، ٦. ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّماءِ إِلهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلهٌ﴾(٥)، ٧. ﴿وَهُوَ اللهُّ فِي السَّماواتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾(٦)، ٨. ﴿وَجاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾(٧)، ٩. ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُّ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمامِ وَالْمَلائِكَةُ﴾(٨)، ١٠. ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾(٩)، ١١. ﴿يَخافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾(١٠)، ١٢. ﴿وَالسَّماواتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾(١١)، ١٣. ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ، فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾(١٢)، ١٤. ﴿يَدُ اللهِّ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾(١٣).

والناظر لهذه الآيات من غير تأمل وتدبر يوقعه ظاهرها في وهم التجسيم، ولكن حين ارجاعها الى آيات أخرى من المحكمات، يرفع الوهم ويزيل الاشتباه.

قال تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾(١٤). وقال سبحانه أيضاً: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾(١٥).

---

(١) سورة المجادلة، الآية: ٧.
(٢) سورة الواقعة، الآية: ٨٥.
(٣) سورة الطور، الآية: ٤٨.
(٤) سورة طه، الآية: ٥.
(٥) سورة الزخرف، الآية: ٨٤.
(٦) سورة الانعام، الآية: ٥.
(٧) سورة الفجر، الآية: ٢٢.
(٨) سورة البقرة، الآية: ٢١٠.
(٩) سورة القيامة، الآية: ٢٢ – ٢٣.
(١٠) سورة النحل، الآية: ٥٠.
(١١) سورة الزمر، الآية: ٦٧.
(١٢) سورة القمر، الآية: ٤٥ – ٥٥.
(١٣) سورة الفتح، الآية: ١٠.
(١٤) سورة الانعام، الآية: ١٠٣.
(١٥) سورة الشورى، الآية: ١١.

تلك نماذج من الآيات المتشابه من جهة المعاني في القرآن الكريم، ولا سبيل إلى معرفة حقيقة المراد بها إلا بتأويلها عن طريق المعصوم عليه السلام أو ارجاعها الى الآيات المحكمة أو إعمال العقل والاجتهاد على وفق قواعد علمية ثابتة.

فنلحظ ان الفريقين يأوّلون فيرجعون الآية إلى المراد منها، فيأخذ أصحاب الزيغ بالظاهر المتزلزل الموافق لهواهم ونزعتهم، فيجعلونه ذريعة لنشر البدع والضلالة؛ وأمّا الآخرون فيأوّلونه بإرجاع المتشابه إلى المحكمات التي هي أُمّ الكتاب.

هذه هي حقيقة المتشابه وحقيقة التأويل فيه، وليس تأويل كلا الفريقين بمعنى صرف الظاهر المستقر عن ظاهره، بل هو إمّا الأخذ بالظاهر البدوي لغاية الفتنة، أو إرجاعه إلى الظاهر المستقر بالإمعان في الآية نفسها والقرائن المكتنفة بها، مضافاً إلى الآيات المحكمة الواردة في نفس ذلك الموضوع.

تاسعاً: علاقة علم المتشابه بعلم المبهم:

النسبة بين **المتشابه والمبهم هو العموم المطلق**؛ لأنّ كل متشابه مبهَم في معناه، وليس كلّ مبهَم متشابهاً، وسيتضح الموضوع أكثر عند بيان علم المبهم وعرض أسباب الإبهام التي لا تحتاج بالضرورة الى تفسير، وعوامل الإبهام التي تحتاج الى التفسير، لتتميز عن أسباب التشابه التي مر ذكرها سابقاً.

من أهم المؤلفات في المحكم والمتشابه:

- متشابه القرآن، الجبائي محمد بن عبد الوهاب (ت ٣٠٣هـ).
- رسالة المحكم والمتشابه، الشريف المرتضى (ت:٤٣٦هـ).
- البرهان في توجيه متشابه القرآن، الكرماني محمود بن حمزة (ت:٥٠٥هـ).
- متشابه القرآن والمختلف فيه، ابن شهرآشوب محمد علي (ت:٥٨٨هـ).
- متشابه القرآن، لصدر المتألهين الشيرازي (الملا صدرا) (ت:١٠٥٠هـ).
- متشابه القرآن، السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر (ت:٩١١هـ).

الفصل الرابع

علم المبهمات في القرآن الكريم

الفصل الرابع
علم المبهمات في القرآن

علم مبهمات القرآن الكريم هو واحد من علوم القرآن التي اعتنى بها العلماء من المتقدمين؛ فقد عدّه السيوطي (ت:٩١١هـ) العلم السبعين من علوم القرآن[١].

إذن هو علم مهم متعلق بالقرآن الكريم وكفى بذلك أهمية وشرفاً، وهو علم تشتاق إليه النفوس؛ لأن النفوس مجبولة على التطلع لما أُبهم أو أخفي عنها، وإذا كان أهلُ الأدب يفرحون بمعرفة شاعرٍ أُبهم اسمه في كتاب، وكذلك أهل كلِّ صناعة يفرحون بأسماء أهل صناعتهم، فالقارئون لكتاب الله العزيز أولى أن يتنافسوا في معرفة ما أُبهم فيه، ويتحلوا بعلم ذلك عند المذاكرة[٢].

وبيان هذه المبهمات تعطينا القدرة على فهم القرآن الكريم وحسن العمل بما جاء به والاستفادة مما فيه من دروس وعبر وعظات.

أولاً: تعريف علم المبهم:

المبهم في اللغة: المشتبه: اسم مفعول مشتق من الإبهام وهو الخفاء، يُقال: ليل بَهِيم، لخفاء ما فيه من الرؤية، وأَبْهم الكلام إبهاماً أي لم يبينه، واستبهم عليه الكلام إذا استغلق. كما يُقال: أمر مُبْهم: إذا كان ملتبساً لا يُعرف معناه[٣].

والمبهم **اصطلاحاً**: الإبهام ضد التعيين، ويراد به ما لم يُبَيَّن في القرآن الكريم من اسم، أو عدد، أو مكان، أو نحو ذلك..

---

(١) ظ: الإتقان في علوم القرآن، ٣٨٢/٢.
(٢) للتوسعة في التأصيل النظري لهذا العلم ظ: د. حسين بن علي الحربي، مبهمات القرآن الكريم دراسة تأصيلية، ص٥٩، زيد بن علي مهارش، المبهمات في القرآن الكريم تعريفها وأسباب وقوعها، ص٢٧، د. يوسف مرزوق الضاوي، خطوات المبهمات في القرآن الكريم وعلاقتها بالاسرائيليات عند المفسرين ابن جني انموذجا، ص١٥٩.
(٣) ظ: الزبيدي، تاج العروس، ٦٤/١٦.

ثانياً: أنواع علم المبهمات:

وبالتتبع نلحظ ان الباحثين قسموا علم المبهمات على نوعين:

١: نوع ضرب الله عن ذكره صفحاً لعدم تعلق التكليف به؛ لخلوه من الفائدة، ومنها على سبيل المثال: معرفة بقرة بني إسرائيل التي أمروا بذبحها، فلا ينبغي أن نسأل عن حجمها ولا لونها، وهل هي عاملة أم غير عاملة؛ فالبحث عن ذلك تكلف لا طائل تحته، بل هو تنطع يدل على فساد العقل والطبع، وسوء الأدب مع الله ﷻ ومع كلامه المنزل.

وهذا ما فعله بنو إسرائيل مع نبيهم موسى ﷺ فقد أمرهم الله ﷻ على لسان نبيه أن يذبحوا بقرة أيّ بقرة ليضربوا بها القتيل ليعلموا من قتله، ولو ذبحوا أي بقرة لتحقق المطلوب ولكنهم سألوه عن سنّها ولونها وعملها، فشددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم؛ فكلفوا شراء بقرة بملء جلدها ذهباً كما جاء في الأثر، فذبحوها وما كادوا يفعلون.

قال الإمام علي بن موسى الرضا ﷺ: (ولو أنهم عمدوا إلى بقرة أجزأتهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم)[١].

ومنها أيضاً معرفة أسماء أصحاب الكهف، ولون كلبهم، وعصا موسى ﷺ من أي الشجر كانت، وأسماء الطيور التي أحياها الله لإبراهيم ﷺ، وعلم الساعة، ومفاتيح الغيب.

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ٦٨/٧١.

٢: نوع أبهمه الله ﷻ لأسباب كثيرة إليك أهمها:

١. أن يكون أبهم في موضع استغناء ببيانه في سياق الآية، كقوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾[١] بيّنه بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾[٢].

٢. لا يتعيّن لاشتهاره، كقوله تعالى: ﴿اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾[٣] ولم يقل حواء، لأنه ليس غيرها.

٣. قصد الستر عليه، ليكون أبلغ في استعطافه، كقوله تعالى: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾[٤] والمراد: رافع بن حريملة، ووهب بن زيد، قالا للنبي ﷺ: أنزل علينا يا محمد كتاباً من السماء نقرؤه، وفجّر لنا أنهاراً نتبعك ونصدقك[٥].

٤. أن لّا يكون في تعيينه كبير فائدة، كقوله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ﴾[٦] المراد به عزير عليه السلام، الذي مرّ على بيت المقدس.

٥. التنبيه على التعميم، وهو غير خاص، بخلاف ما لو عيّن، كقوله تعالى: ﴿ومَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِه مُهاجِراً إِلَى اللهَّ ورَسُولِه ثُمَّ يُدْرِكْه الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُه عَلَى اللهَّ﴾[٧]، عن أبي حمزة الثمالي (ت:١٥٠هـ) لما نزلت آية الهجرة[٨] سمعها رجل من

---

(١) سورة الفاتحة، الآية: ٧.
(٢) سورة النساء، الآية: ٦٩.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٣٥.
(٤) سورة البقرة الآية: ١٠٨.
(٥) ظ: الطبرسي، مجمع البيان، ٣٤٥/١.
(٦) سورة البقرة، الآية: ٢٥٩.
(٧) سورة النساء، الآية: ١٠٠.
(٨) ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا * إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ

المسلمين وهو جندع أو جندب بن ضمرة وكان بمكة فقال والله ما انا ممن استثنى الله إني لأجد قوة واني لعالم بالطريق وكان مريضاً شديد المرض فقال لبنيه والله لا أبيت بمكة حتى اخرج منها فاني أخاف ان أموت فيها فخرجوا يحملونه على سرير حتى إذا بلغ التنعيم مات فنزلت الآية[١].

٦. تعظيمه بالوصف الكامل دون الاسم، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[٢]، والمراد أمير المؤمنين علي عليه السلام.

٧. تحقيره بالوصف الناقص، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ شانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾[٣] المراد به العاص بن وائل السهمي[٤].

٨. ولا يخفى أن وجود المبهم في القرآن الكريم يدرب الذهن على كشف خفائه وإزالة إشكاله، ومعرفة أسراره القريبة والبعيدة بقدر الطاقة البشرية.

وسنذكر هنا شيئاً من المبهمات فوق ما ذكرناه من قبل؛ تتمة للفائدة؛ اعتماداً على ما نقله المفسرون والمحدّثون وغيرهم ممن عني بذكرها منها:

ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد

وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا * فَأُولَئِكَ عَسَى اللهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾.

(١) الطبرسي، مجمع البيان، ١٧٢/٣. عن محمد بن أبي عمير قال وجه زرارة بن أعين ابنه عبيدا إلى المدينة يستخبر له خبر أبي الحسن موسى بن جعفر وعبد الله الأفطس فمات قبل ان يرجع إليه عبيد الله قال محمد بن أبي عمير حدثني محمد بن حكيم قال ذكرت لأبي الحسن (عليه السلام) زرارة وتوجيهه عبيدا إلى المدينة فقال إني لأرجو أن يكون زرارة ممن قال الله: ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله (الآية). الفيض الكاشاني، التفسير الصافي، ٤٩٢/١.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٥٥.

(٣) سورة الكوثر، الآية: ٣.

(٤) ظ: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٤١٤/٣٠.

١. مبهمات الأماكن: كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(١).

المراد به الجبل الذي كلم الله ﷻ عنده موسى عليه السلام وهو طور سيناء، وقد جاء ذكره في القرآن عشر مرات، منها: قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى﴾(٢).

٢. مبهمات الجموع: في قوله تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾(٣)، فقد روي عن المعصوم عليه السلام: (المغضوب عليهم: اليهود، والضالين: النصارى)(٤).

٣. مبهمات الأشخاص: أهل البيت عليهم السلام، عظم الله شأنهم وأبهم أسماءهم إما للعلم بهم، أو لأن كلمة أهل في اللغة تعنى عندهم طائفة مخصوصة من ذوي القربى، لا يدخل فيهم من ليس منهم، والقرآن نزل بلغتهم، فأبهم أفراد الأهل اعتماداً على أفهامهم، قال جل شأنه: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾(٥)، قال السيوطي: هم: علي، وفاطمة، والحسن، والحسين، وهو أصح الأقوال(٦).

ثالثاً: كيفية معرفة المبهم:

ومرجع هذا العلم النقل المحض ولا مجال للرأي فيه وإنما يرجع فيه الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وآل بيته عليهم السلام، والصحابة الذين شاهدوا الوحي والتنزيل، فلا مجال للرأي والاجتهاد فيه.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٦٣.
(٢) سورة طه، الآية: ٨٠.
(٣) سورة الفاتحة، الآية: ٧.
(٤) المجلسي، بحار الانوار، ٢٤٠/٩٢
(٥) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.
(٦) ظ: الاتقان في علوم القرآن، ١٠٥/٤.

رابعاً: عوامل الإبهام:

هناك عوامل تسبب الإبهام في بعض آيات القرآن الكريم تحوجنا إلى التفسير، تعود إلى:

١. **غرابة الكلمة عن المألوف العامّ**؛ نظراً لاختصاص استعمالها ببعض القبائل دون بعض، فجاء القرآن ليوحِّد اللغة باستعمال جميع لغات العرب، من ذلك: (صَلداً) بمعنى (نقيّاً) في لُغة هذَيل، و(الإملاق) بمعنى (الجوع) في لُغة لخْم، و(المنسأة) بمعنى (العصا) في لغة حضرموت، و(الودق) بمعنى (المطر) في لغة جَرْهُم، و(بُسَّت) بمعنى (تفتَّتت) في لغة كندة، وغيرها..، الأمر الذي دُوّنت لأجْله كُتب غريب القرآن، وهي كثيرة.

٢. **إشارات عابرة جاءت في عَرْض الكلام**، بحيث يحتاج فهْمها إلى درس عادات ومراجعة تاريخ، كالنسيء في قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ**﴾ (١)، أو تعابير إجمالية يحتاج الوقوف على تفاصيلها إلى مراجعة سُنَّة المعصوم عليه السلام وأقوال العلماء، كقوله تعالى: ﴿**وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ**﴾، و﴿**وَآتُواْ الزَّكَاةَ**﴾، و﴿**وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ**﴾؛ وأمثال ذلك.

٣. **تعابير عامّة** صالحة لمعانٍ لا يُعرَف المقصود منها إلاّ بمراجعة ذوي الاختصاص، كالدابَّة من سورة النمل: ﴿**أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ**﴾(٢)، والبرهان في سورة يوسف: ﴿**لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ**﴾(٣)، والكوثر في قوله تعالى:

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٣٧.
(٢) سورة النمل، الآية: ٨٢.
(٣) سورة يوسف، الآية: ٢٤.

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾[١]، والروح في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ﴾[٢]، وأمثال ذلك.

٤. **استعارات بعيدة الأغوار**، يحتاج البلوغ إليها إلى سبْرٍ وتعمّق كثير، كقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ﴾[٤]، ونحو ذلك.

هذه نماذج من عوامل الإبهام المحوجة إلى تفسير كاشف، وقد تبيَّن أنّها تختلف تماماً عن عوامل التشابه المستدعية لتأويل مقبول، وعليه فلا يشتبه مورد أحدهما بالآخر، وإن كانا يشتركان في خفاء المراد بالنظر إلى ذات اللفظ.

خامساً: الفرق بين المتشابه والمبهم ان:

١. المتشابه ما يحتمل أوجهاً عديدة من التفسير ولا سبيل إلى معرفة حقيقته معرفة يقين.
٢. أما المبهم فيمكن معرفة حقيقته، ولكن لا سبيل إلى معرفته إلا بتبيين من المبهم نفسه عبارة أو إشارة.

وفي الختام نذكر مثالين يتضح من خلالهما أكثر وجه الفارق بين علم المتشابه وعلم المبهم:

أولاً: في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾[١] نلحظ إنّ هذه الآية الكريمة من المتشابهات، وقد عَلَتها طبقة من الإبهام أيضاً.

---

(١) سورة الكوثر، الآية: ١.
(٢) سورة النبأ، الآية: ٣٨.
(٣) سورة الرعد، الآية: ٤١.
(٤) سورة يس، الآية: ٦٥.

أمّا التشابه فمِن جهة نِسبة الإضلال إليه سُبحانه، وأمّا الإبهام فمِن جهة كيفية حصول ذلك الانشراح والضِيق، ولاسيّما وجه الشبَه في قوله: ﴿**كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ**﴾، كيف أنّ الضالّ يشبه مَن يحاول الصعود في أعماق السماء؟

ثانياً: قد لا تكون الآية المبهمة من المتشابهات، فهي إلى التفسير أحوَج منها إلى التأويل، كقوله تعالى: ﴿**وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ**﴾[٢]، فالآية بأمسّ حاجة إلى تفسير يجيب على عِدة أسئلة يبعثها إبهام في ظاهر الآية، وهي:

١: كيف تحقّق هذا التعليم الَّذي باهى الله به ملائكته؟
٢: ما هي الأسماء الَّتي يعود عليها ضمير التأنيث تارةً وضمير الجمْع المذكَّر أخرى؟
٣: كيف استسلمت الملائكة لهذه المباهاة واعترفت بعجْزها وقصورها مع الأبد؟

إذاً الإبهام ضد التعيين، ويراد به ما لم يُبَيَّن في القرآن الكريم من اسم، أو عدد، أو مكان، أو نحو ذلك؛ وبهذا فلا تلازم بين الإبهام والتشابه كلّياً، وعليه فتفترق موارد الحاجة إلى التفسير عن موارد الاحتياج إلى التأويل، فالتفسير: هو كشف القناع عن اللفظ المشكل، أي المبهَم، سواء أكان متشابهاً أمْ لم يكن. والتأويل: هو إرجاع الكلام إلى أحد محتملاته العقلانية، ولو كان في ظاهره واضح المدلول.

---

(١) سورة الانعام، الآية: ١٢٥.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٣١.

سادساً: ضوابط تفسير مبهمات القرآن

ومما تقدم نلحظ ان من ضوابط تفسير المبهمات تكمن في الآتي:

الضابط الأول: كل مبهم أخبر الله أنه مستأثر بعلمه فلا يجوز البحث عنه.

الضابط الثاني: علم المبهمات موقوف على النقل المحض، ولا مجال للرأي فيه.

الضابط الثالث: كل ما أبهم في القرآن ولا سبيل إلى بيانه فلا طائل في معرفته.

الضابط الرابع: الأخبار الإسرائيلية تذكر للاستشهاد لا للاعتقاد.

المصنفات في المبهمات

تقدم بيان أهتمام العلماء فيه واعتبروه من علوم القرآن التي يجب الاعتناء بها، ولكن لم يكن لهذا العلم مصنف خاص، لهذا كان التصنيف في المبهمات متأخر عن سائر علوم القرآن، فتاريخ التأليف في المبهمات القرآنية يرجع إلى القرن السادس الهجري.

١- التعريف والإعلام بما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام، لأبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله الخثعمي الأندلسي السهيلي (ت:٥٨١هـ). وهو كتاب مختصر وجيز، ذكر فيه من لم يُسَمَّ باسمه العَلَم في القرآن الكريم، ولم يتناول مبهمات جميع سور القرآن، فلم يذكر مبهمات تسع وعشرين سورة. ويبقى للسهيلي فضل السَّبق في الكتابة في هذا العلم، ولا يُعرف عالم قبله أفرده بمصنف خاص.

٢- البيان فيما أبهم من الأسماء في القرآن، لمحمد بن سليمان الزهري (ت٦١٧هـ).

٣- التكميل والإتمام لكتاب التعريف والإعلام، لأبو عبد الله ابن عسكر: محمد بن علي بن الخضر بن هرون الغسّاني الأندلسي (ت٦٣٦هـ).

٤- غرر البيان في مبهمات القرآن، لبدر الدين محمد بن جماعة (ت:٧٣٣هـ).

كتب الله
لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز

الفصل الخامس

علم الإعجاز القرآني

وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا

الفصل الخامس
علم الإعجاز القرآني

تأكد من كثير من الاخبار ان الناس في الأزمان الغابرة قد كذّبوا الرسل في ما جاءوا به لذا كان من من رحمة الله ﷻ أن يؤيد هؤلاء الرسل الكرام بالمعجزات التي تصدق دعواهم في النبوة، حتى لا تبقى شبهة تحيك في النفس.

واشتهر في مجال الدراسات القرآنية مصطلح (إعجاز القرآن) و(المعجزة)، للدلالة على عجز الناس عن معارضة القرآن أو الإتيان بمثله، وهذه القضية قديمة ترجع الى عصر النبوة، حين وقف المشركون يُكذبون بالدعوة الجديدة، ويصدون الناس عنها، ويزعمون أن القرآن مفترى من دون الله، فتحداهم بكتابه المعجز، وكان للجهود الكبيرة للعلماء في هذا المجال ان ظهرت الرسائل المؤلفة فيه، وكثرت المؤلفات، في العصور القديمة والحديثة[1]، فكان حرياً بالإعجاز ان يكون علماً مستقلاً من علوم القرآن الكريم الجليلة.

ولا يتسع المقام لتتبع كل ما كُتِبَ في موضوع هذا العلم، ولكن يلزم دارس علوم القرآن الكريم أن يعرف خلاصة ما قيل في هذا الموضوع، وهو على النحو الآتي:

أولاً: تعريف الإعجاز لغة واصطلاحاً:

لعلم الاعجاز القرآني دور عظيم في إضفاء المنزلة الرفيعة والقيمة الكبرى للقرآن الكريم فنشاهد تصنيفاً كبيراً فيه واهتماماً بالغاً من لدن كبار العلماء ولهذا تعددت التعريفات اللغوية والاصطلاحية فيه سنختصر هنا القول فيها وعلى النحو الآتي:

---

(١) من أول المؤلفات الخاصة في الإعجاز القرآني كان: للواسطي (ت:٣٠٦هـ)، كتاب إعجاز القرآن (مفقود لم يصل الينا)؛ الرماني (ت:٣٨٤هـ)، النكت في إعجاز القرآن؛ الخطابي (ت:٣٨٦هـ)، بيان إعجاز القرآن؛ الباقلاني (ت:٤٠٣هـ)، إعجاز القرآن؛ الجرجاني (ت:٤٧١هـ)، الرسالة الشافية وكتاب دلائل الإعجاز؛ وغيرهم...

١: **لغة:** أصله التأخر عن الشيء، وهو ضد القدرة، بمعنى الضعف، يقال: أعجزه الأمر إذا حاوله فلم يستطعه ولم تتسع له قدرته وجهده[١] يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ﴾[٢].

٢: **الإعجاز اصطلاحاً:** هو أن يأتي المدعي لمنصب من المناصب الإلهية بما يخرق نواميس الطبيعة ويعجز عنه غيره شاهداً على صدق دعواه[٣].

ثانياً: المعجزة في القرآن الكريم[٤]:

ورد في القرآن الكريم استعمال مشتقات كلمة (عجز) نحو ست وعشرين مرة لكنه لم يرد استعمال مصطلح معجزة ولا (إعجاز) في القرآن ولا في السنة ولم يكن معروفاً هذا الاصطلاح في عهد النبوة والصحابة والتابعين وإنما عُرف في أواخر القرن الثاني تقريباً. وأطلق القرآن الكريم على المعجزة عدة مسميات منها:

١) **الآية:** قال تعالى: ﴿وَأَقْسَمُواْ بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِندَ اللّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءتْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾[٥].

٢) **البيّنة:** قال نبي الله موسى عليه السلام لفرعون ﴿قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[٦].

٣) **البرهان:** قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُّبِيناً﴾[٧].

---

(١) ظ: ابن منظور، لسان العرب، ٢٣٦/٧.
(٢) سورة سبأ، الآية: ٥.
(٣) ظ: الخوئي، البيان في تفسير القرآن، ص٣٣.
(٤) ظ: المؤلف، الإعجاز في القرآن الكريم، ص٣٢.
(٥) سورة الانعام، الآية: ١٠٩.
(٦) سورة الأعراف، الآية: ١٠٦.
(٧) سورة النساء، الآية: ١٧٤.

٤) **السلطان:** قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ﴾[١]. وقال سبحانه أيضا: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ، إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾[٢].

ثالثاً: شروط المعجزة:

ومن تحليل التعريف الاصطلاحي للمعجزة يظهر ان للمعجزة شروطاً لا بد ان تتحقق وهي:

الأول: أن تكون المعجزة فعلاً لله تبارك وتعالى؛ ذلك لأن المعجزة تصديق للرسول الذي أرسله الله، فلا بد أن تكون المعجزة آية من الله ﷻ، وهذه الآية قد تكون قولاً كالقرآن الكريم، وقد تكون فعلاً كفلق البحر للنبي موسى عليه السلام، وقد تكون تركاً كعدم إحراق النار للنبي إبراهيم عليه السلام.

الثاني: أن يكون هذا الأمر خارقاً للعادة، بيان ذلك: أن الحياة كما نعلم ارتبطت فيها الحوادث بأسبابها، وهذا ما اعتاده الناس وألفوه، والمعجزة لا بد أن تكون خارجة عن هذا المألوف، وهذا شأن معجزات الأنبياء عليهم السلام، فلم يألف الناس أن تتحول العصا الى حية، أو أن النار لا تُحرق، أو ان البلغاء يعجزون عن أن يأتوا بمثل كلام بليغ.

الثالث: أن تكون معارضتها غير ممكنة، بمعنى أن الناس لا يقدرون أن يأتوا بمثلها، إذ لو أمكن الإتيان بمثلها لم تصلح أن تكون معجزة.

الرابع: أن تكون هذه المعجزة ظهرت على يد من ادعى النبوة، فلو أتى غير من ادعى النبوة بما هو خارق للعادة، فإن ما أتى به لا يسمى معجزة، ومن هنا يجب أن

---

(١) سورة ابراهيم، الآية: ١١.
(٢) سورة المؤمنون، الآية: ٤٥ – ٤٦.

نتجنب هذا الخطأ الشائع بني الناس وهو إطلاق المعجزات على ما يفعله بعض الناس في أيامنا هذه، فالمعجزات إنما هي للأنبياء عليهم السلام، ولا يصح أن نصف أي عمل جاء به غيرهم بأنه معجزة.

الخامس: أن يكون موافقاً لما دعاه النبي، فلو كانت معجزته إحياء الموتى، ولكن الذي حصل على يديه نطق الحجر مثلاً لم تكن هذه معجزة.

السادس: أن لا يكون هذا الأمر مكذباً لصاحبه، فلو قال مثلاً معجزتي نطق الجبل، ونطق الجبل فقال: أنت كاذب، لا تكون هذه معجزة.

السابع: أن تكون المعجزة بعد ادعاء النبوة، أما إذا كانت قبل دعوى النبوة فلا تكون معجزة وإنما يسمى ذلك إرهاصاً، ومثال ذلك كلام النبي عيسى عليه السلام في المهد.

هذه هي شروط المعجزة التي ذكرها العلماء، ومن هذه الشروط ندرك أن المعجزة تفترق كثيراً عن ما يراه الناس غريباً عما ألفوه وعرفوه كالكرامة والسحر والمخترعات الجديدة الغربية وغيرها.

رابعاً: أنواع المعجزة:

إن المعجزة الإلهية قرينة الرسالة، وهي على نوعين (وقتية ودائمية)، فجميع معاجز الأنبياء وقتية – كما يدل عليه الاستقراء –، فنلحظ أنها ذهبت بذهابهم عليهم السلام، إلا معجزة النبي الخاتم محمّد صلى الله عليه وآله وسلم وهي القرآن المجيد فإنها باقية ما بقي الدهر، على أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد شارك سائر الأنبياء عليهم السلام في معاجزهم الموقوتة فكان له انشقاق القمر، وتسبيح الحصى، وسعي الأشجار، وشهادة الغيب... [١].

(١) ظ: أستاذنا د. محمد حسين الصغير، نظرات معاصرة في القرآن الكريم، ص١١.

إن معجزة كل نبي شئ ورسالته شيء آخر، فمعجزة النبي موسى عليه السلام في العصا واليد البيضاء والآيات البيّنات، ولكن رسالته هي التوراة، ومعجزة النبي عيسى عليه السلام في إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بأذن الله تعالى، ولكن رسالته هي الإنجيل، إلا نبينا محمّد صلى الله عليه وآله وسلم فان معجزته عين رسالته، ورسالته هي معجزته، وهما معاً القرآن الكريم، وهذه المعجزة الخالدة فاقت كل المعجزات وهي كافية شاملة لحياة الناس عبر العصور وحتى يرث الله عز وجل الأرض ومن عليها.

وذلك حينما طالبوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالمعجزات المادية، أشار القرآن الكريم إلى أن المعجزة التي بين أيديهم كافية إن أرادوا الوصول إلى الحقيقة: ﴿**وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ، أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾(١).

ونلحظ أن براعة الإعجاز في عمومه تتجلى في ملائمة قضية الإعجاز لكل نبي بما يلائم عصره، وينسجم مع فنون جيله، ويعزى إلى حياة قومه فيما هو طبيعي أو خارق من دون تحد.

وإن أول من نبّه الى هذه الحقيقة العالية هو الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام قال ابن السكيت(ت:٤٢٢هـ)، للإمام الرضا عليه السلام: (لماذا بعث الله موسى بن عمران بالعصا واليد البيضاء، وآلة السحر؟ وبعث عيسى بآلة الطب؟ وبعث محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم بالكلام والخطب؟ فقال الإمام الرضا عليه السلام: إن الله لما بعث موسى عليه السلام كان الغالب على أهل عصره السحر، فأتاهم من عند الله بما لم يكن في وسعهم مثله، وما أبطل به سحرهم، واثبت به الحجة عليهم، وان الله بعث عيسى عليه السلام في وقت ظهرت فيه الزمانات واحتاج الناس إلى الطب، فأتاهم من عند الله بما لم يكن عندهم مثله، وبما أحيا به الموتى، وابرأ الأكمه والأبرص بأذن الله، واثبت الحجة عليهم، وان محمّداً

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٥٠ – ٥١.

ﷺ في وقت كان الغالب أهل عصره الخطب والكلام – وأظنه قال: الشعر – فأتاهم من عند الله من مواعظ وحكمه ما أبطل به قولهم، واثبت به الحجة عليهم، قال: فقال ابن السكيت: تالله ما رأيت مثلك قط، فما الحجة على الخلق اليوم؟ فقال عليه السلام: العقل يعرف به الصادق على الله فيصدقه، والكاذب على الله فيكذبه، فقال ابن السكيت: هذا والله الجواب.)[١].

خامساً: مراحل التحدي:

إن تحدي القرآن كان أكثر من آية، وفي أكثر من وقت، وفي أكثر من مكان كذلك، لقد تعددت آيات التحدي، وتعددت مراحله كذلك، وفيما يلي بيان ذلك:

أولاً: تحدا أن يأتوا بمثل القرآن من غير تعيين قدر معين، قال تعالى: ﴿**فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ**﴾[٢].

ثانياً: ولما عجزوا أن يأتوا بمثله أرخى لهم العنان مرة أخرى، قال تعالى:﴿**أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ**﴾[٣].

ثالثاً: فلما عجزوا لم يستطيعوا، أرخى لهم العنان، وخفف عليهم المؤنة فاكتفى منهم بسورة واحدة، قال تعالى: ﴿**أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾[٤].

---

(١) الكليني، الكافي، ١/٢٤.
(٢) سورة الطور، الآية: ٣٤.
(٣) سورة هود، الآية: ١٣ – ١٤.
(٤) سورة يونس، الآية: ٣٨.

رابعاً: ولكن القوم لم يحركوا ساكناً، فتحداهم وكانت المرة الأخيرة أن يأتوا بسورة تشبه القرآن، ولو من وجه من الوجوه، فقال سبحانه: ﴿**وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ**﴾(١).

وإذا أردنا دراسة هذه المراحل لنرى ما بينها من وجوه الاتفاق والاختلاف، فأننا نجد ما يلي:

أولاً: إن هذه المراحل كلها جاءت لتعلن التحدي بكل قوة وثقة.

ثانياً: إن المراحل الثلاث الأولى كلها مكية التنزيل؛ فالآية الاولى من سورة الطور، والثانية من سورة هود، والثالثة من سورة يونس عليهما الصلاة والسلام، هي مكية بالاتفاق. أما الآية الرابعة فهي مدنية اتفاقاً وهي من سورة البقرة.

ثالثاً: هذا عن المراحل الثلاث، أما المرحلة الرابعة، فقد خوطب بها الناس جميعاً، يدل لذلك سياق الآيات الكريمة، وهي قوله: ﴿**يا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ، الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا للهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ، وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ**﴾(٢).

رابعاً: أن المراحل الثلاث الأولى مختلفة من حيث الأسلوب عن المرحلة الرابعة، وهذا بيانه:

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٣ – ١٤.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢١ – ٢٣.

المرحلة الأولى: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ﴾ والثانية: ﴿فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ﴾ والثالثة: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾. أما المرحلة الرابعة فجاء الأسلوب فيها ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾ فكلمة (من) لم تذكر إلا في المرحلة الرابعة.

هناك اختلاف – إذن – بين المراحل الثلاث والمرحلة الرابعة من حيث التنزيل، ومن حيث السياق، ومن حيث الأسلوب، ولهذه الفروق دلالاتها في تعيين أو ترجيح أحد القولين السابقين في بيان وجوه الإعجاز.

فإذا كان التحدي في المراحل الثلاث المخاطب به العرب، والعرب كان البيان بضاعتهم والبلاغة سجيتهم، فإن المرحلة الرابعة المخاطب بها الناس جميعاً عربهم وعجمهم، وإذا كانت المراحل الثلاث الأولى خالية من كلمة (من)، فلقد جاءت المرحلة الرابعة مشتملة على هذا الحرف الدال على التبعيض ومعنى ذلك ان هذه المراحل الأخيرة، كان التحدي فيها للناس جميعاً، ولا يعقل أن يتحدى الناس جميعاً بالبيان وحده، إنما هو تحد عام للمخاطبين به.

فإذا عجز المتناهون في الفصاحة، فما ظنك بالأمم الأخرى! فغير العرب أشد عجزاً وذلك لأمرين[١]:

الأول: أن العرب هم أهل اللسان، وقد عجزوا عن مجاراة القرآن، فغير أهل اللسان عاجزون من باب أولى.

الثاني: أن اللغة العربية الشريفة ليست لغزاً من الألغاز، وهي قابلة للتعلم، وقد نبغ فيها كثير من مسلمي غير العرب، وأتقنها جملة من المستعربين والمستشرقين حتى ترجموا القرآن إلى لغاتهم وقدموا أفضل الدراسات القرآنية، وإنما يتحدى الإعجاز

(١) ظ: أستاذنا د. محمد حسين الصغير، نظرات معاصرة في القرآن الكريم، ص١٣؛ مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، ص٢٧٧.

القرآني من كل أمة علماءها، وعلماء الأمم يتمكنون من العربية، فتوجه إليهم التحدي وعجزوا عن ذلك في كل زمان ومكان.

وبعد هذه الدراسة لمراحل التحدي نقرر مطمئنين أن وجوه الإعجاز متعددة، وأن القرآن الكريم معجز من حيث بيانه، ومن حيث تشريعه، ومن حيث ما فيه من حقائق علمية وكونية، ومن حيث ما فيه من أخبار الأمم السابقة ومن أخبار الغيب المستقبل، ومن حيث تأثيره في النفوس، من هذه الحيثيات وغيرها مما ستعلم نبأه بعد حين إن شاء الله تعالى.

سادساً: القدر المعجز من القرآن الكريم:

مما تقدم من مراحل التحدي في القرآن الكريم يرى جمع من الباحثين أن القدر المعجز من القرآن هو الإتيان بمثل أقصر سورة من سوره، وإذا علمنا أن أقصر سورة هي سورة الكوثر، وبها ثلاث آيات، فإن القدر المعجز من القرآن هو ثلاث آيات فأكثر. ولكن هذا لا يمنع ان يكون أقل من ذلك كالآية الواحدة طبعاً.

لذلك كانت حجة الرسول ﷺ أن الله تعالى قد أنزل عليه كتاباً عربياً مبيناً، يعرف العرب ألفاظه، ويفهمون معانيه إلا أنهم لا يقدرون على الإتيان بمثله، ولا بعشر سور مثله، ولا بسورة واحدة مثله، ولو جهدوا جهدهم، واجتمع معهم الجن والإنس.

والذي نراه ان الاعجاز في القرآن الكريم ليس له قدر معين، لأن الاعجاز شامل في كل محتوى آياته من حيث أصوات حروفه ووقع كلماته سواء في الآية الواحدة أو في السورة.

سابعاً: الفرق بين المعجزة والكرامة:

إن الإتيان بالعمل الخارق للعادة الذي يقترن مع دعوى النبوة، ويتفق مع الادعاء، يسمى (معجزة).

وأما إذا صدر العمل الخارق للعادة من عبد لله صالح لم يدع النبوة سمي (كرامة).

وهناك فروق كثيرة بين المعجزة والكرامة، منها:

١. أن المعجزة مبنية على الإظهار والاشتهار، وأن صاحبها (وهو النبي) مأمور بإظهارها، بينما الكرامة مبناها على الكتم والستر، وصاحبها (وهو الولي).
٢. المعجزة تكون مقرونة بالتحدي وبدعوى النبوة، أما الكرامة فغير مقرونة بالتحدي.
٣. ثمرة المعجزة تعود بالنفع والفائدة على الغير، والكرامة في الغالب خاصة بصاحبها.
٤. المعجزة تكون بجميع خوارق العادات، والكرامة تختص ببعضها.
٥. الأنبياء يحتجون بمعجزاتهم على المشركين لأن قلوبهم قاسية، والأولياء يحتجون بالكرامة على نفوسهم حتى تطمئن وتوقن ولا تضطرب.

ثامناً: الفرق بين المعجزة والسحر:

١. **عدم التعلم في المعجزة:** فإن الآتي بالمعجزة يقوم بالإتيان بالمعجزة من دون سبق تعلم، في حين يتم الإتيان بالأعمال الخارقة الأخرى نتيجة سلسلة من التعليمات والتمرينات.

٢. **عدم إمكان معارضة المعجزة:** فإن المعجزة لكونها تنبع من قدرة الله المطلقة لا يمكن معارضتها والإتيان بمثلها قط، على حين يمكن معارضة السحر والشعوذة،

وما شابههما مما يفعله المرتاضون بمثلها لكونها تنشأ من قدرة البشر المحدودة المتناهية.

٣. **التحدي:** إن الآتي بالمعجزة يتحدى الآخرين بمعجزته أي يدعوهم إلى معارضته ومقابلته بمثله، في حين لا يفعل السحرة والمرتاضون ذلك، لإمكان معارضتهم، ومقابلتهم بمثل ما يأتون به.

٤. **عدم المحدودية:** فإن معاجز الأنبياء عليهم السلام ليست محدودة بنوع أو نوعين بل هي متنوعة بحيث لا يمكن الإشارة إلى جامع مشترك بينها.

٥. **الهدف والنفسيات:** أساساً إن الذين يأتون بالمعجزة والكرامة يمتازون عن السحرة الذين يأتون بالخوارق من الأعمال من حيث الهدف وكذا من حيث النفسيات(١).

فالفريق الأول يهدفون إلى غايات سامية، وأغراض قيمة، بينما يهدف الفريق الثاني إلى أهداف دنيوية.

تاسعاً: وجوه الاعجاز القرآني:

اختلف العلماء والباحثون في وجوه إعجاز القرآن الكريم، وتعارضوا بينهم، فمنهم من حصره في خصوص نظمه وبيان بلاغته، ومنهم من أنهاه الى عدة وجوه، قال السيوطي (ت:٩١١هـ): (أنهى بعضهم وجوه إعجازه الى ثمانين)(٢).

ونلحظ ان القدامى كان تأكيدهم على وجه واحد والتزامهم إعجاز القرآن الكريم على النظم أو البلاغة.

---

(١) ظ: جعفر السبحاني، العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت ع، ص١٢٥.
(٢) معترك الأقران في إعجاز القرآن، ١/٥.

كما ولحظنا ان مجموعة من الباحثين المعاصرين يرون ان الوقوف على وجه واحد لإعجاز القرآن الكريم لم يعد كافياً، فذهبوا في بيان مجموعة من وجوه الإعجاز القرآني.

وهكذا نجد أنه لم يخل عصر من العصور عبر القرون الإسلامية المباركة سواء في فترات النشاط أو الفتور العلمي من تناول إعجاز القرآن بالتأليف تقعيداً أو تطبيقاً، مما ينطق بأن هذا المدد العلمي المتتابع إنما هو في ذاته أثر من آثار إعجاز القرآن الكريم.

أما أوجه الإعجاز التي تمخضت عنها هذه المؤلفات، والتى تعمقت في دراسات العلماء، ودرست باستفاضة، وسيقت لها الأمثلة والشواهد، فذلك ما سنلقى عليه الضوء فيما يأتي:

أولاً: الإعجاز بالصرفة

الصّرف والصّرفة مصدر (صرف)، وقد أطال اللّغويون في توضيح معناها وبيان اشتقاقاتها، لكن حقيقة المادّة تفيد معنى واحداً في معظمها، ألا وهو ردّ العزيمة. ومنه قوله تعالى: ﴿**سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ**﴾[١]، أي سأفسخ عزائمهم على إبطال حججي بالقدح فيها وإمكان تكذيبها؛ وذلك بوفرة الدلائل الواضحة والتأييد الكثير، بما لا يدع مجالاً لتشكيك المعاندين ولا ارتياب المرتابين، كما يقال: فلان أخرسَ أعداءه عن إمكان ذمّه والطعن فيه، بما تحلّى به من أفعاله الحميدة وأخلاقه الكريمة[٢].

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٤٦.
(٢) ظ: الطبرسي، مجمع البيان، ٢٥٧/٤.

قال الخليل (ت:١٧٥هـ): الصّرف: (أن تصرف إنساناً على وجه يريده إلى مصرف غير ذلك)[١].

الصَّرفة اصطلاحاً: تعني أنَّ الله تعالى صرّف همم العرب عن معارضة القرآن، وسلب عقولهم عنها، وكانت في مقدورهم لكن عاقهم أمر خارجي، فصار معجزة كسائر المعجزات، ولو لم يصرفهم عن ذلك لجاءوا بمثله[٢].

تنسب هذه النظرية الى أبي إسحاق النظّام (ت:٢٣١هـ)، ولم يصل شيء من كتبه، أو أبحاثه الى الدارسين ما قاله في الصَّرفة، وإنَّما عُرِف رأيه من الكتب الأخرى التي بحثت هذا الموضوع، وقيل: إنّ أول من قال بها الجَعْد بن دِرْهم (ت:١١٨هـ) وغيره من علماء المعتزلة[٣].

وأما نسبة القول بالصرفة للجاحظ (ت:٢٥٥هـ) فقد اختلفت آراء الباحثين في حقيقة رأيه في إعجاز القرآن، فالبعض يرى أن تلمذته للنظام أثرت في مذهبه في الإعجاز، وأنه تابع شيخه في القول بالصرفة وإن لم يصرح بذلك[٤].

بينما يرى الشيخ محمد أبو زهرة (ت:١٩٧٤م) غير ذلك فيقول: (وأول من عرف أنه تصدى للكلام في الإعجاز في نظم القرآن هو الجاحظ تلميذ النظام، الذي أنكر عليه قوله، وعابه في منهاجه الفكري من أنه يظن الظن، ثم يجعله أصلاً يجرى عليه القياس مصححاً لقياسه بالمنطق، والعيب في أصل القول الذي بنى عليه، لا في الأقيسة التي أجرى بها مشابهاته)[٥].

---

(١) كتاب العين، ١١٠/٧.
(٢) ظ: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ٩٣/٢٠؛ الرماني، النكت في اعجاز القرآن، ١١٠/٣.
(٣) ظ: د. زيرفان قاسم البرواري، لغة القرآن الكريم بين الاعجاز والصرفة – دراسة مقارنة، ص٩٧٣.
(٤) ظ: د. أحمد جمال العمري، مفهوم الإعجاز القرآنى حتى القرن السادس عشر الهجري، ص٤٩.
(٥) المعجزة الكبرى، ص٦٢.

ويرى بعضهم ان الجاحظ غير مستقر على رأي محدد فهو متذبذب بين القول بالصرفة والإعجاز بالنظم[١].

والذي نراه ان الجاحظ قد جمع القول بالصرفة مع الإعجاز بنظم القرآن، ولم يكن هناك تناقض، أو اضطراب في رأيه، في إعجاز القرآن.

وعلى كلٍ يبقى النظام أشهر المعتزلة بنسبة الإعجاز بالصرفة إليه حتى صارت لا تذكر إلا مقرونة باسمه، وكان يرى أنَّ القرآن يمكن مماثلته، وأنَّ إعجازه في أنبائه بالغيب.

وممن حكى عنه القول بالصرفة من غير المعتزلة ابن حزم الظاهري (ت:٤٥٦هـ) الذى قال في سبب الإعجاز: (لم يقل أحد إن كلام غير الله تعالى معجز، لكن لما قاله الله تعالى وجعله كلاّماً له أصاره معجزاً ومنع من مماثلته)[٢].

وعدها بعض العلماء وجهاً من وجوه الإعجاز، ومنهم الراغب الأصفهاني الحسين بن محمد (ت:٤٢٥هـ) إذ قال: (اعلم أن إعجاز القرآن ذكر من وجهين، أحدهما: إعجاز يتعلق بنفسه، والثاني: بصرف الناس عن معارضته)[٣]، وكذلك الماوردي أبو الحسن علي بن محمد (ت:٤٥٠هـ)[٤]، والغزالي أبو حامد محمد بن محمد (ت:٥٠٥هـ)[٥].

وعزا بعضهم الى أنَّ منشأ الإعجاز بالصرفة كان بعيداً عن البيئة الإسلامية، ومن ثم انتقل إليها بسبب الترجمة التي دخلت العالم الإسلامي في نهاية القرن الثاني وبداية الثالث الهجري، وهذه المدّة هي التي ظهر فيها القول بالصرفة كما هو

---

(١) يرى ذلك: د. نعيم الحمصي، تاريخ فكرة إعجاز القرآن، ص٥٣، مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن، ص١٦٤-١٦٥.
(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ١٩/٣.
(٣) مفردات ألفاظ القرآن، ص٧-١٥.
(٤) ظ: أعلام النبوة، ص٨٥-٨٦.
(٥) ظ: لاقتصاد في الاعتقاد، ص١٢٩-١٣٠.

معروف في عهد العباسيين، وهذا السبب كفيل لدخول العديد من الافكار الى الديار، وإنَّ بعض المتفلسفين من علماء المسلمين المعتزلة اطَّلعوا على الفلسفة اليونانية وأقوال البراهمة في كتابهم (الفيدا) وهو عبارة عن مجموعة شعرية لإلههم "براهما" يدعون لها الإعجاز، وعدم قدرتهم على الإتيان بمثلها لا من جهة محتواها أو بلاغتها، لأنَّ "براهما" صرفهم عن أن يأتوا بمثلها. فتأثر المعتزلة بها وقالوا مقولتهم ان إعجاز القرآن بالصرفة.

ونفا بعض الآخر أن يكون القول بالصَّرفة تأثراً من أحد، لا من الشرقين ولا من الغربين، وكأنَّه لا دخل للترجمة في نشر مثل هذه الافكار بين المسلمين، وإنّما ظهرت بفعل أوهام خاطئة بخصوص وجه إعجاز القرآن، اعتقدها القائلون بالصرفة. وهذا يعني أنَّ القائلين بالصرفة قد تبادر الى ظنهم أنَّ التحدي كائنٌ في لفظ القرآن ومعناه معاً، وبما أنَّ القرآن قد تضمّن من المعاني ما يخرج عن قدرة البشر، كأخبار الأوليين والأخريين، والأخبار بالغيب وما حواه من التشريعات والتعاليم والقيم والمبادىء، فلا يستطيع الإنسان بواقع عقله المحدود، أن يعبّر عنها بمثل بيان القرآن وبلاغته، ومن ثم فهو ممنوع من ذلك بحكم عقله وعلمه المحدود عن الإتيان بمثل معاني القرآن، وجمال ألفاظه، أي أنَّهم مصروفون عن التعبير بمثل أسلوب القرآن، لعدم تمكنهم منه مع معانيه.

ومن الجدير بالذكر ان بعض الباحثين يرى ان القول بالصرفة ونسبتها الى العلماء مما فيه جدال، وان ثبت واقعية كلامهم عن الصرفة ونسبتها إليهم فهذا يعني بأن النظام (ت:٢٣١هـ) وغيره من العلماء قد ألقى بهذا القول للدفاع عن إعجاز القرآن الكريم، ذلك أنه قد رمى بهذه المقالة في وجوه أهل الزيغ الذي كانوا يثيرون ما

ينقض حجة النبوة، ولم يشأ أن يجادلهم في أمر النظم، لأنه يعلم أن النزاع فيه لا يُدفَع إلا عند من كان ذا طبع إذا نُبِّه انتبه[١].

كما كان لأصداء القول بالصرفة في إعجاز القرآن الكريم، طرح خيراً على البلاغة العربية، إذ لاقت نظرية الصرفة رفضاً كبيراً من العلماء سواء من المعتزلة أو الإمامية أو الاشاعرة، إذ دفعهم إلى البحث عن الوجه الحقيقي لإعجاز القرآن الكريم، فكان أن صنفوا المؤلفات للرد على قائليها ومناقشة آرائهم في استفاضة شاملة، وتوصّلوا إلى أن القرآن معجز ببلاغته وفي وجوه أخرى.

آراء القائلين بالصرفة: برغم اتفاق الباحثين على المفهوم العام لفكرة الصرفة، إلا أن ثمة اختلافاتٍ بين القائلين بها حول تفصيلات معينة تتعلّق بكيفية حدوث الصرفة، ويمكن القول هنا بأن القول بالصرفة ظهر في التراث الإسلامي على ثلاث أقوال؛ ولِما فيه من الإجمال وكثرة الاحتمال نختصر الآراء على النحو الآتي:

الرأي الأوّل: يُراد بالصرفة أن الله ﷻ منعهم بالإلجاء على جهة القَسْر والجبر عن المعارضة مع كونهم قادرين، وسَلَب قواهم عن ذلك، فلأجل هذا لم تحصل من جهتهم المعارضة، وحاصل الأمر في هذه المقالة أنهم قادرون على إيجاد المعارضة للقرآن، إلا أن الله تعالى منعهم[٢].

الرأي الثاني: يُراد بالصرفة أن الله تعالى سلب دواعيهم وهممهم إلى المعارضة، مع أن أسباب توفّر الدواعي في حقهم حاصلةٌ من التقريع بالعجز، والاستنزال عن المراتب العالية[٣]. وهذه الصورة لا تعني قدرة العرب على معارضة القرآن، فهم غير

---

(١) ظ: د. محمد أبو موسى، الإعجاز البلاغي، ص٣٥٧؛ ظ: د. منير سلطان، إعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة، ص٥٥، د. إبراهيم بن منصور التركي، القول بالصرفة في إعجاز القرآن – عرض ودراسة، ص١٥٥.
(٢) ذهب الى هذا الرأي أبي إسحاق النظّام (ت:٢٣١هـ) من المعتزلة.
(٣) ذهب الى هذا الرأي الجاحظ (ت:٢٥٥هـ) من المعتزلة والرماني (ت:٢٨٦هـ) مع قولهما بالإعجاز البلاغي أيضاً، فهي بهذا عندهم وجه من وجوه الإعجاز.

قادرين على ذلك ألبتة، إلا أن الله تعالى صرفهم عن محاولة شيء من ذلك لئلا يلتبس الأمر على العامة والدهماء ممن لا يفرّق بين بيان القرآن وكلام غيره، فهناك قوة خارجية منعت التحدي وصرفت القوم عنه، وهناك من يرى ان القوة داخلية ذاتية فهي عنده بهذا انصراف بدل صرفة[١].

الرأي الثالث: يُراد بالصرفة أن الله تعالى سلبهم العلوم التي لابدّ منها في الإتيان بما يشاكل القرآن ويقاربه، ثم إنّ سلب العلوم يمكن تنزيله على وجهين:

١. أن يقال إن تلك العلوم كانت حاصلة لهم على جهة الاستمرار، لكن الله تعالى أزالها عن أفئدتهم ومحاها عنهم.
٢. أن يقال إن تلك العلوم ما كانت حاصلة لهم، خلا أن الله تعالى صرف دواعيهم عن تجديدها، مخافة أن تحصل المعارضة [٢].

يبدو أن المقصود بالعلم الذي سلبه الله ﷻ العرب ليأتوا بمثل القرآن هو العلم الذي يعرفون به صنعة البيان، وفصاحة الكلام وبلاغته، بحيث يستطيعون النسج على نفس منوال النظم القرآني[٣].

---

(١) يرى القاضي عبد الجبار المعتزلي (ت:٤١٥هـ) الصرفة بمفهوم جديد ليست كما يراها النظام، أو الجاحظ، والتي تعني عندهم: القهر، والجبر، إنما هي صرفه ذاتية، مفادها ان المعارضين أدركوا بالفطرة، أن أسلوب القرآن في علوه وسموه، وروعة نظمه وبيانه، لا يمكن مجاراته، ومعارضته، فانصرفوا ذاتياً بلا قهر، أو جبر من قوة خارجية عن المعارضة، فهي عنده انصراف وليس صرفه، إذ يقول: (أن دواعيهم انصرفت عن المعارضة، لعلمهم بأنها غير ممكنة، على ما دللنا عليه، ولولا علمهم بذلك، لم تكن لتنصرف دواعيهم، لأنا نجعل انصراف دواعيهم تابعا لمعرفتهم بأنها متعذرة..). المغني، ١٦/٣٣٤.

(٢) ممن ذهب الى هذا الرأي السيد المرتضى (ت:٤٣٦هـ) من الشيعة الإمامية وابن سنان الخفاجي (ت:٤٦٦هـ)، أما تلميذ السيد المرتضى أبو الصلاح تقيّ الدين الحلبي (ت:٤٤٧هـ) فإنه يرى ان الصرفة أوجه من وجوه الإعجاز.

(٣) للتوسعة ظ: الشريف المرتضى، الموضح عن جهة اعجاز القرآن (الصرفة)، ص٣٥، العلوي الزيدي (ت:٧٤٩هـ)، الطراز، ٣/٣٩١.

وحقيقة هذه الأوجه الثلاثة أنّ الأولى متعلقة بعوارض منفصلة تحول دون الوصول إلى التحدي بينما هي في الثانية متوجهة للهمم والدواعي فكأنها لم تتخطى مخيلة وأفكار المُتحدين أما في الثالثة فهي متوجهة لآليات هذا التحدي وأدواته.

وعلى كل حال نلحظ ان القول بالصرفة بوصفه وجهاً من وجوه الإعجاز أخذ خطاً تصاعدياً، فقد كانت الفكرة سطحية ساذجة عند النظام، ثم ارتقت قليلاً عند الجاحظ الذي طورها وأضاف إليها، ثم هي عند الرماني تصير وجهاً من وجوه إعجاز القرآن، حتى يأتي الشريف المرتضى فيحدّد بشكلٍ أدق الكيفية التي تحقّقت بها تلك الصرفة.

كما أفرد ابن حزم الظاهري (ت:٤٥٦هـ) لإعجاز القرآن فصلاً من الجزء الثالث من كتابه (الفصل في الملل والأهواء والنحل) تحدث فيه عن عدد من وجوه الإعجاز باختصار، وهو ممن نسب إليهم القول بالصرفة كما مر.

ومما يقتضي ان نختم به الكلام عن الصرفة هو أن القول بالصرفة لا يدخل فيه عنصر الطعن في القرآن الكريم، ولا كان في قصد أصحابه ما يحوم حول ذلك، لأنهم يعترفون ويشهدون بأنه من عند الله ﷻ، إلا أنهم انفردوا في تفسير إعجاز القرآن.

ثانياً: الإعجاز الغيبي "الاخبار الغيبية":

الإعجاز الغيبي في القرآن واحد من أوجه الإعجاز الكثيرة التي حفل بها القرآن الكريم، وقد أنبأ القرآن عن كثير من الغيبيات التي تحدث في المستقبل، والتي أكدت بشكل قاطع أن القرآن كتاب الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهذه الأوجه الإعجازية أحد الأدلة القاطعة على صدق نبينا محمد ﷺ. وستبقى شاهدة على عظمة الإسلام وأنه الدين الذي اصطفاه الله للعالمين.

ما هو الإعجاز الغيبي؟

الإعجاز الغيبي هو إخبار القرآن الكريم عن أمور حدثت في الماضي أو الحاضر أو ستحدث في المستقبل، ووجه الإعجاز في ذلك أن النبي ﷺ لا علم له بذلك، إنما أخبره الوحي الشريف بها فدل ذلك على أن القرآن من عند الله تعالى.

أسباب أعتماد القرآن الكريم كشاهد تاريخي:

١. لأن القرآن الكريم آخر الكتب السماوية المنزلة.
٢. امتاز القرآن الكريم ان الله ﷻ تكفل بحفظه من التحريف والضياع.
٣. توافق أخباره مع ما توصل إليه الباحثون في التاريخ.
٤. عالمية التاريخ في القرآن الكريم؛ فلم يحصر العرب بموقعهم الجغرافي.
٥. توافق أخباره مع الصحيح مما ورد في الكتب المقدسة الأخرى.

أنواع الإعجاز الغيبي في القرآن الكريم:

تبين مما تقدم ان الإعجاز الغيبي على ثلاثة أنواع:

النوع الأول: الإعجاز بغيب الماضي.
النوع الثاني: الإعجاز بغيب الحاضر.
النوع الثالث: الإعجاز بغيب المستقبل.

النوع الأول: الإعجاز بغيب الماضي:

حيث قص الله تعالى على نبيه ﷺ في القرآن الكريم كثيراً من الأخبار التي حدثت في الماضي، والتي لم يكن للنبي علم بها ولا لأحد من معاصريه اطلاع عليها، ومن أمثلة ذلك في القرآن الكريم إخبار الله تعالى نبيه ﷺ عن نبأ القوم السابقين، وقصص المرسلين، وتكذيب الأمم السابقة لدعوة الأنبياء عليهم السلام، قال تعالى:

﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾(١)، ومن غيب الماضي قوله تعالى بشأن قصة مريم "ع" وكفالة زكريا لها: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾(٢)، وقوله بشأن قصة نوح عليه السلام وقضية الطوفان: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾(٣).

فإن ورود أخبار الأمم الماضية بهذا التفصيل الدقيق دليل على كونه وحياً من عند الله عز وجل علام الغيوب وليس من عند البشر ذي العلم القصير ولا سيما من مثل محمد صلى الله عليه وآله وسلم الذي نشأ في بيئة لا تمكنه الاطلاع على مثل هذه الأمور على دقائقها وظروفها، وليست تهمة قريش بأنها: ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا﴾(٤)، إلا افتراء مفضوحاً، جاءت على خلاف ما استيقنتها نفوسهم من أمية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وعدم اتصاله بأحد من أهل الكتاب، ولم تكن له أسفار علمية للبحث عن آثار الأمم.

فرضيات علم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالغيب:

الناظر الى الجانب العقلي في معرفة الأحداث والوقائع وأخبارها في القرآن بالنسبة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، تقتضي واحداً من أربعة فروض، فإن تحقيق هذا الوجه من الإعجاز يقتضي عرض هذه الفروض على واقع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ليتبين أن ما جاء به وحي من عند الله تعالى، وهذه الفرضيات هي:

---

(١) سورة هود، الآية: ٤٩.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٤٤.
(٣) سورة هود، الآية: ٤٩.
(٤) سورة الفرقان، الآية: ٥.

الفرض الأول: حضوره ﷺ، ومشاهدته أحداث هذه القصص، وإخباره بذلك عن معاينة، وذلك مردود بالواقع والتاريخ بداهة، وعلى الرغم من ذلك لفت القرآن النظر إلى ذلك في أكثر من موضع، ففي قصة السيدة مريم يقول الله تعالى: **[ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ]**(١). وفي قصة النبي يوسف عليه السلام يقول: **[ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ]**(٢). وفي قصة النبي موسى عليه السلام يقول: **[وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ]**(٣).

الفرض الثاني: أن يكون النبي ﷺ قد قرأ هذه القصص، وعرف أخبارها من مصادر مكتوبة، ثم نقلها إلى القرآن، وذلك مردود بأنه كان لا يقرأ ولا يكتب، وتلك حقيقة عرفها العرب عن النبي ﷺ قبل البعثة، كما سجلها القرآن واحتج بها عليهم: **[وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ]**(٤). ولا حاجة بعد ذلك إلى أن يبقى النبي ﷺ عاجزاً عن القراءة والكتابة بنظرهم إلى أن يموت، فإن ذلك سيكون من حالات النقص في شخصيته عندهم(٥). وقد ثبت بالبراهين والأدلة العقلية والنقلية، أنه ﷺ منزه عن كل عيب ونقص.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٤٤.
(٢) سورة يوسف، الآية: ١٠٢.
(٣) سورة القصص، الآية: ٤٦.
(٤) سورة العنكبوت، الآية: ٤٨.
(٥) وفي تحرير هذه المسألة فإننا إذا رجعنا إلى ما قاله علماؤنا الأبرار فإننا نلاحظ: أن عددا منهم رضوان الله تعالى عليهم قد صرح بأنه ﷺ كان يعرف القراءة والكتابة بعد بعثته.
ويظهر من الشيخ الطوسي (ت:٤٦٠هـ): أن ذلك هو مذهب علمائنا. رحمهم الله كافة؛ فإنه قال: (والنبي عليه وآله السلام عندنا كان يحسن الكتابة بعد النبوة، وإنما لم يحسنها قبل البعثة). التبيان في تفسير القرآن، ٨/٢١٦.
وعلى كل حال، فإن الأدلة قد دلت على أن النبي ﷺ كان يقرأ ويكتب، قبل البعثة وبعدها.

الفرض الثالث: أن يكون قد تعلمها تلقياً ومشافهة عن غيره، وذلك مردود بأنه لم يعرف عنه ﷺ أنه جلس إلى معلم أو تلقى عن أحد، ولما حاول المشركون ادعاء ذلك عليه ﷺ وقعوا في عثرة عمرهم، وسوءة فعلهم، فقد فضحهم القرآن إذ نسبوا تعليمه إلى حداد رومي لا يدرى شيئاً عن أخبار السابقين، ولا يعرف شيئاً عن فصاحة العربية وبلاغتها: **[وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ]**(١).

لم يبق إلا **الفرض الرابع** والأخير، وهو الحق الذي لا معدل عنه، وهو أن النبي ﷺ قد أوحى إليه بها في جملة ما أوحي إليه من القرآن، فهي حق من حق كما وصفها الله تعالى في أكثر من موضع: **[إِنَّ هُذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ]**(٢). **[نَتْلُو عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ]**(٣). **[نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ]**(٤).

فإذا أضفنا إلى ذلك أن كثيراً من قصص القرآن قد سبق ذكره في كتب أهل الكتاب من التوراة والإنجيل، وأن أحداً من هؤلاء لم يستطع أن يطعن في حقيقة من حقائق القصص القرآنية – بل القرآن هو الذي صوب لهم – عرفنا يقيناً، وقامت الحجة وألزمت الجميع أن هذا القصص بما جاء فيه كله وحي من عند الله ﷻ.

الثاني: الإعجاز بغيب الحاضر

ومن غيب الحاضر والمقصود منه ما جرى على عهد الرسول ﷺ، من حوادث لم يحضرها فنزل القرآن متضمناً لها ومخبراً بحقيقة ما جرى، ومن أمثلة ذلك

أما بالنسبة لعدم قراءته وكتابته ﷺ قبل البعثة بصورة فعلية، فإن ذلك لا يعني عدم قدرته على ذلك، بل كان قادراً على ذلك، لكنه لم يظهر ذلك للمشركين ولا لغيرهم بصورة فعلية؛ وذلك كي تقوم الحجة عليهم، وليدركوا الإعجاز الإلهي في ذلك كما بيناه في المتن أعلاه.

(١) سورة النحل، الآية: ١٠٣.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٦٢.
(٣) سورة القصص، الآية: ٣.
(٤) سورة الكهف، الآية: ١٤.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾(١)، وقوله تعالى بشأن المنافقين الذين بنوا مسجد ضرار: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾(٢)، ولاشتهار هذا بين المنافقين والكفار فإنهم يتنادون فيما بينهم أن اخفضوا أصواتكم حتى لا يسمعكم إله محمد، ووصف الله المنافقين بقوله: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾(٣)، يقولون ذلك لما شاهدوا من أخبار الغيب التي يجيء بها القرآن الكريم.

والغاية الأساسية من غيب الحاضر هو تأييد الدعوة، ومن قرأ القرآن الكريم تبين له أن كثيراً من الآيات قد تناولت هذا النوع من الإعجاز.

الثالث: الإعجاز بغيب المستقبل

ومعنى هذا أن القرآن الكريم قد أخبر عن أحداث مستقبلية وقد وقع بعضها بالفعل، وبعضها الآخر سيقع في المستقبل وهذا إن دل فإنما يدل على أن القرآن كتاب الله تعالى، الذي يعلم الغيب وما خفي عن الناس.

وعند النظر إلى الإعجاز الغيبي فيما يتعلق بالمستقبل سنجد أنه قد تناول كثيراً من الأخبار الغيبية، وقد أيدت الأيام صحتها وأثبتت وقوعها، ومن الآيات التي تناولت الإعجاز الغيبي المستقبلي في القرآن الكريم:

١. أوضح ما يذكر في هذا المجال ما جاء في آيات التحدي بالقرآن ذاتها، فقد أخبر الله تعالى أن الكفار سيعجزون عجزاً كاملاً مطبقاً عما ووجهوا به من التحدي

(١) سورة الانفال، الآية: ٣٠.
(٢) سورة التوبة، الآية: ١٠٧.
(٣) سورة التوبة، الآية: ٦٤.

أن يأتوا بمثل القرآن أو بسورة من مثله، وذلك في قوله سبحانه: [قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا][١].

٢. إخباره بدخول النبي ﷺ والمسلمين المسجد الحرام آمنين، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾[٢].

وقد نزلت هذه الآية عند انصراف المسلمين من الحديبية، وشاء الله أن يعودوا في العام التالي، وأن يطوفوا بالبيت الحرام وأن يعتمروا فكان ذلك تحقيقًا لنبأ من أنباء الغيب التي أخبر عنها القرآن الكريم.

٣. وعد القرآن الكريم ان أبا لهب بنار جهنم، قال تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ، مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ، سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾[٣]، هذه الآيات صريحة في تحديد مصير أبي لهب، وأنه سيصلى ناراً ذات لهب، وقد نزلت في بدايات الدعوة، وكان من الممكن أن يعلن أبو لهب توبته (ولو كذباً) ويقول للناس إني آمنتُ بالله، وهذا محمد يعدني بالنار!

ولو حدث ذلك فسوف يؤثر على عقيدة المؤمنين، ولكنه لم يحدث، لماذا؟ لأن منزل هذه السورة هو الله تبارك وتعالى وليس النبي محمداً ﷺ؟ فالله يعلم يقيناً أن أبا لهب سيموت كافراً فحدّد مصيره بشكل مسبق أنه سيصلى ناراً ذات لهب، ولو كان القرآن من تأليف النبي الخاتم ﷺ، لكان الأجدر به أن يتقرب من أبي لهب كونه من كبار القوم، ويعده بالجنة، ولكن هذه السورة تشهد على صدق قائلها.

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٨٨.
(٢) سورة الفتح، الآية: ٢٧.
(٣) سورة المسد، الآية: ١-٣.

٤. إخباره بعدم تمنى اليهود الموت، وذلك في قول الله تعالى: [قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ للهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ، وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾[١]. وذلك متحقق دوماً، فلم يحدث – ولن يحدث – أن تمنى يهودي الموت – ولو ادعاءً– مناقضة للقرآن.

٥. إخباره بانتصار الروم بعد هزيمتهم المنكرة أمام الفرس، قال تعالى: ﴿الم غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ للهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾[٢].

وقد نزلت هذه الآية بعد هزيمة الروم في معاركهم ضد الفرس وخسارتهم بيت المقدس، وقد أكدت الآية أن الروم سينتصرون على الفرس، وهو ما حدث بالفعل، حيث انتصر الروم، وفرح بذلك المؤمنون ووافق في يوم انتصارهم في معركة بدر، كما لأن الروم وهم أهل كتاب أقرب للمسلمين من الفرس الذين يعبدون النار آنذاك.

٦. إخبار القرآن بالتمكين للمسلمين، ونصرهم وتأمينهم، وذلك في قول الله تعالى: [وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ][٣]. وقد مكن الله لهم بالفعل، وظهر الإسلام، وقامت دولته، وملكت مشارق الأرض ومغاربها في وقت يسير كما هو معروف في تاريخ الإسلام، وسيتحقق التمكين الأعظم في دولة كريمة تعز الإسلام وأهله وتذل النفاق وأهله، على يد المنتظر الموعود من آل بيت محمد ﷺ.

---

(١) سورة الجمعة، الآية: ٦ – ٧.
(٢) سورة الروم، الآية: ١ – ٤.
(٣) سورة النور، الآية: ٥٥.

ومن خلال ما سبق يمكن القول إن الإعجاز الغيبي في القرآن الكريم[١]، أحد الأدلة على عظمة القرآن الكريم وأنه كتاب الله تعالى، ولا شك أن هذا من الأدلة العظمية على صدق النبي ﷺ في تبليغ وحي ربه سبحانه وتعالى.

وهنا ننبه أن هذا الوجه دليل إعجاز لا يستقل بإثبات ذلك للقرآن سورة سورة، وآية آية، فهناك سور كثيرة تخلو من القصص وأخبار السابقين، وعليه فإن موطن التحدي هنا إنما يواجه من كان في مثل حال النبي ﷺ أن يجيء بمثل ما جاء به رسول الله ﷺ.

ثالثاً: الإعجاز البياني

يُعد الإعجاز البياني من أعظم وجوه الإعجاز لأنه ينتظم في القرآن كله، فلا تخلو منه سورة على قصرها أو على طولها، بل هو في كل آية من آيات القرآن الكريم، فهو ملازم له ومطرد بخلاف أوجه الاعجاز الأخرى، ومع هذا فهو وجه لا يتسرب إليه الطعن بأية حالة.

وقد تحدث العلماء والمفسرون عن الإعجاز القرآني قديماً وحديثاً حيث أجمع هؤلاء أن القرآن الكريم معجزة بيانية تحدى الله ﷻ بها العرب وغيرهم فثبت عجز البشر جميعاً أمام إعجازه[٢]، وقد سجل القرآن الكريم هذه الحقيقة بقوله: ﴿**قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً**﴾[٣].

---

(١) للتوسعة في شواهد الاعجاز الغيبي في انواعه ظ: د. احمد بن عمر السيد، الاعجاز الغيبي في القرآن الكريم –دراسة نظرية وتطبيقية–، ص١١٦؛ عمر محمد راجح، الاعجاز الغيبي في القرآن الكريم –دراسة تحليلية نقدية، ص٣١؛ د. فهد بن عبد الرحمن الرومي، دراسات في علوم القرآن الكريم، ٣٠١؛ د. مصطفى مسلم، مباحث في إعجاز القرآن، ص٥٩.
(٢) ظ: د. مصطفى مسلم، مباحث في إعجاز القرآن الكريم، ص١٦٥.
(٣) سورة الاسراء، الآية: ٨٨.

نظرة تاريخية عن الإعجاز البياني:

من أقدم ما بحث من المباحث القرآنية هو البيان القرآني، فمع أبي عبيدة (ت:٢٠٩هـ) والفراء (ت:٢٠٧هـ) نلتقي بالمباحث البلاغية وقد تمازجت تمازجاً عجيباً مع المباحث اللغوية والنحوية، لتكون بعد ذلك أساساً تنطلق منه البلاغة القرآنية خصوصاً والبلاغة عموماً.

ثم نهض عمرو بن بحر الجاحظ (ت:٢٥٥هـ) في القرن الثالث الهجرى لهذا الأمر، فصنف كتابا سماه: (نظم القرآن) وهو كتاب غير موجود، وإنما تشير إليه المراجع الأخرى من كتب الجاحظ نفسه، أو من كتب غيره[١].

وان تقدم القول في مبحث الإعجاز بالصرفة ورأي بعض الباحثين بإضمار الجاحظ للقول بها وميله إليها فإن ذلك لا يغض من كونه أول من نهض لإبراز الإعجاز القرآني في نظمه[٢].

وفي أواخر القرن الثالث الهجرى وضع الواسطي أبو عبد الله محمد بن يزيد (ت:٣٠٦هـ) كتابا سماه (إعجاز القرآن في نظمه وتأليفه) يعد بناء على ما ابتدأه الجاحظ[٣].

ثم مع الخطابي (ت:٣٨٨هـ) والرماني (ت:٣٨٤هـ) أخذ الكلام في إعجاز القرآن الكريم يأخذ طابع التقعيد، والتبويب، والترتيب، والتنظيم، وظهر مصطلح إعجاز في

---

(١) تقول الدكتورة عائشة عبد الرحمن: (في القرن الثالث ظهرت كتب في الإعجاز تحمل في الغالب عنوان– نظم القرآن– وللجاحظ كتاب بهذا الاسم لم يصل إلينا وإن كان الجاحظ أشار إليه في كتابه "الحجج")، الإعجاز البيانى للقرآن، ص١٩.

(٢) فالجاحظ جمع بين النظريتين في مكان واحد، فبعد أن انتهى من تقرير مبدأ الصرفة، قال: (وفي كتابنا المنزل الذي يدل على أنه صدق، نظمه البديع الذي لا يقدر على مثله العباد، مع ما سوى ذلك من الدلائل التي جاء بها من جاء به). الجاحظ، كتاب الحيوان، ٤/٩٠.

(٣) وإلى كتاب الواسطى ينسب الرافعي (ت:١٩٣٧م) السبق في بسط القول في الإعجاز، فيقول: (بيد أن أول كتاب وضع لشرح الإعجاز وبسط القول فيه على طريقتهم في التأليف إنما هو فيما نعلم كتاب "إعجاز القرآن" لأبى عبد الله محمد بن يزيد الواسطي). إعجاز القرآن، ص١٥٢.

رسالتيهما وهي الفترة في القرن الرابع الهجري والتي شهدت انبثاق آراء وأفكار حول إعجاز القرآن الكريم ومنها القول بالصرفة – كما تقدم –.

وبالانتقال الى القرن الخامس الهجري اتسع القول في إعجاز القرآن الكريم، فظهر كتاب إعجاز القرآن للباقلاني (ت:٤٠٣هـ)، وقد أودعه آراءه ونظراته الخاصة، كما ظهرت نظرية النظم على يد عبد القاهر الجرجاني (ت:٤٧١هـ)، وكذا برز الاتجاه البلاغي لآيات القرآن الكريم كصنيع الزمخشري (ت:٥٣٨هـ) في تفسيره الكشاف.

وبلغت الدراسات البلاغية ذروتها لنلقاها في القرن الرابع عشر الهجري حيث أخذت الكتابة في إعجاز القرآن الكريم تتسع لتشمل الوان الاعجاز القرآني على ايدي علماء وفقهاء وأدباء ومفكرين ابانوا عن حقيقة الاعجاز عامة والاعجاز البياني خاصة(١).

المقصود بالإعجاز البياني:

واضح أن البيان في اللغة يُطلق على عدة معان متقاربة من بينها: الوضوح، والظهور، والكشف، والتجلية، وهي كلها متكاملة غير متعارضة.

ومن المعلوم أنَّ الإعجاز البياني تفرَّد به القرآن الكريم الذي هو كتاب الله ﷻ المُنزَّل على محمدٍ ﷺ المتعبد بتلاوته، ذلكم الكتاب الذي ارتقى في بلاغته إلى أن خرج عن طوق البشر، وأعجزهم عن معارضته، على الرَّغم من أن من حروفهم رُكِّبت كلماته ومن كلماتهم أُلِّفت جمله وآياته، وعلى مناهجهم في التأليف جاء تأليفه.

ويكمن بيان القرآن في فصاحته وبلاغته، وفي أسلوبه المتميز عن باقي أساليب العرب حيث جاء القرآن الكريم بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف، متضمناً

(١) ظ: المؤلف، مناهج المفسرين – دراسة في النظرية والتطبيق –، ص١٢٧.

أصح المعاني، كذلك ترتيب ألفاظ القرآن الكريم في آياته وجمله، ثم ترتيب هذه الجمل للآيات في السورة.

ويمثل كذلك الإعجاز البياني في حروف القرآن وأصواتها، والكلمات ومخارجها، يقول ابن عطية (ت:٥٤٦هـ): (كتاب الله لو نزعت منه لفظة ثم أدير لسان العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد)[١].

كما ويمثل الإعجاز البياني في طريقة التعبير التي انفرد بها القرآن الكريم، وأيضاً يتمثل في وجود الفاصلة القرآنية التي تعني مناسبة ختم الآية لما سبق.

مكامن الإعجاز البياني:

ونخلص من أقوال الباحثين اعلاه أن الإعجاز البياني يكمن في:

أولاً: في نظامه الصوتي البَدِيع بجرْس حروفه حين يُسمع حركاتها وسكناتها، ومدها وغننها، وفواصلها ومقاطعها.

ثانياً: في ألفاظه التي تَفِي بحقِّ كلِّ معنًى في موضعه، لا ينبو فيه لفظ فيُقال: إنه زائد، ولا موضع يُقال: إنه يحتاج إلى لفظ ناقص[٢].

ثالثاً: في ضروب الخِطاب التي يَتقارَب فيها أصناف الناس في الفهْم بما تُطِيقه عقولهم، فيراها كلُّ واحدٍ مقدرة على قدر عقله ووفق حاجته.

رابعاً: في إقناع العقل وإقناع العاطفة بما يَفِي بحاجات النفس البشرية؛ تفكيراً ووُجداناً، في تكافُؤٍ واتِّزان، فلا تطغى قوَّة التفكير على قوَّة الوجدان، ولا قوَّة الوجدان على قوَّة التفكير.

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز، ٥٢/١.
(٢) ظ: د. محمد عبد الله دراز: مدخل إلى القرآن الكريم، ص١١٥.

وقد أدرك العرب القدامى دقّة الكلمات القرآنية في سياقها، واقروا بفصاحته التي عجزوا عن بلوغها، حتى أنّ منهم من قال عند سماعه: (والله إنّ لقوله الذي يقول لحلاوة، وإنّ عليه لطلاوة، وإنّ أعلاه لمثمر، وإنّ أسفله لمغدق، وإنّه يعلو ولا يُعلى عليه، وما هو بقول بشر)(١)، وفي ذلك شهادةٌ من الذين عادوا النبي ﷺ ورفضوا دعوته على عظمة هذا الكتاب وتفوّقه في الفصاحة والبلاغة والبيان عليهم، وهم أهل فصاحةٍ وبيانٍ.

أمثلة على الإعجاز البياني:

١. كلمة السنة والعام، قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ**﴾(٢).

السنة والعام هما مصطلح زمني يقيس الأيام باثني عشر شهراً، ولكن في هذه الآية استخدمت السنة والعام معاً، وهذه إشارة إلى أنّ نوحاً عليه السلام تعرض للمعاناة والشدة في دعوة قومه ألف سنة، واستثنت الآية مدة خمسين عاماً إشارة إلى أن نوحاً عليه السلام لم يعانِ فيها، فكلمة سنة تختص بالتعب والشقاء والمعاناة، وكلمة عام تستعمل في وصف الراحة والرخاء.

٢. حرف "في": قال تعالى: ﴿**وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا**﴾(٣)، إنّ في اختيار الحرف "في" عند قوله تعالى: (**وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا**) لطيفة بيانية وإرشاد عملي إلى كيفية التعامل مع أصحاب المال الذين لا يحسنون التصرّف في أموالهم. فالله تعالى يُبيّن للأوصياء أنّ الإنفاق على من لا يحسن التصرّف بالمال لا ينبغي أن يكون من أصل المال وعينه

(١) الحاكم، المستدرك، ٢/٥. والمتكلم هو الوليد بن المغيرة أحد كبار الشعراء والبلغاء في قريش.
(٢) سورة العنكبوت، الآية: ١٤.
(٣) سورة النساء، الآية: ٥.

حتّى لا ينتهي وينفد، بل يجب أن يكون من عوائد هذا المال بعد استعماله بالتجارة ونحوها ممّا يُستثمر فيه المال، ولهذا جاء التعبير بالحرف "في" ولم يأتِ بالحرف "من" كقوله تعالى في نفس السورة: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾[١].

٣. الكتاب والقرآن؛ قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[٢]، وفي سورة الإسراء: ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾[٣]، فأشار إلى الكتاب في آية البقرة بقوله "ذلك" الذي هو للبعيد ليدلّ على علوّه وبعده عن الريب، وأنّه بعيد المنال عن أن يؤتى بمثله، وأشار إلى القرآن في آية الإسراء بقوله "هذا" الذي هو للقريب، فلمّا كان الأمر في ذكر هداية الناس ومعرفتهم به وبأحكامه، انبغى أن يكون قريباً منهم.

ويبقى الاعجاز البياني للقرآن الكريم سر إلهي تتكشف ملامحة مع تطور العلوم ونضوج العقول؛ وما نلحظه في عصرنا الحاضر في الآية القرآنية من براعة بيان (يُخفى علينا وجهها في مواضع؛ لقصورنا عن مرتبة العرب يومئذ في سلامة الذوق وجودة القريحة)[٤].

وكما قلنا من قبل.. فإن الإعجاز البياني وجه لا يتسرب إليه الطعن بأي حالة، فبلاغة القرآن وفصاحته لا تخلو منها سورة من سور القرآن الكريم، ولا آية من آياته، وهذا قد يخالف وجوه الإعجاز الأخرى التي ساقها العلماء مثل الحديث عن الأخبار الماضية وسير الأولين، أو الآيات التي تشير إلى حقائق علمية، أو نحو ذلك:

---

(١) سورة النساء، الآية: ٨.
(٢) سورة البقرة، آية: ٢.
(٣) سورة الإسراء، آية: ٩.
(٤) ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز، ٥٢/١.

(لذلك كان نظم القرآن أعدل الآراء في وجوه الإعجاز وبيان سببه، وهذا الرأي هو الذي مال إليه الحذاق من أهل الصنعة، وأخذ به الجمهور من العلماء)[١].

رابعاً: الإعجاز التشريعي:

معلوم ان للقرآن الكريم مقاصد عالية في مضامين هداية وارشاد كانت السبب الرئيس لنزوله ولبعثة النبي الخاتم ﷺ، ومن مقدمات ثبات هداية الناس هو تنظيم شؤون حياتهم اليومية وارشادهم لطبيعة علاقتهم بأنفسهم والآخرين وبكل اصنافهم الاجتماعية، بل وتنظيم علاقاتهم الاجتماعية حتى مع غير المسلمين؛ فالقرآن الكريم يؤمن بوحدة النوع الإنساني، وقد تبلورت هذه المضامين في تشريع قرآني فاق التصورات البشرية لدقة جزئياته وتفاصيله.

وتأسيساً على كون هذه التشريعات (مثاراً لعقولهم ومنطلقاً لتحدي قدراتهم الفكرية)[٢] عكف جملة من العلماء والباحثين على بيان الاعجاز التشريعي في القرآن الكريم في القرون المتأخرة، فكانت دراساتهم مستفيضة وجهودهم محمودة[٣].

* **التشريع لغة:** مصدر شرّع: بمعنى سنَّ، وقد سمي ما شرع الله لعباده شريعة كالصلاة والصوم والزكاة والحج وغير ذلك[٤].

* **التشريع اصطلاحاً:** هو الأحكام والقوانين التي سُنت للمصلحة سواء كانت للفرد أم للمجتمع وسواء كانت متعلقة بالافعال أم بالعقائد أو تهذيب النفس[٥].

---

(١) د. عبد القادر حسين، مع القرآن في إعجاز وبلاغته، ص١١٤.
(٢) د. سيروان الجنابي، الاعجاز القرآني في النص التشريعي قراءة في المبنى والمعنى، ص٢.
(٣) أول إشارة كانت للاعجاز التشريعي كانت عبارة ابن جزي الكلبي (ت:٧٤٠هـ) في القرن الثامن الهجري. للتوسعة ظ: د. عبد الله احمد الزيوت، نشأة الاعجاز التشريعي وتطوره، ص٩.
(٤) ظ: ابن منظور، لسان العرب، ٢٣٨/٣.
(٥) عباس كاشف الغطاء، المدخل الى الشريعة الإسلامية، ص١٤.

* **الإعجاز التشريعي:** هو سمو التشريعات القرآنية وشمولها وكمالها في العقيدة والشريعة والأخلاق إلى الحد الذي تعجز عنه كل القوانين البشرية مهما بلغت على أن تأتي بمثلها.

أو هو: إثباتُ عَجْز البشر جميعاً عن الإتيان بِمثل ما جاء به القُرآن الكريم من تشريعاتٍ عقائدية وأحكام وأخلاق، تَتَعلَّق بعلاقة الفرد بربه وبالأُسْرة وبالمجتمع وفي مجالات حياته كافة.

المُرادُ من الإعجاز التَّشريعي في القرآن:

وليس المُرادُ من الإعجاز التَّشريعي هو مُجرد إثبات الإعجاز، وإنَّما المُراد منه لازمه، وهو إثْبات صِدْق النَّبي ﷺ وبيان كون القُرآن الكريم من عند الله ﷻ: ﴿**لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**﴾[١].

أهمية بيان الاعجاز التشريعي:

١. إقرار الجهات القانونية في العالم كله[٢] بجدراته أن يكون مصدراً قانونياً مهماً.
٢. استمرار صلاحية القرآن قروناً طويلة دون الحاجة الى تعديل، خلافاً لكل قوانين الدنيا.
٣. سموه فوق كل الانتقادات التي يوجهها إليه خصوصه وهذا ثابت عند أهل الانصاف.
٤. تفوقه على قوانين الدنيا كلها في حل المشاكل المستعصية مثل المخدرات، والزنا وغيرها.

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٤٢.
(٢) قرر المجتمعون في مؤتمر لاهاي عام ١٩٣٨م أن الشريعة الإسلامية تُعد مصدراً من مصادر التشريع العام وأنها مرنة قابلة للتطور... الخ. ظ: القرآن اعجاز تشريعي متجدد، ٢٠.

٥. أن الأمة إذا أحسنت تصوير هذا الوجه من الاعجاز سيكون باباً عظيماً من أبواب الدعوة الإسلامية.

خصائص التشريع الإسلامي:

وجّه التشريع أحكامه الى تنظيم علاقات الأفراد ببعضهم، فربّى الفرد على تحسين علاقاته الربانية والإنسانية وأرسى قواعد المساواة والعدل، ومبادئ التعاون والتكافل وطهر المجتمع من الفساد والإثم والعدوان، وأكد على قيام المجتمع على مكارم الأخلاق. كل ذلك بفضل خصائص كثيرة منها:

١. **الربانية:** من حيث المصدر، والغاية، فسَمَا في مبادئه وأهدافه.
٢. **العالمية:** فالتشريع الإسلامي إنساني عالمي فهو رحمة للعالمين.
٣. **العدل المطلق:** التشريع الإلهي تشريع متصف بكل صفات الكمال والعدل للناس جميعاً لا للمسلمين وحدهم، فهدف التشريع العدل التام لجميع الناس، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾[١].
٤. **الشمول والسَّعة والكمال:** شمول يستوعب الزمن والحياة والانسان كما يستوعب كل ما جدّ وحدث على مدى العصور. وهذا ما لا نلحظه في أي تشريع أو تنظيم وضعي قديم أو معاصر.
٥. **الوسطية والموازنة بين مصالح الفرد والجماعة:** من غير طغيان أحدهما على الآخر، ومن إفراط ولا تفريط في كل شيء في الأحكام والتنظيمات العامة والخاصة.
٦. **التأكيد على مصالح العباد:** تحقيق مصالح العباد جميعهم من غير تفريق بينهم فجاء التشريع لحفظ نظام الأمة ودوام صلاحها.

---

(١) سورة النحل، الآية: ٩٠.

والى جانب ذلك اتسم التشريع بـ: **الواقعية** في مجال العقيدة والحياة بمختلف ومرافقها ويدل على ذلك: التيسير ورفع الحرج، ومراعاة سُنة التطور، والجمع بين الثبات والمرونة.

نماذج من الإعجاز التشريعي:

١. **في البناء الاسري:** يقوم ربُاط الأسرة القرآنية في الزَّواج على المودَّة والرحمة؛ قال تعالى: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾[١]؛ ونلحظ ان القرآن الكريم استعمل كلمة: ﴿مَوَدَّةً﴾ وهي أسمى درجات المحبة، واستعمل كلمة: ﴿وَرَحْمَةً﴾ وهي الرَّأفة، فإنَّ الرَّجُل يتعامل مع المرأة إمَّا لمحبة لها، أو لرحمة بها، وكذلك المرأة تتعامل مع الرجل بذات الأمرين (**مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً**). فنخلص ان التشريع القرآني جعل علاقة الرجل المسلم بزوجته علاقة طيبة لأنه أحد أمرين:

١) إما أنه يحبها فيحمله حُبها على الإحسان إليها.
٢) وإما أنه لا يُحبها فيرحمها ويرحم ضعفها حيث جعلها الله كالأسيرة عنده فيحسن إليها أيضاً بدافع الرحمة.

إذاً المودة هي كلمة جامعة تعني الين والبشاشة والتواضع والصفاء والرقة والألفة والتآلف وإظهار الميل والرغبة والتعبير عن الاشتياق وهي إتمام للسرور والبهجة.

والرحمة هي كذلك كلمة جامعة تعني التسامح والتفاهم والعطف والشفقة والحمية والصبر والابتعاد عن القسوة والغضب والعنف.

---

(١) سورة الروم، الآية: ٢١.

والرحمة هي عطاء بلا حدود وهذان الشيئان مطلوبان في كل وقت وحين، فالمودة مطلوبة في وقت السراء والرحمة وقت الضراء[١].

وأوجب التشريع القرآني أنْ تكونَ عِشرة الرجال لهن بالمعروف؛ فقال: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾[٢]، وهو النصفة في المبيت، والنَّفقة، والإجمال في القول. وللرِّجال حُقُوق، وللنِّساء حقوق قرَّرها القرآن المجيد؛ فقال سُبحانه: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾[٣].

وفي ذلك دلالة على إعجاز الاحكام التشريعية في الإسلام ومن بينها نظام الأسرة في الدعوة الى الزواج الشرعي، وبناء الاسرة، وحمايتها، وتقديم الحلول لكل المشكلات التي تواجه الأسرة، بل انه عمل على مبدأ الوقاية خير من العلاج في كثير من جوانبه لتبقى حصناً ومحضناً قوياً صالحاً.

٢. **في المواريث:** لم يهمل التشريع القرآني الإسرة عند رحيل أحد الأبويين من الحياة الدنيا، فيأكل القوي منهم حق الضعيف فتقع المشاكل ويتنكد العيش وتدب التفرقة بسبب التركة، بل نظم الميراث بينهم وجاء في (منظومة تستوعب العناصر المادية والعناصر الروحية المعنوية على نحو يعجز العقل البشري أن يأتي بمثله وهذا وجه إعجاز)[٤]؛ نعم فالناظر في القرآن الكريم يجد أنه قد فصّل في أحكام الميراث تفصيلاً يعز وجوده في أحكام أخرى من الشريعة السمحة، فالصلاة والصيام والحج لم تفصل أحكامها، بل جاءت مجملة وترك البيان والتفصيل فيها للنبي ﷺ، ولتوضيح ما سبق انظر هذا التفصيل مثلاً في ميراث الأبناء والبنات. يقول الله

(١) للتوسعة في بيان المنظومة الحقوقية في الاسرة؛ ظ: المؤلف، المجتمع الإسلامي المعاصر – دراسة في ضوء الكتاب والسنة –، ص٢٥٩.
(٢) سورة النساء، الآية: ١٩.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٢٨.
(٤) د. رفعت السيد العوضي، إعجاز القرآن الكريم في تشريع الميراث، ص٤٢٢. وللتوسعة في الإعجاز التشريعي للميراث ينظر أيضاً: مازن إسماعيل هنية، الإعجاز التشريعي في المواريث، ص٢٩٧.

تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاء فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ...﴾[١]، وهكذا؛ وهذا إن دل فإنما يدل على جلالة شأن هذا العلم وشديد خطره إذ إنه متعلق بحقوق العباد من خلق الله.

إن أحكام المواريث قد راعى فيها المشرع كافة الحقائق، ووازن بينها بطريقة دقيقة وحكيمة، مما يجعل أحكامها متكاملة، مترابطة، لا ينقض بعضها بعضا، مما يؤدي إلى تحقيق العدالة في أدق معانيها.

٣. **في تحريم الربا:** حرم الله الربا في آيات صريحة وأعلن الحرب على المرابين، وتوعد بمحق الربا يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَّ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبا﴾[٢]، على الرغم أن الربا هو السمة البارزة للاقتصاد العالمي المعاصر، وقاعدة التعامل الاقتصادي بين الدول، إلا أن التشريع الإسلامي هو الحق والصواب في تحريم الربا ومحاربته وتحريمه، فالربا بلاء وآفة، يدمر الاقتصاد ويقطع الروابط، ويوقع العداوة والبغضاء بين الناس، والربا يقضي على إنسانية الإنسان وقلبه ودينه وإيمانه، والمرابون مصاصي الدماء والأموال[٣]. يقول الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: (ان للربا أثراً أخلاقياً سيئاً جدّاً في نفسية المدين ويثير في قلبه الكره والضغينة، ويفصم عرى التعاون الاجتماعي بين الأفراد والملل)[٤] .

٤. **في الحدود:** شرع الله ﷻ الحدود حتى يعيش الإنسان المسلم وغير المسلم أميناً على نفسه وماله وعرضه وعقله، لذلك حرم على المسلم قتل أخيه المسلم، يقول تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلا خَطَأً﴾[٥]. فإذا اعتقد القاتل بأنه سيُقتل

---

(١) سورة النساء، الآية: ١١.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٧٨ – ٢٧٩.
(٣) د. مصطفى السباعي، مباحث في إعجاز القرآن، ص١٦٢.
(٤) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٢/٢٣٩.
(٥) سورة النساء، الآية: ٩٢.

فإنه لا يقدم على القتل، وكذلك عندما حرّم السرقة، فإنه حفظ للناس أموالهم، فعندما يعتقد المؤمن أنه إذا سرق سوف تقطع يده، فإنه لا يسرق وبذلك حفظ للناس أموالهم. وكذلك عندما شرع عقوبة الزنا مائة جلدة لغير المتزوج كما قال تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ﴾[١]، والرجم حتى الموت للمتزوج رجلاً كان أو أنثى.

وكذلك عندما شرع عقوبة الخمر الجلد ثمانين جلدة ليحفظ العقل، يقول الإمام علي عليه السلام: (إذا شرب الرجل الخمر فسكر هذى، فإذا هذى افترى، فإذا فعل ذلك فاجلدوه حد المفتري ثمانين)[٢].

وبالجملة: فإن هدي القرآن وتشريعه في إصلاح حياة البشر، وفي مراعاته لكل طوائفهم، وصلاحه لكل أزمنتهم وعصورهم تشريع معجز، لا يرقى إليه ولا يستطيعه تشريع بشري.

يقول رشيد رضا: (يشتمل القرآن الكريم على العلوم الإلهية وأصول القواعد الدينية، وأحكام العبادات، وقوانين الفضائل والآداب وقواعد التشريع السياسي والمدني والاجتماعي الموافقة لكل زمان ومكان، وبذلك يفضل على كل ما سبقه من الكتب السماوية والشرائع الأرضية والآداب الفلسفية)[٣] .

إذاً من ضمن الاعجاز التشريعي نلحظ صلة الأحكام التشريعية بالمفاهيم الأخلاقية، فالأحكام التشريعية في الإسلام والمفاهيم الأخلاقية لا ينفصلان، لذلك بات من الضروري أن تُفهم الأحكام في ظل المفاهيم الأخلاقية. إذ جاء القرآن الكريم بإرشاد الناس إلى فضائل الأخلاق وتنفيرهم من رذائلها، على حدّ التوسط بلا إفراط ولا تفريط.

---

(١) سورة النور، الآية: ٢.
(٢) المجلسي، بحار الانوار، ١٥٦/٧٦.
(٣) تفسير المنار، ٢٠٦/١، ٢٠٧.

خامساً: الإعجاز العلمي:

لقد حث الإسلام على العلم والتعلم، فآيات القرآن الأولى في النزول تأمر باستخدام القلم وتشجع على القراءة وذلك لما للقلم والقراءة من أهمية في حياة الأمم والشعوب. قال تعالى: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**﴾ (١).

الأمة الإسلامية منوط بها قيادة البشرية بأسرها في جميع مناحي الحياة، لذلك ينبغي أن تتصدر الأمم والشعوب في مجال العلم والإيمان والأخلاق حتى تصل إلى ذلك المركز القيادي الذي أُعدّت له.

لذلك جاءت التوجيهات القرآنية في العديد من الآيات تشجع الأمة كل الأمة على العلم والبحث والتحري عن المجهول في هذا الكون الفسيح(٢). قال تعالى: ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُون**﴾(٣). وجعل الحق ﷻ شهادة العلماء مع شهادته وشهادة الملائكة في الإقرار بالوحدانية لله في الألوهية والربوبية، قال تعالى: ﴿**شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾(٤)، وأمر النبي ﷺ بطلب العلم النافع للبشرية وشجع على تحصيله، قال ﷺ: (طلب العلم فريضة على كل مسلم ألا وإن الله يحب بغاة العلم)(٥).

(١) سورة العلق، آية: ١-٥.
(٢) للتوسعة في موضوع دعوة القرآن الكريم للتعلم ظ: المؤلف، العلم في المفهوم القرآني، ص٥٩.
(٣) سورة الزمر آية: ٩.
(٤) سورة آل عمران آية: ١٨.
(٥) الكليني، الكافي، ٣١/١.

١. تعريف الإعجاز العلمي:

هو موضوع يشرح ويفسر الإشارات القرآنية التي تشير الى الموضوعات العلمية التي من عظيم صنع الله تعالى والتي تتعلق بالحقائق الكونية التي لم تكن مدركة للبشر في زمن نزول القرآن ثم أثبتها العلم لاحقاً؛ حيث يؤمن المسلمون بأن القرآن معجزة وأنه دليل على نبوة النبي محمد بن عبد الله ﷺ[١].

وللاعجاز العلمي كوجه من وجوه الاعجاز القرآني فقد اخذ دوره في الحياة العلمية ابان نشأته إذ كان مجرد إشارات في بطون الكتب التفسيرية، ومن ثم صنفت فيه مؤلفات عديدة ومختصة، ولم تخلوا هذه النشأة من معارضة كبيرة جداً ونقد لاذع على متبنيه فصار في أزمة الافراط من قبل المؤيدين في إعماله في الآيات القرآنية وعلى وفق أدلتهم والتفريط في منعه من قبل المعارضين واحتجاجهم بأدلة في ذلك، حتى تبلورة ضوابط وضعها فريق ثالث تكون حل وسط في قبول الاعجاز العلمي مع التفريق بينه وبين التفسير العلمي[٢].

٢. الضوابط العلمية المنهجية للإعجاز العلمي:

١. الاعتقاد أن القرآن كتاب هداية وإرشاد أولاً وليس كتاب علوم وكونيات.
٢. ان لا يخالف المفسر القواعد اللغوية والبلاغية، ويجب عليه ضبطها وإيضاحها في النص.
٣. الاكتفاء بالحقائق العلمية في الاستدلال، وعدم الاستدلال بالنظريات والفرضيات العلمية.
٤. الوقوف على مرونة الأسلوب القرآني في توضيح المضامين العلمية بحيث يحتمل ذلك الأسلوب وجوهاً من التأويل.

---

(١) ظ: المؤلف، الاعجاز في القرآن الكريم، ص٩٧.
(٢) للتوسعة في نشأة التفسير العلمي وأدلة المؤيدين والمعارضين؛ ظ: المؤلف، الاعجاز في القرآن الكريم، ص٩٧.

٥. عدم حصر دلالة الآية القرآنية على الحقيقة الواحدة، بل إبقاء الآية مفتوحة الدلالة بحيث تحتمل كل ما يتفق مع معناها.
٦. اليقين باستحالة التصادم بين الحقائق القرآنية والحقائق العلمية.
٧. اتباع المنهج القرآني في طلب المعرفة من خلال النظر في الآيات الربانية في الكون والنفس والآفاق والتعرف على سنن الله في هذا الوجود.
٨. ان لا يتعسف المفسِّر في تحميل الآية القرآنية ما لا يتحمله ظاهرها.
٩. الإعجاز العلمي يُثبت عالمية رسالة القرآن الكريم، وذلك لأن القرآن يدعو الناس في كل عصر لدين الله.

٣. أمثلة على الإشارات العلمية في القرآن:

أ- قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَاراً كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللهَّ كَانَ عَزِيزاً حَكِيماً﴾[١] هذه الآية فيها من التهديد والوعيد بعذاب أليم للكافرين يوم القيامة وجاء هذا العذاب في صورة تعذيب للجلود، فلماذا اختار الله سبحانه التعبير بعذاب الجلود دون غيره من ألوان العذاب، إن في ذلك لحكمة حيث استطاع العلم التوصل إلى وجود أوعية ناقلة للإحساس وهي تحت الجلد مباشرة وتصل على خمسة عشر نوعاً كل نوع له وظيفته وطبيعته، لهذا فإن الألم الذي يحصل لجسم الإنسان يذوقه كل الجسم.

ب- قال تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللهُّ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾[٢] بفضل الطيران والبالونات استطاع الإنسان التعرف على ظاهرة طبيعية وهي نقص أوكسجين الهواء في طبقات الجو العليا حيث إن الصاعد يشعر بصعوبة وضيق في التنفس والآية القرآنية صرحت

(١) سورة النساء آية: ٥٦.
(٢) سورة الأنعام آية: ١٢٥.

بهذه الظاهرة منذ زمن بعيد، وهذا يدعونا إلى الإيمان الراسخ بأن ما جاء به النبي الخاتم محمدٌ ﷺ إن هو إلا وحي يوحى علمه شديد القوى.

ج- قال تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾[١]. الرضاعة أوجبها الله سبحانه على الأم لأطفالها حفاظاً على الأطفال من الناحية الجسدية والنفسية والعقلية فقد تحدث الطب الحديث عن مقارنة بين الإرضاع الطبيعي والحليب الصناعي وذكر الآتي:

١. أن مميزات اللبن الطبيعي أنه يتناسب من يوم لآخر عند الأم مع حاجة الطفل على مدار العامين الذي يرضع فيها الطفل.
٢. أما الإرضاع الصناعي فهو ثابت التركيز ولا يتناسب مع نمو الطفل، لذلك أشار الأطباء إلى أهمية إرضاع الطفل من أمه وخاصة في الأيام الأولى من ولادته لأن اللبن في هذه الفترة يحتوي على عناصر ومواد لها دخل كبير في تكوين المناعة من الأمراض عند الطفل.
٣. إن حليب الأم لا يحتاج إلى تعقيم ولا تعلق به الجراثيم بينما الحليب الصناعي فهو عرضة من خلال أي إساءة في استعمال الأدوات.
٤. لبن الأم أسهل في الهضم على الطفل من اللبن الصناعي حيث إن اللبن الصناعي يحتاج هضمه من ثلاث إلى أربع ساعات[٢].

وبكلمة.. إن آيات الكتاب الحكيم جاءت في أسلوب وعبارة تفتح أمام العقل البشري آفاقاً واسعة للتفكير في دلالاتها عبر عصوره المتعاقبة من بعد نزول القرآن، فيقوم لديه من هذه الدلالات في كل عصر ما يشهد بالحق الذي جاءت به.

---

(١) سورة البقرة آية: ٢٣٣.
(٢) ظ: د. إحسان دوغره مجي، الرضاعة الطبيعية في الإسلام، ص٤١١ .٤٢٢، لمحات في إعجاز القرآن، ص٤٤-٤٥.

وفي عصرنا الذي نعيشه، وفي غضون عشرات قليلة من السنين، وبالقياس إلى تاريخ البشرية الممتد وصلت المكتشفات العلمية المتعلقة بالكون في آفاقه، وفي أنفس مخلوقاته ما لم تصل إليه من قبل.

وانطلاقاً من اهتمام المسلمين بكتاب ربهم تبارك وتعالى، فإن علماءهم في هذا المجال بدؤوا يمعنون النظر والفكر في هذه الآيات، ويتلمسون فيها من جوانب القدرة – فيما أشارت إليه – ما يعد جانباً من جوانب الإعجاز القرآني، يصلح لدعوة الناس إلى دين الله سبحانه، في زمن فتن الناس فيه بالعلم، وبما تحقق من منجزاته فتنة عظيمة، وهذا ما يطلق عليه –من جوانب الإعجاز القرآني– الإعجاز العلمي.

سادساً: الاعجاز في الانسجام وعدم الاختلاف في النص القرآني

أحد أبعاد أعجاز القرآن الكريم التي أشار إليها القرآن نفسه وتحدّى بها، كونه نازلاً من قبل اللّه تعالى، هو عدم وجود التناقض والاختلاف في سائر أنحائه، في حين أنّ الصفة الغالبة على الظروف التي نزل فيها القرآن والمعارف المتنوعة فيه تدلل على أنّه لو لم يكن صادراً من قبل اللّه ﷻ لوقع فيه الاختلاف والتناقض، بل الاختلافات والتناقضات الكثيرة، وقد أشار القرآن إلى هذه الحقيقة في قوله تعالى: ﴿**افَلَا يَتَدَبَّرُونَ القُرآنَ وَلَوْ كَانَ مِن عِنْدِ غَيرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اختِلَافاً كَثِيراً**﴾(١).

ولتوضيح هذا البُعد الاعجازي في القرآن الكريم اننا نلحظ إنّ الحالات الروحية لأي إنسان في تغير مطرد وقانون التكامل يحيط بالإنسان فكراً وروحاً في حالة وجود ظروف طبيعية، وفي عدم حصول وضع استثنائي – ظرف عام أو مرض أو علة – فالإنسان على مرّ الأيّام والشهور والسنين يحدث تحولاً مستمراً في أفكاره وأحاديثه، وإذا ألقينا نظرة فاحصة على تصانيف أحد الكتّاب فسوف لن نجدها على نسق واحد اطلاقاً، بل لابدّ من وجود تفاوت في بداية الكتاب ونهايته، خاصة إذا ما كان

(١) سورة النساء، الآية: ٨٢.

الإنسان واقفاً أمام موجة من أحداث كبيرة وساخنة، أحداث تضع الحجر الأساس لأحد الانقلابات الفكرية والاجتماعية والدينية الشاملة، فهذا الإنسان مهما سعى وأراد أن يكون كلامه على سياق ونسق واحد، ومعطوفاً على سابقة لا يقوى على ذلك.

أمّا القرآن الكريم فقد نزل على حسب الاحتياجات والمتطلبات التربوية للمجتمع في ظروف وملابسات مختلفة تماماً طيلة ثلاث وعشرين عاماً، فهو الكتاب الذي تحدث عن مواضيع متنوعة، وهو ليس كسائر الكتب التي تواكب بحث محدد أو موضوع معين من البحوث الاجتماعية أو السياسية أو الفلسفية أو الحقوقية أو التاريخية فحسب، بل أحياناً يتحدث القرآن المجيد عن معارف كثيرة منها التوحيد وأسرار الخلقة، وأحياناً عن الأحكام والقوانين، والآداب والسنن، وتارة يتحدث عن الامم السابقة وقصصهم المثيرة، وتارة اخرى عن المواعظ والنصائح، والعبادات، والعلاقة القائمة بين اللّه تعالى وعباده.

وكانت ظروف نزول آياته الكريمة متنوعة أيضاً فمنها ما نزل في الليل والنهار، وفي الحرب والسلم، وفي يوم النصر ويوم الهزيمة، وفي يوم العسرة ويوم الأمن.

إنَّ مثل هذا الكتاب المشتمل على هذه الخصوصيات لا يمكن أن يخلو من التضاد والتناقض واختلاف الأقوال الكثيرة عادة، لكن عندما نرى الانسجام القائم بين آياته كلها، وخلوها من كل ألوان التضاد والاختلاف والتهافت يمكننا حينئذٍ اليقين بأنّ هذا الكتاب ليس وليد أفكار الناس، بل هو صادر من قبل الباري تعالى، كما بيّن القرآن نفسه هذه الحقيقة في الآية السابقة.

حتى أنّ البعض من المفسرين صرحوا بأنّه لا يقتصر الأمر على عدم وجود التضاد في القرآن فحسب، بل يتعداه إلى عدم وجود التفاوت والاختلاف في درجة فصاحته وبلاغته أيضاً[١].

---

(١) نعم لعله نجد بحسب فهمنا هناك آيات أبلغ من آيات أخرى، ويستشهد البعض بان آية: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾. سورة المسد، الآية: ١ ليست بمنزلة: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي﴾. سورة هود، الآية:

سابعاً: إعجاز القرآن في وفاؤه بحاجات البشر

ومعنى هذا أن القرآن الكريم جاء بهدايات تامة كاملة تفي بحاجات البشر في كل عصر ومصر وفاء لا تظفر به في أي تشريع ولا في أي دين آخر ويتجلى لك هذا إذا استعرضت المقاصد النبيلة التي رمى إليها القرآن في هدايته والتي نعرض عليك من تفاصيلها ما يأتي:

١: إصلاح العقائد عن طريق إرشاد الخلق إلى حقائق المبدأ والمعاد وما بينهما تحت عنوان الإيمان بالله تعالى وملائكته ورسله واليوم الآخر.

٢: تحرير العقول والأفكار، وحرية ابداء الرأي والرأي الآخر مع مراعاة الضوابط العامة، ومنع الإكراه في الدين والاضطهاد والسيطرة والاستبداد(١).

٣: إصلاح العبادات عن طريق إرشاد الإنسان (الفرد والمجتمع) إلى ما يزكي النفوس ويغذي الأرواح ويقوّم الإرادة وينفع الإنسان في بناءه الإنساني وغاية وجوده(٢).

٤: إصلاح الأخلاق عن طريق إرشاد الناس إلى فضائلها وتنفيرهم من رذائلها في قصد واعتدال وعند حد وسط لا إفراط فيه ولا تفريط.

٥: إصلاح شؤون المرأة؛ من حيث أعطاها القرآن الكريم حقوقها كاملة من الناحية الإنسانية والمدنية والاجتماعية وأوجب احترامها وتقديرها أماً وبنتاً وأختاً وزوجة، كما وضعها في المكان اللائق بها الذي يتفق مع أنوثتها ومهمتها في الحياة.

٦: التيسير ورفع الحرج عن الناس في جميع ما شرع القرآن الكريم من أحكام.

٤٤؛ لكن هذا يتأتى عند اختلاف المقامات أي أنّ كل واحدة منها تعتبر من أفضل التعابير وانسبها في مقامها الخاص بها، ومن هذه الجهة لا يوجد تفاوت واختلاف. وكذلك فيمن يعتقد بوجود تفاوت في آيات الناسخ والمنسوخ.

(١) ظ: المؤلف، حرية العقيدة والرأي في الفكر الإسلامي، ص٥٥ وص١١٧.

(٢) ظ: المؤلف، الفرائض العبادية وأثرها في البناء الإنساني – دراسة قرآنية –، ص١١.

٧: إصلاح الاجتماع عن طريق إرشاد الناس إلى توحيد صفوفهم ومحو العصبيات وإزالة الفوارق التي تباعد بينهم، وذلك بإشعارهم أنهم جنس واحد من نفس واحدة ومن عائلة واحدة أبوهم آدم وأمهم حواء وأنه لا فضل لشعب على شعب ولا لأحد على أحد إلا بالتقوى وأنهم متساوون أمام الله ﷻ ودينه وتشريعه متكافئون في الأفضلية وفي الحقوق والتبعات من غير استثناءات ولا امتيازات وأن الإسلام عقد إخاء بينهم أقوى من إخاء النسب والعصب وأن لسانهم العام هو لسان هذا الدين، وأنهم أمة واحدة يؤلف بينها المبدأ ولا تفرقها الحدود الإقليمية ولا الفواصل الأخرى.

نعم ان القرآن الكريم الذي أنزله الله تعالى تبياناً لكل شيء كان حاملاً لمقاصد نبيلة[١] صالحة ان تكون منهج حياة للبشرية شاملة لكل ما تحتاجه الحياة الفاضلة وتقتضيه مصالح الناس في دنياهم وآخرتهم، وهي بهذا تحمل من الجزئيات ما ليس بالمستطاع تفصيله ها هنا وانما ما ذكرناه إشارات توضح مقصدنا.

أخيراً.. هناك وجوه أخرى للإعجاز القرآني إضافة لهذه الأنواع من الإعجاز المتقدمة؛ أشار إليها أهل الاختصاص من العلماء والمفسرين والأدباء والتي منها: الإعجاز العددي، والاعجاز التاريخي، والإعجاز الأخلاقي، والإعجاز النفسي والروحي، والإعجاز التربوي، والإعجاز الصوتي، والإعجاز اللغوي، والإعجاز البنائي؛ وغير ذلك مما سيكشف لنا التطور المعرفي والعلمي وجهود الباحثين في خدمة القرآن الكريم من جهة إعجازه، الذي شرفنا الله تعالى بالانتساب إليه، ومنّ علينا بالاهتداء به: ﴿**وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ**﴾[٢].

(١) للتوسعة في هذه المقاصد ظ: المؤلف، مناهج المفسرين، ص٣١.
(٢) سورة الزخرف، الآية: ٤٤.

الفصل السادس

علم المناسبات في القرآن الكريم

إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ

الفصل السادس
علم المناسبات

موضوع هذا الفصل هو علم المناسبة وهو من علوم القرآن الموضوعية، التي لها علاقة مباشرة في النص القرآني، وتأتي أهمية دراسة علم التناسب في القرآن الكريم كونه يُعين المفسّر عند دراسة السورة القرآنية وعلى معرفة وجوه التناسب فيها، ويلقي الضوء على محورها، ويبين الغرض الكلي لها، وهذا يساعد على تحديد الزاوية التي ينطلق منها في بيان معاني الآيات الكريمة، كما أنه يكشف وجهاً إعجازيّاً من وجوه إعجاز القرآن الكريم.

فهو علم يعتمد على مساق الآيات القرآنية في السورة الواحدة أو في السور المجاورة، ومن جانب آخر فهو علم يعتمد في بيان تناسب الآيات القرآنية على الذائقة التفسيرية للمفسر، وذلك لأنه علم اجتهادي لا توقيفي.

أولاً: المقصود بالمناسبات:

المناسبة في **اللغة:** المقاربة والمشاكلة، يقال: فلان يناسب فلاناً، أي يقاربه ويشاكله. ومنه النسيب الذي هو القريب المتصل بغيره، كالأخ وابن العم[1].

وعامة؛ فالمناسبة لغة في مجموع معانيها الواردة عند العلماء تعني: المقاربة، والمشاكلة، الاتصال، والتاؤم، والاتساق، والتجانس. ويعني ذلك وجود صلة، أو رابط يقارب بين شيئين في نسق واحد.

---

(١) ظ: ابن منظور، لسان العرب، مادة نسب، ١١٨/١٤.

المناسبة في **الاصطلاح:** ذكر العلماء تعريفات لهذا العلم وإن كان جميعها ينتهي إلى معنى واحد منها:

قال البقاعي (ت:٨٨٥هـ): (هو علم تعرف منه علل ترتيب أجزاء القرآن)[١].

وقال السيوطي (ت:٩١١هـ): المناسبة في اللغة المشاكلة والمقاربة، ومرجعها في الآيات ونحوها إلى معنى رابط بينهما عام أو خاص، عقلي أ و حسي، أو غير ذلك من أنواع علاقات التلازم الذهني[٢].

ويقال للمناسبة الرابطة بين شيئين بأي وجه من الوجوه، ويعنى بها في كتاب الله تعالى: إدراك أوجه الارتباط بين السور وما قبلها وما بعدها، وبين الآية وما قبلها وما بعدها[٣].

فالمناسبة علم تعرف منه علل الترتيب بين أجزاء القرآن وهي سر البلاغة في أدائه، وتحقيق مطابقة المقال لما اقتضاه الحال.

من خلال ما سبق نصل إلى أن التناسب يكون بين الألفاظ من حيث البنية أو الدلالة، أو بين الألفاظ والسياقات التي ترد فيها من حيث الشكل أو المعنى، وبتعبير آخر هي وضع الكلام موضعه الذي يليق به حتى يتم له الحسن والبلاغة.

إذن يتعدى البحث فيها إلى بيان العديد من نظوم (نظم) الآيات من تقديم وتأخير وحذف وذكر وتناسب في الصيغ والفواصل، والألفاظ والمعاني، وغير ذلك مما له تعلق بمقتضيات أحوال التركيب والترتيب، وإدراك المقامات والأحوال المقتضية لها على ما قرر ذلك البقاعي بأن جعل جل موضوع (التناسب) بالغ مهمته إيجاد (علل الترتيب والتركيب).

---

(١) ظ: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ١/٥.
(٢) معترك الاقران، ١/٤٤.
(٣) ظ: د. مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، ص٥٨.

نعم.. قد عبر بعض العلماء والباحثين عن علم المناسبة بـ«نظام القرآن»، وبعضهم يبحثه تحت ما يسمى بمصطلح الوحدة الموضوعية، والوحدة البنائية والوحدة العضوية، والانسجام، والتناسق، وروح التركيب، وآخرين عدوه من آليات ترابط النص القرآني(١).

وان اختلفت آراء العلماء حول مصطلح التناسب في القرآن الكريم، ولكن لا مشاحة في المصطلح ما دام الهدف واحداً(٢).

وعلم المناسبات بين سور القرآن الكريم أو بين الآيات في السورة الواحدة من العلوم الدقيقة التي تحتاج إلى فهم دقيق لمقاصد القرآن الكريم، وتذوق لنظم القرآن الكريم وبيانه المعجز، وإلى معايشه جو التنزيل، وكثيراً ما تأتي إلى ذهن المفسر على شاكلة إشراقات فكرية أو روحية(٣).

والتعبير الدارج عند البلاغين والمفسرين عن مصطلح (التناسب) هو مصطلح (المشاكلة)؛ وتعني (المشاكلة) أصل من أصول العربية، تُطْلَب في الكلام، ويُترك لأجلها ما يقتضيه الميزان الصرفي أو القاعدة الإعرابية، ويقصدها الفصحاء والبلاغيون؛ لما لها من قيمة جمالية.

---

(١) ظ: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ٣٧/١، د. اقبال وافي نجم، البعد الترابطي في القرآن، ص٦، رشيد برقان، آليات ترابط النص القرآني، ص٢٥٣، د. محمد الموسوي المقدم وآخر، التناسب في ترتيب نزول السور القصار سورة العلق والقلم والمزمل أنموذجاً، ص٢٣١، د. طه جابر العلواني، معالم في المنهج القرآني، ص٨٧، الرافعي، إعجاز القرآن، ص١٦٨.

(٢) لكن قد نلحظ ان هناك فارقاً دقيقاً في تعريف المصطلحات وإجراءاتها التطبيقية، فمثلاً قد عُرفت الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية بانها: (التفسير الذي يتوجه فيه المفسر إلى الكشف عن الموضوع الذي تعالجه السورة في ضوء معطيات آياتها المحكمة النسج والارتباط بأسلوبها المتميز وخصائصها المعجزة، بلوغا إلى مقاصدها الهدائية). عبد الجليل عبد الرحيم، التفسير الموضوعي في كفتي الميزان، ص٣٤، إلا ان هناك من الباحثين انتقد هذا التعريف بقوله: (إن الوحدة الموضوعية ليست تفسيرا، وانما هي مقصد وغاية يسعى الباحث إلى تحقيقه، والكشف عن جماله وسحر بيانه، وذلك بإحاطة السورة بنظرة شمولية). د. زياد الغاميين، التفسير الموضوعي ومنهجية البحث فيه، ص٢٢. وهذا الموضوع في الفصل بين المصطلحات من حيث (النظري والتطبيقي) يحتاج الى كثير من التمعن والتدبر ولا نجد ان هذه الأوراق كفيلة في تحقيق هذا الأمر، آملاً من الباحثين الكرام بيان ذلك في بحوث مستقلة. ومبدئياً نسلم على ما اثبتاه في المتن بحسب تتبع الباحث.

(٣) ظ: د. مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، ص٨٥.

ثانياً: الفرق بين المناسبة والنظم:

يتَّضح من التعريفات السابقة لمصطلح المناسبة أو التناسب ولِما تقدم من فقرات هذا البحث، أن هناك تقارباً شديداً بين علم المناسبة والنظم.

قال الشيخ عبد الحميد الفراهي الهندي (ت:١٣٤٩هـ) – وقد أطلق على التناسب اسم النظام –: (ومرادنا بالنظام أن تكون السورة وَحدة متكاملة، ثم تكون ذات مناسبة بالسورة السابقة واللاحقة... وعلى هذا الأصل، ترى القرآن كله كلاماً واحداً ذا مناسبة وترتيب في أجزائه من الأول إلى الآخِر)[١].

وإن كان التناسب علم اجتهادي وله علاقة بالنظم، والشكل البنيوي للقرآن الكريم، فإنّه لا يتم التحقق من هذا الأمر، إلاّ بكشف براعة ذلك النظم، وتلك البنية الموضوعية، من خلال السورة الواحدة، والتي يبدو أحياناً أنّ لها مقاصد شتى، وأفكاراً عدة مختلفة متباعدة، والحقيقة عكس ذلك تماماً، إذ الناظر فيها، والمدقق لها يرى تلك اللحمة من الأفكار، وذلك التناسق في العبارات، والألفاظ، وذلك التوافق، والتناغم في الفواصل، والموسيقى من بداية السورة إلى نهايتها، وكيف يقلب العجز على الصدر، حتى تبدو لك تلك الأفكار ملتئمة متزاحمة تصب جميعها في قالب واحد، يمثل موضوع السورة.

إذن النظم أعم من المناسبة، فالمناسبة جزء من النظام، ويمثل هذا الاتجاه المفسر الفراهي الهندي، وسيد قطب، ومحمد عبد الله دراز.

وبهذا يُسهم هذا العلم، سواء المناسبة أو النظم، في الكشف عن بعض مظاهر إعجاز هذا القرآن العظيم، فليس ترتيبه ببعيد عن روح إعجازه، فإعجاز القرآن ليس فقط في مظهر واحد، بل في صور كثيرة منها ما تحدثنا عنه بإيجاز في موضوع علم المناسبة والنظم.

---

(١) دلائل النظام، ص٧٤.

ثالثاً: نشأة علم المناسبات

للعلماء في تقرير زمن نشوء علم المناسبات أقوال متعددة، فمنهم من يرى نشأته قبل نهاية القرن الثالث الهجري حيث عرفت بداياته في بغداد على يد (أبي بكر النيسابوري) المتوفى ٣٢٤هـ. وفي ذلك يقول أبو الحسن الشهراباني[١]:

(أول من أظهر ببغداد علم المناسبة، ولم نكن سمعناه من غيره . هو الشيخ الإمام أبو بكر النيسابوري[٢]، وكان غزير العلم في الشريعة والأدب، كان يقول على الكرسي إذا قُرئت عليه الآية: لِمَ جعلت هذه الآية إلى جنب هذه؟ وما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة؟ وكان يُزري على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة)[٣].

وبعض الباحثين يرى ان علم المناسبات القرآنية أقدم من القرن الثالث الهجري، وان انتشاره ومعرفته تعود الى الصدر الأول من الإسلام إذ كان معروفاً بين الصحابة والتابعين[٤].

فعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام عن أبيه الإمام محمد الباقر عليه السلام قال: دخلت على جابر بن عبد الله الأنصاري فسأل عن القوم حتى انتهى إلي، فقلت: أنا محمد بن علي بن الحسين، فأهوى بيده إلى رأسي، فنزع زري الاعلى، ثم نزع زري الأسفل ثم وضع كفه بين ثديي وأنا يومئذ غلام شاب؛ (...) فقال: مرحباً بك يا ابن أخي، سل عما شئت؟. فسألته وهو أعمى؛ فقلت: أخبرني عن حجة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. – في

(١) منسوب إلى قرية شهربان الواقعة شرق بغداد، وإليها ينسب كثير من أهل العلم، ظ: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ٣٦/١.
(٢) هو أبو بكر عبد الله بن محمد بن زياد بن واصل بن ميمون النيسابوري الفقيه الشافعي الحافظ صاحب التصانيف، رحل في طلب العلم وقرأ على الموزني وصار إماماً للشافعي بالعراق، (ت:٣٢٤هـ)، ظ: سير أعلام النبلاء ٦٥/١٥، الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ٣٦/١.
(٣) ظ: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ٣٦/١، السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ١٨٠/٢.
(٤) للتوسعة في نشأة علم المناسبات؛ ظ: د. عبد الحميد محمود غانم، علم المناسبات القرآنية: موضوعه . تطوره . مكانته، ص٣٢. د. الفاضل عبد الحكيم الأنيس، أضواء على ظهور علم المناسبة القرآنية، ص١١٠.

تفصيل طويل نأخذ محل الشاهد – فقال: (.. ثم رجع إلى الركن فاستلمه ثم خرج من الباب إلى الصفا، فلما دنا من الصفا قرأ: ﴿**إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ**﴾[١] إبدؤا بما بدأ الله به، فبدأ بالصفا فرقى عليه حتى رأى البيت فاستقبل القبلة، فوحد الله وكبره)[٢].

والشاهد هنا قوله في الحديث: فلما دنا من الصفا قرأ: ﴿**إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ**﴾[٣] إبدؤا بما بدأ الله به، فبدأ بالصفا.

فالرسول ﷺ بدأ بالصفا لمّا بدأ الله بها في الآية، وقال: "أبدأ بما بدأ به الله"، فراعى ﷺ مناسبة البدء بذكر الصفا في الآية، فبدأ بها في السعي.

قال الأصمعي (ت:٢١٦هـ) عبد الملك بن قريب: كنت في مجلس أقرأ سورة المائدة، ومعنا أعرابي، جاء لتوه من البادية، فقرأت: (**وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللهِ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**)؛ فقال الأعرابي: كلام من هذا؟؟ فقلت: هو القرآن كلام الله!! فقال: ما هذا بقرآن!! أعد ما قلت!! يقول الأصمعي: فكررتها مرة أخرى. فقال الأعرابي: ما هذا بقرآن !!. أعد ما قلت!!

يقول الأصمعي: فانتبهت لخطأ في تلاوتي.. وقلت: ﴿**وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللهِ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾[٤]؛ فقال الأعرابي: الآن أصبت!! فقلت: يا هذا! أتحفظ القرآن؟؟ فقال: لا! فقلت: وكيف عرفت؟!! فقال: عَزَّ فحكم فقطع، ولو غفر ورحم في هذا لَمَا قطع!![٥]

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٥٨.
(٢) المجلسي، بحار الانوار، ٦٠٦/٣٠، مسلم، صحيح مسلم، ٣٩/٤.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٥٨.
(٤) سورة المائدة، الآية: ٣٨.
(٥) ظ: الرازي، تفسير مفاتيح الغيب، ٢٢٩/١١.

وهذا الشاهد يدخل في مناسبة الفواصل القرآنية للسياق ويلحق بمباحث الاعجاز البياني للقرآن الكريم.

أما مصطلح **(المناسبة)** فلا يُعرف أول من وضعه لهذا الفن، لكن أول من استعمله هو المفسر فخر الدين الرازي (ت:٦٠٤هـ) عند تفسيره لآخر سورة المائدة حينما أشار الى وجه التناسب بين خاتمة السورة وافتتاحها؛ حين قال: (فما أحسن المناسبة بين ذلك المفتتح والمختتم)[١].

رابعاً: ثمرة علم المناسبة:

ويبدو مما تقدم ان ثمرة هذا العلم هو الاطلاع على الرتبة التي يستحقها الجزء بسبب تعلقه بالكل، وارتباطه بما وراءه وما أمامه ارتباطاً كلُحمة النسب؛ بحيث تبدو أجزاء الكلام وقد أخذ بعضها بأعناق بعض. وتتوقف معرفته، وثمرته، والإجادة فيه على إدراك مقصود كل سورة في كل جملها القرآنية؛ ومن أجل ذلك كان هذا العلم في غاية النفاسة.

وقد نوّه المستشرق نولدكه[٢] بذاك إذ رأى أن القرآن الكريم وحدة مترابطة ترجع كلّها الى معرفة التوحيد، ثم طبق مبدأ هذا العلم على جزء من النص القرآني (السور المكية) وان كانت نصوصاً صغيرة إلا أنها جزء من نص متماسك هو النص القرآني ينبغي ربطها به[٣].

خامساً: أسباب اقلال اغلب المفسرين من علم المناسبة:

على الرغم من أهمية علم المناسبة فإن العناية بهذا العلم لم تكن بقدر أهميته، فقد قل اعتناء العلماء به مقارنة هذا العلم بالعلوم الأخرى المتعلقة بالقرآن، مثل علم

(١) تفسير مفاتيح الغيب، ١١٥/١٢.
(٢) ظ: تاريخ القرآن، ص٧٧.
(٣) ظ: د. قطب الريسوني، النص القرآني من تهافت القراءة الى أفق التدبر، ص٢٢٤.

المحكم والمتشابه وعلم الناسخ والمنسوخ... الى غير ذلك، وتظهر هذه القلة في شحة الدراسات في هذا العلم وندرتها عندهم، وقد عبر أبو الفضل الغماري الحسني (ت:٢٠١٠م): عن هذه الحال قائلاً: (وهذا فن عزيز قل من تعرض له من العلماء على كثرة من تعرض منهم لفنون القرآن المتنوعة مثل تفسيره وإعرابه وقراءاته وتجويده واستنباط أحكامه وقصصه وغير ذلك)[١].

ولعل أهم الأسباب التي أدت الى عزوف كثير من العلماء عنه ما يلي:

١. الخلاف بين العلماء فيما يتعلق بترتيب المصحف؛ حيث اختلفوا في وضع السور أهي بتوقيف من النبي ﷺ أم هي بتوفيق من الصحابة؟
٢. لدقته فهو علم يحتاج الى كثير من التأمل وإعمال الفكر، قال الزركشي: (وقد قلّ اعتناء المفسرين بهذا النوع لدقته)[٢].
٣. عزوف طلبة العلم عنه، وهذا يظهر فيما قاله ابن العربي (ت:٥٤٣هـ): (كم فتح الله لنا فيه، فلما لم نجد له حملة ورأينا الخلق بأوصاف البطلة ختمنا عليه وجعلناه بيننا وبين الله ورددناه إليه)[٣].
٤. يرى بعضهم انه علم يعتمد على جهد القائل من غير ضوابط مقررة مسبقاً، بحيث تختلف ثمرته من شخص الى آخر في نفس الموضوع لا سيما في تناسب سورة مع أخرى.

سادساً: موقف العلماء من علم المناسبات:

انقسم العلماء والمفسرين في وجود علم المناسبات في القرآن الكريم، على ثلاث فرق، فريق يرى وجود هذا العلم في سور وآيات القرآن الكريم، وفريق لا يرى وجود

(١) جواهر البيان في تناسب سور القرآن، ص٤.
(٢) البرهان في علوم القرآن، ٣٦/١.
(٣) السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ١٣٨/٢.

لهذا العلم، والفريق الثالث اختصر وجوده في الآيات دون السور، وتفصيل هذه الآراء على النحو الآتي:

الفريق الأول: يرى وجود التناسب في القرآن الكريم:

أكد أغلب أهل العلم على وجود التناسب في النص القرآني؛ وان علم المناسبات علم جليل القدر، وقد نبّه إلى أهميته عدد من المفسرين والعلماء منهم:

المفسر الطبري (ت:٣١٠هـ) في تفسيره جامع البيان عن تأويل آي القرآن، فقد تحدث عن المناسبة في مواطن كثيرة من تفسيره، وانتصر لها، وإن لم يُصرح بلفظ التناسب، وأغلب كلامه في المناسبة بين الآيات فحسب(١).

والمفسر الزمخشري (ت:٥٣٨هـ) قد تعرض للتناسب في تفسيره فأبان عن مناسبة بعض الآيات(٢).

كما أولى المفسر الطبرسي (ت:٥٤٨هـ) مسألة تناسب السور عناية خاصة، فقد حرص على ذكر تناسب أكثر السور القرآنية مع ما قبلها، في محاولة لبيان ارتباطها، ويكفي دليلاً على ذلك أن الطبرسي ذكر التناسب بين ١٠٩ سور من بين ١١٤ سورة ذكرت في القرآن الكريم. وإذ استثنينا سورة الفاتحة من العدّ، فإن الطبرسي لم يذكر التناسب في أربع سور فقط وهذا العدد إن دل على شيء فإنما يدل على مدى اهتمامه ببيان تناسب السور فيما بينها، وكذلك اهتمامه بالتناسب بين الآيات، فهو كثيراً ما يذكر ارتباط الآية أو الآيات بما قبلها(٣).

---

(١) ظ: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٤٥٨/٣.
(٢) ظ: تفسير الكشاف، ٢٩١/١؛ ٢٢٣/١؛ ٤٢٢/١.
(٣) ظ: مجمع البيان، ٣٧٥/٢، ٢٨/١، ٧/٣، ٣٧٥/٤، ١٨١/٥ وغيرها. للتوسعة ظ: د. مرتضى الايرواني، مذاهب التفسير واتجاهاتها في القرن السادس الهجري في خراسان، ص٢١.

ثم أكثر الفخر الرازي (ت:٦٠٤هـ) النظر فيه، فقال: (أن أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط)[١].

وتنبه ولي الدين محمد الملوي (ت:٧٧٤هـ) شيخ الزركشي لذلك العلم فقال: (والذي ينبغي في كل آية أن يبحث أول كل شيء عن كونها مكملة لما قبلها، أو مستقلة، ثم المستقلة ما وجه مناسباتها لما قبلها؛ ففي ذلك علم جم. وهكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها، وما سيقت له)[٢].

وقال الزركشي (ت:٧٩٤هـ): (واعلم أن المناسبة علم شريف، تحزر به العقول، ويعرف به قدر القائل فيما يقول)[٣].

وقال السيوطي (ت:٩١١هـ): (علم المناسبة علم شريف قلّ اعتناء المفسرين به لدقته)[٤].

ونجد المحاولة الجادة كانت عند العالم الهندي عبد الحميد الفراهي (ت:١٩٣٠م) في تفسيره (نظام القرآن): فقد أصّل لمنهج الوصول إلى الوحدة الموضوعية في السورة، وقصد بالنظام كما ذكره قائلاً ان: (معرفة روابط الكلام وتركيب أجزائه، وتناسب بعضه، أو هو عمود الكلام وحسن ترتيبه سواء أكان الكلام جملة واحدة أو عدة جمل، فلابد من الوحدة في نظمه وإلا كان – الكلام – منتشراً)[٥].

وكان تفسير سيد قطب (ت:١٩٦٦م) في ظلال القرآن واضح الملامح صراحة في تناسب السور حيث كان يفتتح تفسير السورة بذكر موضوعها العام، ثم يربط بين مقاطع السورة على ضوء ما ذكره من موضوعها وجوّها العام.

---

(١) تفسير مفاتيح الغيب، ١١٣/١٠.
(٢) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ٣٧/١.
(٣) المصدر نفسه، ٣٥/١.
(٤) معترك الأقران في إعجاز القرآن، ٤٣/١.
(٥) محمود حسن، المناسبة في القرآن الكريم، ص١٠.

ومن ذلك نلحظ توجيه سيد قطب لما يراه كثير من المفسرين من ظاهرة التكرار للقصة في القرآن الكريم، يقول الشيخ سيد قطب: (ويحسب الناس أن هناك تكراراً في القصص القرآني؛ لأن القصة الواحدة يتكرر عرضها في سور شتى، ولكن النظرة الفاحصة تؤكد أنه ما من قصة أو حلقة من قصة قد تكررت في سورة واحدة – من ناحية القدر الذي يساق وطريقة الأداء في السياق – وأنه حيثما تكررت حلقة، كان هناك جديد تُؤديه ينفي حقيقة التكرار)[١].

وتتجلى – في الغالب – أقسام الوحدة الموضوعية في السورة عند سيد قطب على الشكل الآتي:

- التناسب بين السورة والسورة.
- التناسب بين دروس السورة الواحدة التي تلتقي على تحقيق هدف السورة وغرضها، وتتناغم في إبراز ملامح تلك السورة.
- التناسب بين مقاطع الدرس الواحد كجزيئات تكمل موضوع ذلك الدرس.
- التناسب بين آيات المقطع الواحد كأفراد تلتقي وتكمل بعضها في إبراز شخصية السورة.
- التناسب بين كلمات الآية الواحدة وجملها؛ لتكون لبنة متكاملة من لبنات النص القرآني المعجز الفريد.

إن الإحاطة بالجهود التي بذلها العلماء قديماً وحديثاً قبل سيد قطب، والاطلاع عليها يؤكد وضوح فكرة الوحدة الموضوعية في السورة عندهم، خاصة تلك الجهود التي قدمها عبد الحميد الفراهي وليس سيد قطب أول من طبّق منهج البحث في سور القرآن على نحو موضوعي، لكن سيد قطب له فضل وجهد لا ينكر في التطبيق العملي لأكثر سور القرآن.

---

(١) في ظلال القرآن؛ ١/٦٤.

وكتب الدكتور محمد عبد الله دراز (ت:١٩٥٨م) في التناسب القرآني، وأطال النفس في مناسبات السورة الواحدة، وألح على ضرورة التعرض لذلك على الخصوص؛ تحقيقاً لمفهوم التناسب الكلي للسورة القرآنية دون إيغال في تحقيق الصلة بين الجزء والجزء إلى حد الاتحاد أو التماثل أو التداخل غاضين البصر عن النظام الكلي الذي وضعت عليه السورة في جملتها[١]، فخرج كتاب (النبأ العظيم) مثالاً موفقاً في بيان جلالة (علم المناسبات) وضرورته في فهم كتاب الله الحكيم.

وأورد المفسر محمد عزة دروزه (ت:١٩٨٤م) نسبة الروابط بين آيات ومضمون السور، وعطف الجمل على بعضها سياقاً أو موضوعاً لبيان النظم القرآني والترابط الموضوعي؛ فيقول: (لأن هناك من يتوهم ان آيات السور وفصولها مجموعة الى بعضها بدون ارتباط وانسجام في حين أن إمعاننا النظر فيها جعلنا على يقين تام بأن أكثرها مترابط ومنسجم)[٢]. وتجدر الإشارة ان المفسر في تفسيره كان ترتيب السور فيه على حسب النزول لا على الترتيب المعهود في سائر كتب التفسير. إلا انه لحظ فيمن لحظ أهمية علم التناسق.

هذه أقوال علماء محققين مارسوا علم التفسير وألّفو فيه وفي علومه وتبين لهم أهمية هذا العلم، وكل منهم قد مارس تطبيق هذا العلم في أحد مصنفاته سواء أكانت مؤلفاته خاصة بالتفسير أو عامة.

الفريق الثاني: لا يرى وجود للتناسب في القرآن الكريم

علم التناسب حاله كحال أي فن بما ان له من يؤيده؛ فإن الضرورة تقتضي ظهور من يعارضه ممن يرون ما لا يراه الفريق الآخر، ويأتون على دعواهم بما يدل

(١) ظ: النبأ العظيم، ص١٥٨.
(٢) التفسير الحديث، ٧/١.

عليها، وقد يكون الخلاف بين الفريقين لفظياً، كما يكون سر الخلاف في تنزيه كل فريق لموضوع البحث عما لا يليق به بحسب زاوية رؤيته له.

فكان لعلم المناسبات القرآنية معارضون من المفسرين القدامى والمعاصرين، وهم وإن كانوا قلّة، إلا أن رأيهم محل بحث ودرس، ولخشية الاطالة ولضيق المقام نلمح سريعاً لسبب معارضتهم(١) ونناقشه على النحو الآتي:

ولعل أقدم من رفع صوته مستنكراً لهذا الأمر الشيخ عز الدين بن عبد السلام المتوفى سنة (٦٦٠هـ)(٢).

كما اشكل الشيخ الشوكاني (ت:١٢٥٥هـ) على علم المناسبات وعلى القائلين به، فقال: (اعلم أن كثيراً من المفسرين جاءوا بعلم متكلف، وخاضوا في بحر لم يكلفوا سباحته، واستغرقوا أوقاتهم في فن لا يعود عليهم بفائدة، بل أوقعوا أنفسهم في التكلم بمحض الرأي المنهي عنه في الأمور المتعلقة بكتاب الله سبحانه، وذلك أنهم أرادوا أن يذكروا المناسبة بين الآيات القرآنية المسرودة على هذا الترتيب الموجود في المصاحف فجاءوا بتكلفات وتعسفات يتبرأ منها الإنصاف، ويتنزه عنها كلام البلغاء فضلاً عن كلام الرب سبحانه، حتى أفردوا ذلك بالتصنيف، وجعلوه المقصد الأهم من التأليف، كما فعله البقاعي في تفسيره)(٣). وذكر حجج المنكرين لهذا اللون من الارتباط بين الآيات، ونحا نحوهم، وضرب على بعض الأمثلة.

وقال الشيخ محمد عبده (ت:١٩٠٥م): (ليس القرآن كتاباً فنياً، فيكون لكل مقصد من مقاصده باب خاص به، وانما هو كتاب هداية ووعظ، ينتقل بالإنسان من شأن من شؤونه إلى آخر، ويعود إلى مباحث المقصد الواحد المرة بعد المرة، مع

---

(١) للتوسعة في الآراء ومناقشتها ظ: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ٣٧/١؛ د. مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، ص٦٢، د. إقبال وافي نجم، البعد الترابطي في القرآن الكريم، ص٣٠؛ محمود حسن، المناسبة في القرآن الكريم، ص١٣.
(٢) ظ: السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ١٣٨/٢.
(٣) تفسير الفتح القدير، ٧٢/١.

التفنن بالعبارة، والتنوع في البيان، حتى لا يمل تاليه وسامعه من المواظبة على الاهتداء)[١].

ومن المعاصرين ما ذكره الشيخ محمد جواد مغنية (ت:١٩٧٩م) في مقدمة تفسيره إذ قال: (لم أشغل نفسي والقارئ بذكر العلاقة والمناسبة بين الآيات واتصال بعضها ببعض، كما فعل المفسرون، لأن القرآن لم يوح إلى النبي ﷺ جملة واحدة، وانما نزل منجماً بين وقت يتابع أحياناً، ويبطئ أحياناً أخرى، ولم ترتب السور والآيات في القرآن الذي نقرأه حسب نزولها)[٢].

وقال الشيخ محمد سيد طنطاوي (ت:٢٠١٠م): (من حكمة مزج المسائل والموضوعات في القرآن من حيث هو مثاني تتلى دائما للاهتداء بها، لا كتاباً فنياً ولا قانوناً يتخذ لأجل مراجعة كل مسألة من كل طائفة من المعاني في باب معين)[٣].

ومن الذين انتقدوا القول بوجود وحدة موضوعية بالسورة، وانتقد الدكتور محمد دراز القائل بها – كما تقدم – الدكتور محمد رجب البيومي (ت:٢٠١١م)، إذ قال: (وقد أتاح د. دراز بذلك لكل مبتدئ أن يعمد إلى سورة من السور الكريمة فيختار بعض عناصرها المتقاربة، ويهمل ما لا سبيل إلى انضمامه، ثم يخرج على الناس برأي يهتف بوحدة الموضوع في السورة القرآنية)[٤].

إلا أن أوسع مقال في الرد على أصحاب المناسبات ما كتبه الشيخ محمد بن عبد الغزنوي (ت:١٢٩٦هـ) قال: (اعلم أن كثيراً من المفسرين جاؤوا بعلم متكلف وخاضوا في بحر لم يكلفوا سباحته، بل أوقعوا أنفسهم في التكلم بمحض الرأي

(١) محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ٤٥١/٢.
(٢) التفسير الكاشف، ١٥/١.
(٣) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ٢٦٠/٤.
(٤) البيان القرآني، ص١٩٥.

المنهي عنه في الأمور المتعلقة بكتاب الله سبحانه؛ وذلك أنهم أرادوا أن يذكروا المناسبة بين الآيات القرآنية المسرودة على هذا الترتيب الموجود في المصاحف، فجاؤوا بتكلفات يتبرأ منها الإنصاف ويتنزه عنه كلام البلغاء فضلاً عن كلام الرب سبحانه، حتى أفردوا ذلك بالتصنيف وجعلوه المقصد الأهم من التأليف..)[١].

ونلحظ ان ملخص اعتراضهم يكمن في ان المناسبات لا تُطلب من بين الآيات والسور وهي قد نزلت مفرقة كل واحدة منها في زمن يخالف زمن الأخرى، وفي قضية مغايرة لمضمون ما جاورها! وان بعض المفسرين القائلين بوجود التناسب اسرف بغير روية ودقة تمعن فتكلف الى حد الاسراف.

وفريق ثالث: يرى ان التناسب في الآيات فقط دون السور: وموقفهم هذا مبني على ان ترتيب السور في المصحف ليس ترتيباً توقيفياً، ومن ثم لا يرون ان هناك ترابط وتناسب بين سور المصحف الشريف ويحصرون التناسب في آياته فقط[٢].

سابعاً: تعليق على آراء المعارضين لعلم التناسب:

ونرى ان إشكال المعارضين في عمومه فيه نظر، ولا نميل إليه، وقد رد شبهتهم جملة من العلماء والباحثين[٣]، ونضيف:

أولاً: ان البحث في علم التناسب ليس بالأمر السهل ولا الهين الذي يصوره بعض الباحثين المعترضين، وليس من السهل على أي مبتدئ أن يحدد حتى بسهولة المقاصد العامة لها فضلاً عن تحديد المحور العام، فالنظر للسورة القرآنية يحتاج من العمق والخبرة والمهارة والفهم الثاقب ما لا يمتلكه المبتدئون، وهذا واضح من عرض المسألة ومدى صعوبتها واختلاف العلماء في تحديدها.

---

(١) ظ: الشوكاني، فتح القدير للشوكاني، ٧٢/١.
(٢) للتوسعة ظ: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٨/١، محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ١٩/١٠، محمد هادي معرفة، التمهيد في علوم القرآن، ٢٥٤/٥.
(٣) ظ: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ٣٧/١، محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم، ص١٥٤، د. مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، ص٥٨.

ثانياً: إن ترتيب سور وآيات القرآن الكريم أمر يدعونا الى التأمل العميق والبحث الدقيق؛ لما يكتنف هذا الترتيب من أسرار عظيمة، فترتيب المصحف ليس ترتيباً حسب النزول ولا على أي قاعدة عقلية ممكنة، فلا نلحظه رتب سوره بحسب الطول، ولم يرتبها بحسب الموضوع أو عدد آياتها، كما ان الآيات داخل السورة نفسها أيضاً غير مرتبة بحسب النزول أو بحسب الموضوع الواحد، فهو ترتيب عجيب!

وبعبارة أخرى ان القرآن الكريم اتخذ منهجاً خاصاً فريداً في عرضه للمواضيع، فلم تكن مواضيعه من خلال آياته وسوره كما هو المعهود في تقسيم الكتب الى أبواب والأبواب الى فصول، والفصول الى مباحث، وكل باب أو فصل يتناول موضوعاً خاصاً في كل جزئياته حتى يكتمل في كل قضاياه؛ وإنما وردت القضايا القرآنية موزعة على كل آية وسورة، بل قد تكون الآية الواحدة متضمنة لقضايا متعددة من حيث العقائد والعبادات والأخلاقيات وغيرها من المواضيع(١). وعلى هذا أن نظم القرآن الكريم وترتيب آياته يدهش أصحاب الأفهام الدقيقة بحسنه وتنسيقه ويدعونا فعلاً الى البحث عن أسرار ذلك.

ثالثاً: ان آيات القرآن الكريم وانتظامها في السور أمر توقيفي كما ان السور وترتيبها – كما يرى اغلب الباحثين – أيضاً في المصحف أمراً توقيفياً، وان كانت منزلة بالتدريج وباختلاف الزمان إلا ان النتيجة اكتمال بنائها من حيث السور والآيات بالشكل الذي بين أيدينا مصحفاً كاملاً.

قال الشيخ ولي الله الملوي (ت:٧٧٤هـ): (وقد وَهِم مَن قال لا يطلب للآي الكريمة مناسبة؛ لأنّها على حسب الوقائع المتفرّقة، وفصل الخطاب أنّها على حسب

---

(١) على سبيل المثال ظ: قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾. سورة البقرة، الآية: ٢٧٧.

الوقائع تنزيلاً، وعلى حسب الحكمة ترتيباً، فالمصحف كالصحف الكريمة على وِفق ما في الكتاب المكنون، مرتّبة سوره كلها وآياته بالتوقيف)[١].

وأكد هذا المعنى الشيخ محمد عبد الله دراز بقوله: (أجل إنك لتقرأ السورة الطويلة المنجمة يحسبها الجاهل أضغاثاً من المعاني حشيت حشواً وأوزاعاً من المباني جمعت عفواً، فإذا هي لو تدبرت بنية متماسكة قد بنيت من المقاصد الكلية على أسسٍ، وأصول..)[٢].

رابعاً: ان القرآن الكريم في اللوح المحفوظ هو كامل في صورته النهائية بعد تدرج نزوله، أي ان الذي بين أيدينا الآن هو ذاته من قبل نزوله من اللوح المحفوظ. فما كان إلا انتقاله من مكان الى آخر ولكن بالتدريج وتباعد الازمان وببعض الأسباب المتعلقة بالنزول والوقائع، فهو عبارة عن انتقال (آيات وسور) في مصحف واحد من مكان الى مكان آخر ولكن بشكل متفرق ليكون فيما بعد في مصحف واحد بعد ان نزل متفرقاً. فهو بهذا تفريق بعد جمع وجمع بعد تفريق.

خامساً: المتأمل في رأي بعض المعترضين يلحظ انهم لا ينفون التناسب في القرآن بالجملة، وانما يرون ان من غير الصحيح والمذموم هو التكلف والتعسف في طلب المناسبات في السور والآيات، حيث إن هناك فريقاً من القائلين بعلم المناسبات يرون أنه يوجد بين كل آيتين متجاورتين مناسبة ولا بد، وأن عدم ظهورها بسبب قلة علم الناظر فيها، وليس لتباعد الحوادث وتغير الأغراض علاقة بذلك بل المناسبة لابد منها.

إذ التكلُّف منهي عنه في التفسير أو في غيره، وأنه لا يجوز التكلم بمحض الرأي المنهي عنه، فعلم المناسبات يحتاج إلى تدبُّر وتفكُّر لا إلى تكلُّف وتعسُّف، وهو علم

(١) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ٣٧/١.
(٢) النبأ العظيم، ص١٩٥.

(لا بد منه ولا غنى عنه لأي مفسر؛ لأنه يُعين على فَهْم المعنى والترجيح بين الآراء، ومعرفة المقاصد العامة للآيات والسور، وغير ذلك من فوائد، والمناسبة قد تكون واضحة جلية)[١]، وقد تحتاج إلى تأمُّل دقيقٍ وتدبُّر عميقٍ، فإذا خَفِيت المناسبة، فلا ينبغي إنكارُها ونفيُها.

إذن ان التنوع في عرض القضايا القرآنية في السور والآيات لا يعني ان لا تناسب بين موضوع وآخر، وذلك لأن القضايا القرآنية كلها منبثقة من مشكاة واحدة، وتهدف نحو غاية واحدة، فهي من الله تعالى الى خلقه، ومن ثم لا تناقض بينها ولا تنافر.

وبالجملة فلا يكاد يخلو تفسير من التفاسير القديمة أو الحديثة من تناول هذا العلم إما بالنص عليه، أو بالإشارة إليه من خلال ربط معنى الآية أو السورة بما قبله.

ثامناً: أهمية علم المناسبات:

عرف علم المناسبات القرآنية طريقه إلى اهتمامات الباحثين المتأخرين بعد أن صارت مادة التفسير الموضوعي مادة مقررة على الطلبة؛ إذ لا تستقيم دراسة التفسير الموضوعي إلا أن ترتبط بدراسة علم المناسبات القرآنية إذ ان (علم المناسبات وثيق الصلة بالتفسير الموضوعي)[٢]؛ فكلاهما متمم للآخر ودال عليه؛ كما ويمكن ان نجمل أهميته في:

١. نسبة هذا العلم من علم التفسير مثل نسبة علم البيان من علم النحو[٣].
٢. معرفة المناسبة للسورة أو الآيات مع ما قبلها يساعد على حل مشكلات في تفسير القرآن فيوقف على الحق من معاني آيات حار فيها المفسرون، يقول

(١) د. أحمد محمد الشرقاوي سالم، موقف الشوكاني في تفسيره من المناسبات، ص٤.
(٢) د. مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، ص٥٧.
(٣) ظ: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ٦/١.

الدكتور مناع القطان: (كما أن معرفة سبب النزول لها أثرها في فهم المعنى وتفسير الآية، فإن معرفة المناسبة بين الآيات تساعد كذلك على حسن التأويل، ودقة الفهم)[١].

٣. يساعد هذا التنوع في معالجة الموضوع الواحد على تثبيته في نفس القارئ، أو السامع لكتاب الله ﷻ، أو المهتدي بهديه، إذ هو يوالي له إثبات هذا الموضوع من طرق عديدة، فكأنّه يكرر له هذا الموضوع دون تكرار، وإنما هو الترداد المستمر الذي يثبت القلب، ويغرس فيه موضوع السورة من موارد شتى، قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ، وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾[٢].

٤. يعين على فهم القرآن، بتلك النظرة الكلية الشاملة، التي تعين على فهم المعنى من خلال معرفة سياق الآيات، ومقاصد السور، وأهدافها، وصلتها بالسياق القرآني العام.

٥. يُغطي جانباً من جوانب الإعجاز القرآني، ويرد على شبهات المستشرقين، وأتباعهم الذين أنكروا هذا التناسب، ودعوا إلى إعادة ترتيب القرآن وفق نزوله[٣].

٦. علم يجعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض، فيقوي بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء[٤].

٧. بهذا العلم يرسخ الإيمان في القلب ويتمكن من اللب، وذلك أنه يكشف أن للإعجاز طريقين: أحدهما: نظم كل جملة على حيالها بحسب التركيب، والثاني: نظمها مع أختها بالنظر إلى الترتيب[٥].

---

(١) مباحث في علوم القرآن، ص٩٦.
(٢) سورة الفرقان، الآية: ٣٢.
(٣) ومنهم المستشرق لاشير ريجيس (ت:١٩٧٣م) الذي زعم ان في القرآن تداخل للعناصر المتنوعة واختلاف في مواضيعه، وكثرة تداعي الأفكار في السورة الواحدة..، ظ: القرآن: نزوله وتدوينه وترجمته وتأثيره، ص٢٩-٢٧.
(٤) ظ: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ١/٣٠.
(٥) ظ: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ١/١١.

٨. علم عظيم أودعت فيه أكثر لطائف القرآن وروائعه، وهو أمر معقول إذا عرض على العقول تلقته بالقبول[١].

٩. عدم مراعاة علم المناسبات بين الآيات يوقع في بُعد عن المعنى حتى في الآية الواحدة. وهذا ما حدث لكثير من المفسرين في تفسير آية الأهلة: جاء في سبب نزول صدر الآية عن ابن عباس: سأل الناس رسول الله ﷺ عن الأهلة فنزلت هذه الآية: ﴿**يَسْأَلونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ**﴾[٢]. وقال أبو العالية: بلغنا أنهم قالوا: يا رسول الله لِمَ خلقت الأهلة؟ فأنزل الله: ﴿**يَسْأَلونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ**﴾[٣].

ومن خلال عرضنا لأهمية علم المناسبات في التفسير ومزاياه، يتضح لنا مدى أهميته، ومدى حاجتنا لفهم القرآن فهماً جديداً معاصراً، ولهذا بات البحث في مناهج التفسير أمر ضروري، وأصبح التجديد فيها أمراً مهماً، وهذا نظراً لطبيعة الحياة ومتغيراتها، حيث أنزل هذا القرآن لخدمة البشر في كل مكان وزمان، وهداية لهم.

تاسعاً: شروط جواز طلب المناسبات في القرآن الكريم:

وبما ان التفسير جهد بشري وهو بهذا عرضة للوقوع في غير الصواب، وضع بعض العلماء شروطاً تحد من الشطط في إدراك المناسبة؛ وهي[٤]:

١. أن تكون المناسبة منسجمة مع السياق السابق واللاحق.
٢. أن لا تكون المناسبة متعارضة مع الشرع.
٣. أن تكون متوافقة مع تفسير الآية، غير مخالفة له مخالفة تضاد.

---

(١) ظ: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ٣٥/١.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٩.
(٣) ظ: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٢٢٥/١.
(٤) للتوسعة ظ: د. محمد كاظم الفتلاوي، علم المناسبة في القرآن الكريم، ص٥٦.

٤. أن لا تكون المناسبة متعارضة مع اللسان العربي المبين الذي نزل به القرآن العظيم.
٥. أن لا يجزم المفسر بأن هذه المناسبة هي مراد الله تعالى، غاية الأمر أن هذا ما أدّاه إليه اجتهاده ونظره وتدبره.
٦. أن يعلم أن المناسبة موجودة، ولا يلزم أن تكون ظاهرة في كل موضع لكل أحد.

وعليه نلحظ من هذه الشروط أنّ غير المفسر الذي لم تتحقق فيه الشروط التي وضعها العلماء، لا يحق له أن يُقْبِلَ ولا أن يتكلم في تفسير القرآن، خصوصاً هذا النوع من التفسير، لأنّه درجة متفوقة في التفسير التقليدي، فغير العالم المتخصص في التفسير والذي هو على درجة كبيرة من الأهلية، قد يسيء في الوقت الذي يتصور فيه أنّه يحسن، وقد يؤوّل تأويلاً أو يفسر تفسيراً، هو في صميمه تحريف لمعاني الآيات، والمفردات القرآنية عن مقاصدها.

وبهذا نلحظ ان أدراك المناسبات ليس توقيفياً وانما هو توفيقياً، وهو يعتمد على اجتهاد المفسر ورأيه، وان الشروط التي تطلب في جواز المناسبات هي ما يشترط في التفسير بالرأي[١]، وكذلك يعتمد على ذائقته الأدبية ورهافة حسه في استشعار الربط والتناسق في آيات الكتاب العزيز وسوره.

عاشراً: أقسام علم المناسبات:

للمناسبات في القرآن الكريم أنواع كثيرة؛ منها خارجية تتعلق بما هو خارج السورة، ومناسبات داخلية تتعلق بآيات السورة الواحدة، ويمكن اجمال التقسيم على النحو الآتي[٢]:

---

(١) ظ: د. محمد كاظم الفتلاوي، مناهج المفسرين، ص٩٩.
(٢) ظ: السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ٢٩١/٢، محمد بن عمر بن سالم بازمول، علم المناسبات في السور والآيات، ص٢٩، د. فهد بن عبد الرحمن الرومي، دراسات في علوم القرآن

القسم الأول: المناسبات بين السور، وتسمى أيضاً المناسبات الخارجية، ولها ثلاث صور:

١. مناسبة مطلع السورة مع مطلع ما قبلها.
٢. مناسبة مطلع السورة مع خاتمة ما قبلها.
٣. مناسبة مقاصد السورة مع مقاصد التي قبلها.

القسم الثاني: المناسبات في السورة الواحدة، وتسمى أيضاً المناسبات الداخلية. ولها خمس صور:

١. المناسبات بين الجمل في الآية الواحدة.
٢. المناسبة في ترتيب الآيات.
٣. مناسبة مطلع السورة مع مقاصدها.
٤. مناسبة خاتمة السورة مع مقاصدها.
٥. مناسبة مطلع السورة مع خاتمتها.

بعض من الأمثلة المتفرقة على التناسب: وخشية الاطالة ولضيق المقام ندرج فيما يأتي بعض محاولات اكتشاف التناسق في القرآن الكريم، وعلى النحو الآتي:

١. مناسبة السورة التي تليها بالموضوع:

وهذا النوع يعتمد على رصيد العلائق بين سور القرآن وارتباط بعضها ببعض، وهذا النوع اعتنى به أغلب من ألّفوا في المناسبات.

مثالنا على ذلك: مناسبه سوره الضحى لسورة الشرح التي تليها، فكلتاهما تناولتا النعم التي أكرم الله تعالى نبيه ﷺ، فذكرت سورة الضحى الرعاية له ﷺ منذ

الكريم، ص٤٥٠، محمد فاروق النبهان، المدخل إلى علوم القرآن الكريم، ص١٤٣، نذير حمدان، الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم، ص١٥٣.

صغره، فيّسر له من يكفله في يتمه، فكفله جده ثم عمه أبو طالب، وانعم عليه كذلك بالغنى بعد الفقر، فيسر له التجارة في مال السيدة خديجة "رضي الله عنها".

وتابعت سور الشرح الحديث عن هذه النعم على النبي ﷺ، بأن شرح الله تعالى له صدره، فكان ﷺ مطمئن النفس في جميع احواله، كذلك اذهب الله تعالى عنه ما يثقله من ذنوب بمغفرتها له.

٢. مناسبه بداية السورة لخاتمة السورة التي قبلها:

جاءت سور القرآن الكريم مرتبة كما في المصحف الشريف ترتيبا دقيقاً، حتى أنك لتجد تناسقاً في تتابع السور القرآنية.

مثالنا على ذلك: المناسبة بين خاتمة سورة طور في قوله تعالى: ﴿**وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ**﴾(١) مع بدايه سورة النجم في قوله تعالى: ﴿**وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى**﴾(٢) فخاتمة سورة طور أمرت بتسبيح الله تعالى عند (ادبار النجوم)، أي حين تغيب النجوم عند الصبح، وبداية سورة النجم بدأت بالقسم بالنجم كذلك.

ومثالنا الآخر: ما ورود في سورة الحديد بعد سورة الواقعة حيث افتتحت سورة الحديد بالتسبيح، قال تعالى: ﴿**سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾(٣)، لتتناسب مع خاتمة سورة الواقعة التي جاء في نهايتها قول الله تعالى: (**فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ**﴾(٤). يعني لقد سبّح لله ﷻ فسبِّح أنت، توافق مع ما في السماوات والأرض، هؤلاء كلهم سبحوا الله سبحانه وتعالى فسبِّح أنت باسم ربك العظيم. لا شك أن هذه مناسبة بيانية لطيفة(٥).

---

(١) سوره الطور، الآية: ٤٩.
(٢) سوره النجم، الآية: ١.
(٣) سوره الحديد، الآية: ١.
(٤) سوره الواقعة، الآية: ٩٦.
(٥) ظ: د. فاضل صالح السامرائي، لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، ص١١٣.

٣. المناسبة بين بداية السورة ونهايتها:

وهذا النوع من المناسبة يبحث في العلاقة بين طرفي النص المطلع والمقطع، وقد روعي في القرآن الاتباط المطلع بالمقطع، ويكون هذا الارتباط لفظياً كما هو الحال في كثير من الآيات التي تنتهي بما تبدأ به، وقد تكون العلاقة معنوية.

من أمثله على ذلك: ما نلحظه في سورة الإسراء حيث ابتدأت بتسبيح الله ﷻ وتنزيهه عما لا يليق به؛ قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾[١]، وختمت أيضاً بحمد الله وتكبيره وتنزيهه عن الشريك؛ قال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ للهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾[٢].

بدايه سورة النحل إذ بدأت بقوله تعالى: ﴿أَتَى أَمْرُ اللهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[٣]، وبين خاتمتها التي جاءت بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾[٤]، يخبر تعالى في أول السورة عن اقتراب الساعة ودنوها معبراً بصيغة الماضي الدال على التحقق والوقوع لا محالة؛ ومن المعلوم عند الساعة وأهوالها لا ظل إلا ظله سبحانه، وهذا يستدعي عمل الواجبات وترك المحرمات والتحلي بأخلاق الإحسان ليكون الله ﷻ معنا وهو الذي ختمت به السورة.

٤. المناسبة بدايات السور:

وهذا النوع يعد نوعاً من أنواع فنون البديع، وهو ما يعرف ببراعة الاستهلال؛ حيث يكون في المطلع ما يلائم ما تشتمل عليه السورة من مواضيع، وقد تكون هذه المناسبة معنوية أو لفظية.

---

(١) سوره الإسراء، الآية: ١.
(٢) سوره الإسراء، الآية: ١١١.
(٣) سوره النحل، الآية: ١.
(٤) سوره النحل، الآية: ١٢٨.

مثال المعنوية ما جاء في سورة الإسراء، حيث بدأت بالتسبيح وذلك يتوافق مع ما في السورة من حديث عن تكذيب الكافرين للنبي ﷺ ومن ثم تكذيب الله ﷻ فكان ذلك مناسبا لموضوع السورة.

أما اللفظية فمثاله: تناسب بين السور التي تبدأ بـ (حم)، فهذه السور السبع: (غافر، فصلت، الشورى، الزخرف، الدخان، الجاثيه، الاحقاف) فهذه السور السبع متتالية اتفقت في الحديث عن صفات الله تعالى وعن القرآن تناسب في القرآن الكريم يعزز الإيمان عند المسلم ان الإسلام دين الحق وكشف عن وجوه جديده في اعجاز القرآن.

٥. التناسب بين الآيات الكريمة في السورة الواحدة:

يبحث هذا النوع في طلب العلاقة بين أجزاء السورة القرآنية المتتابعة (الآيات)، ويركز هذا النوع على رصد العلائق بين الآيات بعضها بعضاً من خلال رصد التعانق الدلالي واللفظي داخل هذه البنية، وقد يكون ظاهراً كما هو الحال في الآيات التي تترابط فيما بينها بعلائق مثل التقابل أو التناظر أو بحرف من حروف العطف أو بعلاقة التفصيل والبيان وغير ذلك من العلاقات التي لا تحتاج الى جهد في تعقبها، وقد تكون هذه العلاقة خفية تحتاج الى جهد كبير يصعب تحديده بشكل حاسم، فنرى اختلاف للعلماء في بيانها.

ومما تقدم نلحظ ان هناك وجوه للمناسبات بين الآيات: ووجه المناسبة بين الآيات له أنواع كثيرة منها على سبيل المثال:

١. **التنظير**: فإن إلحاق النظير بنظيره من دأب العقلاء، ومن أمثلته: قوله تبارك وتعالى: ﴿**وَعَدَ اللهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ، كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا**

فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[١].

حيث نظر بين حال أهل الكفر والنفاق وما هم فيه، بحال الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوّة واستمتعوا بشهواتهم الفانية فأحبط الله ﷻ أعمالهم في الدنيا والآخرة، فليحذر هؤلاء أن يصيبهم ما أصاب أولئك.

يقول الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: (إن الآية الكريمة تنبه المنافقين المعاصرين للنّبي ﷺ فتقول لهم: إنّكم ترون أنّ هؤلاء السابقين رغم تلك الإمكانات والقدرات والأموال والأولاد لم يصلوا إلى نتيجة، وأنّ أعمالهم قد أصبحت هباء منثورا لأنّها لم تستند إلى أساس محكم، بل كانت أعمال نفاق ومراوغة، فإنّكم ستواجهون ذلك المصير بطريق أولى، لأنّكم أقل من هؤلاء قدرة وقوة وإمكانات)[٢].

٢. **المضادة:** وهو اتباع آية الحديث عن المؤمنين بآية تصف حالة الكافرين، لبيان أوجه التضاد، وهو أسلوب واضح في التشويق، ومثاله في قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[٣]، فإن أول السورة كان حديثاً عن القرآن وأن من شأنه الهداية للقوم الموصوفين بالإيمان فلما أكمل وصف المؤمنين عقب بحديث الكافرين، فبينهما جامع وهمي ويسمى بالتضاد من هذا الوجه، وحكمته التشويق والثبوت على الأول كما قيل وبضدها تتبين الأشياء.

٣. **الاستطراد:** والحكمة منه الانتقال من ذكر حال إلى بيان حكم أو حكمة مناسبة للمقام، ثم العودة إلى الموضوع الأول، وهذا الاستطراد يؤدي غايته في بيان ما قصد إليه القرآن من الإشارة إلى حكمة أو عبرة أو لفت نظر إلى مقاربة أو إقرار

---

(١) سوره التوبة، الآية: ٦٨-٦٩.
(٢) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٨٣/٦.
(٣) سوره البقرة، الآية: ٦.

حقيقة أو تذكير بأمر، ومنه ما نلحظه في قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾[١]، قال الزمخشري: (هذه الآية واردة على سبيل الاستطراد عقب ذكر بدو السوات وخصف الورق عليهما إظهاراً للمنة في ما خلق من اللباس، ولما في العري وكشف العورة من المهانة والفضيحة، وإشعاراً بأن الستر باب عظيم من أبواب التقوى، وقد خرجت على الاستطراد)[٢].

٤. **الانتقال:** ويراد به الانتقال من حديث الى آخر تنشيطاً للسامع، ومثاله: ما نلحظه في سورة "ص" لما انتهى من الحديث عن الأنبياء عليهم السلام قال سبحانه: ﴿هُذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَابٍ﴾[٣] فانتقل الى نوع آخر من الحديث وهو ذكر الجنة وأهلها، ولما انتهى من الحديث عن ذلك انتقل الى نوع ثالث فقال: ﴿هُذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ﴾[٤] فذكر النار وأهلها.

قال ابن الأثير (ت:٦٣٧هـ): (لفظ "هذا" في هذا المقام من الفصل الذي هو أحسن من الوصل وهي علاقة وكيدة بين الخروج من كلام إلى كلام آخر)[٥].

من الأمثلة على ذلك أيضاً ما نلحظه في سورة الفاتحة، حيث ابتدأت بحمد الله تعالى الذي خلق العالمين ثم ذكرت صفات الله تعالى التي يتحبب الله بها لعباده؛ فهو رحيم بالعباد عامة ورحمن بالمؤمنين خاصة، وحتى لا يغتر الإنسان برحمة الله وحلمه ذكرت الآيات بعد صفة الرحمة أنه سبحانه وتعالى هو المالك ليوم الدين، وليعلم المرء أنه محاسب على ما يعمل وما دام الله رحيم بعباده وله الملك الحقيقي

(١) سوره الأعراف، الآية: ٢٦.
(٢) تفسير الكشاف، ٤٣٥/٢.
(٣) سورة ص، الآية: ٤٩.
(٤) سورة ص، الآية: ٥٥.
(٥) السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ١١٠/٢.

فعلى المسلم أن يعبده وحده ولا يستعين بغيره، وأفضل أنواع العبادة التوجه إلى الله تعالى بالدعاء الخالص حيث ختمت سورة الفاتحة بدعاء المسلم ربه أن يهديه الصراط المستقيم وأن يبعده عن سبل الضالين والمغضوب عليهم.

وحقيقة ان الانتقال بين أجزاء الكلام وأطراف القول ليس بالأمر السهل في النتاج البشري، إلا انه في النص القرآني يتضح الإعجاز في حسن الانتقال الذي يسهم بشكل أساسي في تحقيق التناسب بين المعاني المختلفة والأغراض المتباينة.

٦. تناسب التقديم والتأخير في القرآن الكريم:

ومن أمثلة ذلك ما نلحظه في الآتي:

١- الفرق بين تذييل الآية بـ: (وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) و(وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ):

جاء في قوله تعالى: ﴿**وَتَابَ اللهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾[١] فما سبب تقديم كلمة "خبير" على "بِمَا تَعْمَلُونَ" والجواب هو أنّ الأعمال التي طلبها في السّياق فيها معاني الخفاء و الإسرار والنيّات في الأعمال مثل الصلاة، والزكاة كذلك، وطاعة الله ورسوله، فهي أعمال قلبيّة لا يطلع عليها إلا الله ﷻ، فهو الخبير بصدق أو كذب أصحابها، فاقتضى الحال تقديم "خبير" على "ما تعملون".

أمّا عبارة التذييل: (**وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**) في قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أشهر وعشرا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾[٢]، فالتربص بعد هلاك الزوج أمر ظاهر، وعمل لا يخفى على الآخرين، فاقتضى الحال تقديم العمل على خبير.

---

(١) سورة المجادلة، الآية: ١٣.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٣٤.

والقاعدة التي نستخلصها هنا: هو إذا كان السياق في عمل الإنسان يقدم العمل (والله بما تعملون خبير)، وإذا كان السياق في أمور قلبية أو عن الله يقول: (خبير بما تعملون).

٢- **تقديم السارق على السارقة:** كما في قوله الله تعالى: ﴿**وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيم**﴾[١]. لأن السرقة وقوعها من الرجل أغلب، لأنه أجرأ عليها، وأجلد وأخطر، فقدم عليها لذلك.

٣- **تقديم الزانية على الزاني:** كما في قوله تعالى: ﴿**الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[٢]، وذلك أن الزنا لا يحصل إلا بمساعدة المرأة وتمكينها من نفسها، بل وتعرضها للرجل وإغوائها وإغرائها له، ولذا قدمت زجراً لها.

كما أن الزنى من المرأة أقبح، وجرمه أشنع، لما يترتب عليه من فساد الأنساب، وإلحاق العار بالعشيرة، ثم بعد كل هذا، الفضيحة بالنسبة للمرأة (بالحمل) تكون أظهر وأدوم، لذا قدمت على الرجل.

وفي ختام هذا الفصل يحق لنا القول: ان معاني القرآن الكريم وألفاظه، غاية في التلاؤم والالتحام، وقمّة في التناسب والانسجام، وهو سرّ الاعجاز الذي تحدّى به أرباب البلاغة والبيان.

وأن المناسبات يختلف التماسها في القرآن الكريم، فمنها ما هو ظاهر ومنها ما يحتاج إلى نظر وكثير من التدبر.

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٣٨.
(٢) سورة النور، الآية: ٢.

من مؤلفات علم التناسب:

- البرهان في مناسبة ترتيب سور القرآن، الأندلسي أبو جعفر(ت:٨٠٧هـ).
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي (ت:٨٨٥هـ).
- تناسق الدرر في تناسب السور، السيوطي جلال الدين (ت:٩١١هـ).
- النبأ العظيم، الدكتور محمد عبد الله دراز (ت:١٩٥٨م).
- في ظلال القرآن، سيد قطب (ت:١٩٦٦م).
- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور (ت:١٩٧٣م)[١].

(١) قال في تمهيد تفسيره: (وقد اهتممت في تفسيري هذا ببيان وجوه الإعجاز ونكت البلاغة العربية، وأساليب الاستعمال، واهتممت أيضاً ببيان تناسب اتصال الآي بعضها ببعض، وهو منزع قد عني به فخر الدين الرازي، وألّف فيه برهان الدين البقاعي كتابه المسمى "نظم الدرر في تناسب الآي والسور" إلا أنهما لم يأتيا في كثير من الآي بما فيه مقنع، فلم تزل أنظار المتأملين لفصل القول تتطلع، أمّا البحث عن تناسب مواقع السور بعضها إثر بعض، فلا أراه حقاً على المفسر). التحرير والتنوير، ١/٤.

الفصل السابع

علم غريب القرآن
علم المعرّب في القرآن

أولاً: علم غريب القرآن

علم من علوم القرآن وهو أيضاً جزء من علم التفسير من حيث أن معرفته – معرفة غريب القرآن– ضروري للمفسر في بيان النص القرآني.

١ –التعريف بالعلم، وبيان أهميته:

(الغريب لغة): مأخوذ من غَرَب بمعنى: بَعُد، والغريب: الغامض من الكلام، ومنه كلمة غريبة ورجل غريب: أي بعيد عن أهله ليس من سائر القوم[١].

وعلم غريب القرآن: هو العلم المختص بتفسير الألفاظ الغامضة في القرآن الكريم وتوضيح معانيها بما جاء في لغة العرب وكلامهم، وقد يكون هذا التفسير مدعوماً بالشواهد العربية، وقد يكون مجرداً منها.

وسمي بذلك لبعده عن ظاهر الفهم، أو لأنه كالمنفرد عن الألفاظ الأخرى القريبة للفهم.

وسبب الغرابة قد يكون لقلة استعمال الكلمة، أو لاستعمالها في كناية أو استعارة أو مجاز، أو لقلة علم القارئ والسامع باللغة، وهو كثير جداً، وازداد كثرة باختلاط العرب بالعجم، وبُعد العهد عن عصر نزول النص.

ولهذا العلم أهمية كبيرة، فهو من أول علوم التفسير التي يجب أن يتعلمها طالب علم التفسير، ومعرفة هذا الفن للمفسر ضرورة، وإلا فلا يحل له الإقدام على كتاب الله تعالى، وينبغي الاعتناء به[٢]، فقد ورد القول: (أعربوا القرآن، والتمسوا غرائبه)[٣].

---

(١) ظ: ابن منظور، لسان العرب، مادة (غَرَبَ)، ٢٣/١١.
(٢) ظ: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ٣٦٦/١، السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ٢٩١/١.
(٣) الحاكم، المستدرك، ٤٣٩/٢.

قال السيوطي (ت:٩١١هـ): (المراد بإعرابه: معرفة ألفاظه، وليس المراد به الإعراب المصطلح عليه عند النحاة، وعلى الخائض في ذلك التثبت والرجوع إلى كتب أهل الفن، وعدم الخوض بالظن)[١].

يلاحظ مما سبق أن الكلام الغريب، أو الغرابة في اللفظة، كون الكلمة وحشية غير ظاهرة المعنى ولا مأنوسة.

لقد أولى علماء العربية اللفظ الغريب عنايتهم من الدرس والبحث، فميزوا بين نوعين من الغريب:

الأول: أن تكون الكلمة وحشية لا يظهر معناها، فيحتاج في معرفتها إلى أن يبحث عنها في كتب اللغة المبسوطة..

والثاني: أن يخرج لها وجه بعيد، كما في قول العجاج:

وفاحماً ومرْسِنا مسرَّجا

قال العلماء معلقين: فإنه لم يظهر ما أراد بقوله مسرجاً حتى اختُلف في تخريجه، فقيل هو من قولهم للسيوف سُرَيْجيّة، منسوبة إلى قيْن يقال له سُرَيْج، يريد أنه في الاستواء والدقة كالسيف السريجي، وقيل إنه في البريق كالسراج.

وقد لخص الرافعي ذلك في قوله:

(وفي القرآن ألفاظ اصطلح العلماء على تسميتها بالغرائب، وليس المراد بغرابتها أنها منكرة أو نافرة أو شاذة فإن القرآن منزه عن هذا جميعه وإنما اللفظة الغريبة

(١) الإتقان في علوم القرآن، ٢٤٤/١.

هاهنا هي التي تكون حسنة مستغربة في التأويل بحيث لا يتساوى في العلم بها أهلها وسائر الناس)[١].

٢- بيان نشأته:

في عهد النبوة، لم يجد الصحابة في فهم كتاب الله شيئاً من العناء، وذلك لنقاء ألسنتهم وغلبة الفصاحة عليهم، وإن جهلوا منه شيئاً، والتبس عليهم فهم كلمة، سألوا عنه الرسول ﷺ فيبينه لهم، وكذا الحال في عصر الصحابة، فكان اللسان العربي صحيحاً محروساً لا يتطرق إليه خلل أو زلل، حتى فتحت الأمصار، وخالط العرب غير جنسهم من الأعاجم، فتداخلت اللغات وامتزجت الألسن، فتعلموا من اللسان العربي ما لا بد منه في الخطاب والحوار، وتركوا ما عداه لعدم الحاجة إليه، وأهملوه لقلة الرغبة في الباعث عليه، فصار ذلك غريباً عليهم، واستمر الأمر على ذلك حتى عصر التابعين، فسلكوا سبيلهم، لكنهم كانوا أقل إتقاناً، وكثرت العُجمة في اللسان العربي، فمن هنا دعت الحاجة إلى التأليف في شرح غريب القرآن، بعد أن كان يتداولها طلبة العلم مشافهة، وكانت هذه المحاولات اللغوية لتفسير ألفاظ القرآن الكريم، هي الخطوة الممهدة للتأليف في التفسير الذي تطور فيما بعد وضم بالإضافة لتفسير الألفاظ (القصص والأحكام وغيرها).

٣. الفرق بين علم غريب القرآن والتفسير:

تفسير القرآن أعم وأشمل من بيان غريبه؛ فالتفسير يشمل شرح الألفاظ الغريبة، ثم شرح المعنى الإجمالي للآية، وذكر أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، وقصص القرآن، والأحكام الدينية المختلفة المتعلقة بالآية، ويذكر الفوائد والعبر، ويشرح آراء العلماء في مختلف ما ورد في الآية، والقراءات القرآنية وتوجيه كل ذلك مسنداً إلى رسول الله ﷺ وأهل البيت عليهم السلام والصحابة، والتابعين.

---

(١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص٥٣.

ولكن هناك علاقة وثيقة بين هذين العلمين؛ فتفسير غريب القرآن جزء أساسي من تفسير القرآن؛ لأنه الجانب اللغوي منه؛ فلا يمكن تفسير القرآن الكريم دون تفسير غريبه؛ لهذا يُعدُّ غريب القرآن أحد روافد علم التفسير وجزءاً أساسياً ومهماً منه.

٤. بعض أسباب غرابة اللفظ القرآني:

أنْزل الله القرآن بلسان عربي مبين، ومع ذلك وقف الصحابة على بعض ألفاظه فلم يفهموا معناها، وبدأت دائرتها تتسع في عهد التابعين ومن بعدهم لعدة أسباب:

١) اشتمال القرآن على لغات العرب، من ثقيف وهُذيل وغيرهم، وقد روي عن عمر بن الخطاب: بينما عمر على المنبر، قال: يا أيها الناس، ما تقولون في قوله عز وجل ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ﴾[١]؟ فسكت الناس، فقال شيخ من هذيل: هي لغتنا، التخوف: التنقص... ثم انشد شعراً في وصف ناقة:

تَخَوّفَ الرّحْلُ مِنْها تَامِكاً قَرِداً كَمَا تَخَوّفَ عودَ النَّبْعَةِ السَّفِنُ[٢]

٢) اشتمال القرآن الكريم على ألفاظ مُعرّبة، تصادف وجودها عند أمم أخرى. مثل: (غسلين) في قوله تعالى: ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾[٣] ومعناها صديد أهل النار.

٣) اشتماله على بعض الخصائص التي تمتاز بها مفردات اللغة العربية كالترادف والمشترك اللفظي والتضاد:

---

(١) سورة النحل، الآية: ٤٧.
(٢) التامك: المرتفع من السنام. الذي أكله القراد من كثرة أسفارها. أو الذي تتقب وفسد من الرحل في السفر. والنبعة: واحدة النبع، وهو شجر تتخذ منه القسي. ويروى: ظهر النبعة. والسفن: المبرد الحديد الذي ينحت به الخشب، يقول: تتقص رحلها سنامها المرتفع الذي تتقب من كثرة السفر، كما تتقص المبرد عود النبعة. وفيه تشبيه بها في الصلابة.
(٣) سورة الحاقة، الآية: ٣٦.

أولاً: الترادف: فمن أمثلة الترادف (الأسف) وهو الحزن إلا في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا﴾[١] فمعناها أغضبونا.

ثانياً: المشترك اللفظي: يسميه بعض العلماء – بالوجوه والنظائر[٢]– فعلى سبيل المثال ورد في القرآن الكريم مادة (لبس) في آيات متعددة منها قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَلْبِسُواْ الحَقَّ بِالبَاطِلِ﴾[٣]؛ وقوله تعالى: ﴿لِمَ تَلْبِسُونَ الحَقَّ بِالبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الحَقَّ﴾[٤].

وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ﴾[٥].

وقوله تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُم لِبَاسٌ﴾[٦].

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاساً﴾[٧]. وقوله تعالى: ﴿قَد أَنزَلْنَا عَلَيْكُم لِبَاساً يُوَارِى سَوْءَاتِكُم﴾[٨]. وقوله تعالى: ﴿يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾[٩].

وقوله: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾[١٠]. وغيرها.

---

(١) سورة الزخرف، الآية: ٥٥.
(٢) معنى الوجوه والنظائر: أن تكون الكلمة واحدة، ذكرت في مواضع من القرآن على لفظ واحد وحركة واحدة، وأريد بكل مكان معنى غير الآخر، فلفظ كل كلمة ذكرت في موضع، نظير للفظ الكلمة المذكورة في الموضع الآخر هو النظائر، وتفسير كل كلمة بمعنى غير معنى الآخر هو الوجوه. إذن النظائر: اسم للألفاظ، والوجوه: اسم للمعاني.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٤٢.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ٧١.
(٥) سورة الأنعام، الآية: ٨٢.
(٦) سورة البقرة، الآية: ١٨٧.
(٧) سورة النبأ، الآية: ١٠.
(٨) سورة الأعراف، الآية: ٢٦.
(٩) سورة الدخان، الآية: ٩.
(١٠) سورة الأعراف، الآية: ٢٦.

فلو تأملنا اشتقاقات هذا اللفظ في هذه الآيات لوجدنا أن معناه ليس واحداً فيها، إذ أننا نجد معناه في الآيات الثلاث الأولى (الخلط)، ومعناه في الرابعة والخامسة (السكن) ومعناه في السادسة والسابعة (الثياب) ومعناه في الثامنة (العمل الصالح) فنعلم أن للفظ (اللباس) أربعة وجوه[١].

ثالثاً: التضاد[٢]: هو الكلمات التي تؤدي دلالتين متضادتين بلفظ واحد[٣]، ومن التضاد ما نلحظه في قوله تعالى: ﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾[٤] لفظ (الحنيف) من الأضداد، يقع على الاستقامة، ويقع على الميل، والآية تحتمل الوجهين؛ فيكون المعنى: مستقيمين على صراط الله، أو مائلين إلى الحق.

في قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾[٥] فالقرء عند أهل الحجاز يعني الطهر، وعند أهل العراق يعني الحيض.

٤) المعاني الإسلامية الجديدة التي أكسبها القرآن للألفاظ العربية، ولم تكن للعرب معرفة بها في الجاهلية، كأسماء الله الحسنى والاصطلاحات الفقهية وأسماء الآخرة كالصاخة والقارعة والواقعة....

---

(١) ظ: مقاتل، الأشباه والنظائر، ص١٠٥.
(٢) وفي هذا الموضوع اختلاف بين العلماء والباحثين إذ يرى بعض الباحثين انه لا تضاد في القرآن الكريم عند التحقيق، لا في ألفاظه ولا في صيغه، وإنما الذي ورد فيه من بعض ألفاظ وصيغ متضادة، فمردها إلى اختلاف لغات القبائل، وما ذاك – كما يرى الباحث – إلا ليستأنس به الأعراب، ويُقبلوا عليه؛ إذ يجدون فيه من لغاتهم ألفاظاً، وصيغاً تدفع عنهم الاستيحاش، فيبشون له، ويُقبلون عليه، بعد أن كانوا مضطرين إلى استخدام لغة قريش في أشعارهم، حتى تحقق الانتشار في عكاظ، أمَا وقد نزل القرآن بكل لغاتهم، فإن هذا يرفع من شأن لسانهم، ويحببهم بهذا الدين الجديد، الذي أقبل على لغاتهم، فرفع من شأنها، بعد أن كانوا يستشعرون غضاضة من إقبالهم على لغة غيرهم، وهذا شأن الأعرابي المتمسك بعصبيته وانتسابه إلى قبيلته ولغته اللتين يعتز بهما.
(٣) ظ: حلمي خليل، مقدمة لدراسات اللغة، ص١٧.
(٤) سورة الحج، الآية: ٣١.
(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٢٧.

٥) دخول اللسان الأعجمي إلى الإسلام إثر الفتوحات الإسلامية، وما صاحبها من لحنٍ وابتعادٍ عن الفصاحة التي عرفها عصر الاستشهاد.

٥. أفضل طرق ما يستعان به في تفسير الغريب

١. الاستعانة بالعلماء الاعلام وأهل الاختصاص في فهم ما ورد في القرآن الكريم من عبارات أو مفردات.
٢. الاستعانة بكتب التفسير المعتمدة؛ ففيها البيان لكل مجمل وغريب في الكتاب العزيز.
٣. الاستعانة بأشعار العرب وكلامهم؛ قال ابن عباس: (ما كنت أدري ما قوله: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنا وَبَيْنَ قَوْمِنا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفاتِحِينَ﴾[١]. حتى سمعت ابنة ذي يزن الحميري وهي تقول: تعال أفاتحك)؛ يعني أقاضيك.

وقال أيضاً: (ما كنت أدري ما ﴿فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[٢] حتى أتاني أعرابيّان يختصمان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها، يعني ابتدأتها)[٣].

ولأشعار العرب أهمية خاصة في هذا الفن، قال أبو بكر بن الأنباري: (قد جاء عن الصحابة والتابعين كثيراً الاحتجاج على غريب القرآن ومشكله بالشعر)[٤].

ولِحَبر المفسرين ابن عباس اعتناء كثير بالشعر في تفسير القرآن، نقلت عنه ثروة كبيرة في ذلك في مصادر التفسير، وأجمع ما روي عنه في ذلك مسائل نافع بن الأزرق زعيم الأزارقة من الخوارج.

(١) سورة الأعراف، الآية: ٨٩.
(٢) سورة فاطر، الآية: ١.
(٣) الإتقان في علوم القرآن، ٤/٢.
(٤) المصدر نفسه، ٥٥/٢.

ومن أمثلة استشهاده بالشعر:

تفسيره قول الله تعالى: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمالِ عِزِينَ﴾[١]؛ قال: العزون: الحلق الرّقاق، واستشهد ببيت عبيد بن الأبرص:

فجاءوا يهرعون إليه حتى ... يكونوا حول منبره عزينا

وفسّر قوله تعالى: ﴿شِرْعَةً وَمِنْهاجاً﴾[٢]: (الشّرعة: الدين، والمنهاج: الطريق). واستشهد بقول أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب[٣]:

لقد نطق المأمون بالصدق والهدى ... وبيّن للإسلام دينا ومنهاجا

ونبه العلماء على أمر ذي خطر، هو أنه: ينبغي العناية بتدبّر الألفاظ كي لا يقع الخطأ، كما وقع لجماعة من الكبار.

روى الخطّابي عن أبي العالية أنه سئل عن معنى قوله: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ ساهُونَ﴾[٤]، فقال: هو الذي ينصرف عن صلاته ولا يدري عن شفع أو وتر. قال الحسن: مه يا أبا العالية. ليس هكذا، بل الذين سهوا عن ميقاتها حتى تفوتهم، ألا ترى قوله: «عن صلاتهم»!.

فلما لم يتدبّر أبو العالية حرف «في» و «عن» تنبّه له الحسن، إذ لو كان المراد ما فهم أبو العالية لقال: «في صلاتهم»، فلما قال: «عن صلاتهم» دل على أن المراد به الذّهاب عن الوقت[٥].

---

(١) سورة المعارج، الآية: ٣٧.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٤٨.
(٣) ظ: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ٥٦/٢.
(٤) سورة الماعون، الآية: ٥.
(٥) ظ: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ٢٩٤/١.

وكذلك قال ابن قتيبة في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمنِ﴾[١]: إنه من عشوت أعشو عشوا، إذا نظرت. وهو قول أبي عبيدة معمر بن المثنّى والأخفش. ونقل قول الفرّاء: (يعرض عنه) ثم نقده، فقال: (ولا أرى القول إلا قول أبي عبيدة، ولم أر أحداً يجيز، (عشوت عن الشيء): أعرضت عنه، إنما يقال: (تعاشيت عن كذا)، أي تغافلت عنه كأني لم أره، ومثله تعاميت، والعرب تقول: (عشوت إلى النار) إذا استدللت إليها ببصر ضعيف ... إلخ[٢].

قال الزركشي: (وغلّطوه في ذلك، وإنما معناه يعرض، وإنما غلط لأنه لم يفرق بين عشوت إلى الشيء وعشوت عنه)[٣].

لذلك يجب على دارس التفسير ألا يكتفي بظاهر اللغة، حتى ينظر إلى التركيب، ومقصد السياق، حتى لا يقع في الخطأ.

ولما جاء القرن الثاني الهجري ونشطت الحركة العلمية، كان من ضمن العلوم علم الغريب الذي استقل فيما بعد وغدا علماً بذاته.

وكان من **أوائل من ألّفوا في غريب القرآن** عطاء بن أبي رباح (ت:١١٤هـ). تلاه أبان بن تغلب (ت:١٤١هـ) وامتد التأليف على مر العصور فمن أمثلة ذلك:

١. تفسير غريب القرآن، لأبن قتيبة (ت:٢٧٦هـ).
٢. نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن العظيم، لأبي بكر السجستاني (ت:٣٣٠هـ).
٣. تفسير المشكل غريب القرآن، لمكي بن أبي طالب (ت:٤٣٧هـ).
٤. المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني (ت:٥٠٢هـ).
٥. تفسير غريب القرآن العظيم، لأبي بكر الرازي (ت:٦٦٦هـ).
٦. تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب، لمحمد الغرناطي (ت:٧٤٥هـ).

---

(١) سورة الزخرف، الآية: ٣٦.
(٢) ظ: تفسير غريب القرآن، ص٣٩٧.
(٣) البرهان في علوم القرآن، ٢٩٤/١.

ثانياً: علم المعرّب في القرآن

هذا الموضوع يتصل بعلم غريب القرآن، لأنه لا بد من معرفته لتفسير القرآن الكريم فهو نوع من غريب القرآن.

وهو الألفاظ التي وقعت في القرآن من غير لغة العرب.

وهذا موضوع خطير كثر فيه الكلام منذ القديم، وتعرض له العلماء كثيراً في كتب علوم القرآن، وكتب التفسير، وكتب اللغة، وغيرها. وألّفت فيه كتب وبحوث مفردة.

١: **معناه اصطلاحاً:** هو استعمال لفظ غير عربي في كلام العرب، وإجراء أحكام اللفظ العربي عليه(١)، أو هو نقل اللفظ الأعجمي الى العربية.

وقد جُمعت هذه الألفاظ فبلغت (١١٥) نحو خمس عشرة ومائة كلمة، أحصاها السيوطي وتكلم عليها بإيجاز في كتابيه(٢).

وعلى سبيل المثال نذكر منها:

- منسأته: المنسأة: العصا؛ بالحبشية.
- استبرق: الديباج الغليظ؛ بالفارسية.
- جهنم: قيل: فارسية وعبرانية.
- مزجاة: قليلة؛ بالقبطية.
- غسّاق: البارد المُنتن؛ بالتركية.
- سجّيل: أوّلها حجارة وآخرها طين؛ بالفارسية.

---

(١) ظ: د. نور الدين آل علي، التعريب وأثره في الثقافتين العربية والفارسية، ص١٧، د. محمد حسن عبد العزيز، التعريب في القديم والحديث، ص٤٧.
(٢) ظ: الإتقان في علوم القرآن، ١٠٨/٢ – ١١٩، وكتابه: المتوكلي، تحقيق: د. عبد الكريم الزبيدي، دار البلاغة، بيروت، ١٩٨٨م.

- سندس: رقيق الديباج؛ بالفارسية.
- القسطاس: العدل، أو الميزان؛ بالرومية.
- فردوس: بستان، الكرم؛ بالرومية.
- قسورة: الأسد؛ بالحبشية.

٢: موقف العلماء من وجود المعرب في القرآن الكريم

لم نجد ـ في حدود مراجعتنا وقراءتنا حول الموضوع ـ أن هناك نزاعاً في أن اللغة العربية هل اشتملت على غيرها من اللغات في زمان ما قبل نزول القرآن أم لم تشتمل؟ بل هناك إغفال لهذا الأمر في الكتب والدراسات التي تطرقت لهذا الموضوع.

ولحظنا أن البحث في هذا العلم قد تكوّن في زمن متأخر عن نزول القرآن، ولم نرَ أن هناك خلافاً واقعاً بين العرب أنفسهم في أن اللغة العربية هل اشتملت على الكلمات الأعجمية أم لا؟

وعلى كل حال قد اختلف في هذه القضية اختلافاً كثيراً، فكان ما بين منكراً لوجوده وما بين مؤيد، حتى بزغ عندنا فريق ثالث يرى التوفيق بين الفريقين. وعلى النحو الآتي[١]:

الرأي الأول: المنكرين: أنكر جمهور العلماء أن يكون في القرآن شيء غير عربي، ومنهم: أبو عبيدة معمرين المثنى وأبو بكر الأنباري وابن فارس والشافعي وابن جرير الطبري وغيرهم.

---

(١) للتوسعة في آراء العلماء وأدلتهم ظ: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ٢٩٠/١، د. محمد حسن عبد العزيز، التعريب في القديم والحديث، ص٤٠، د. نور الدين عتر، علوم القرآن، ص٢٥٩، مجيد حميد البديري، المعرَّب في القرآن الكريم وأثره في حركة الاقتباس، ص١١٤، حيدر خماس الساعدي، المعرّب في القرآن –دراسة نظرية بين معطيات علم اللغة وعلوم القرآن، ص١٤٨، محمّد يوسف الشربَجي، الألفاظ المعرّبة في القرآن الكريم ومَوقف السّيوطي مِنْهُ، ص٢٣.

وذلك لأن الله تعالى أنزله بلغة العرب، وقال: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[١]. وقال: ﴿بِلِسانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾[٢].

واستدلوا بأن الله تعالى جعله معجزة شاهدة لنبيه ﷺ، وتحدى به العرب العرباء، وأفحم الفصحاء والبلغاء بآياته، فلو اشتمل على غير لغة العرب لاحتجوا عليه، واعترضوا.

أمَّا الألفاظ التي قيل بأنها معربة فهي ألفاظ عربية اتفق استعمال العرب لها مع غيرهم، فهذا من توارد اللغات، فقد تتفق أمَّتان أو أكثر في استعمال كلمة واحدة لمعنى واحد أو مختلف. كذلك فإن اللغة العربية لا يحيط بها إلا نبي؛ فيحتمل أن تكون معاني هذه الكلمات قد خفيت على بعضهم؛ فظن أنها غير عربية الأصل.

الرأي الثاني: المؤيدين: واستدل من قال بوقوع المعرب في القرآن الكريم بوجود ألفاظ فيه هي في لغات غير العرب، كالشواهد التي ذكرناها.

ومن المؤيدين: ابن عباس، ومجاهد وعكرمة، وسعيد بن جبير، وعطاء، ووهب بن منبه، والجو يني، وغيرهم. ومال إليه ابن جني والسيوطي؛ وغيره. وحجتهم:

١. أن هذه الألفاظ القليلة بغير العربية لا تخرج القرآن عن كونه عربياً، فالقصيدة الفارسية لا تخرج عن فارسيتها بلفظة عربية توجد فيها.
٢. أن هذه الكلمات عُرِّبت، وجرت عليها قوانين العربية، وطوَّعتها العربية لمنهجها في أصواتها وبنيتها؛ فصارت ضمن مفرداتها التي يستخدمها العرب، وذلك قبل نزول القرآن بسنوات طويلة.
٣. وقوع الأعلام الأعجمية في القرآن الكريم باتفاق؛ فلا مانع من وقوع غيرها من الأجناس.

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٢.
(٢) سورة الشعراء، الآية: ١٩٥.

٤. أن معنى الآية الكريمة في سورة فصلت: (أكلامٌ أعجميٌّ ومخاطَبٌ عربيٌّ).
٥. أن القرآن الكريم حوى علوم الأولين والآخرين؛ فلابد من وقوع الإشارة فيه إلى أنواع اللغات والألسن ليتم إحاطته بكل شيء؛ فاختير له من كل لغة أعذبها وأخفها وأكثرها استعمالاً، وإن كان أصله بلغة العرب.
٦. أن الألفاظ المعرَّبة لا تقل في فصاحتها وبلاغتها عن الألفاظ العربية أصالة، فكلمة (إستبرق) معناها: ماغلظ من الحرير، ولو اجتمع فصحاء العالم وأرادوا أن يأتوا بلفظة تقوم مقامها في الفصاحة لعجزوا. واستدلوا بما أخرجه ابن جرير عن أبي ميسرة (ت:٦٣هـ) عمرو بن شرحبيل الهمداني التابعي أنه قال: (في القرآن من كل لسان)[١].

فالنبي ﷺ مرسل إلى كل أمة، فلا بدّ وأن يكون في الكتاب المبعوث به من لسان كل قوم، وإن كان أصله بلغة قومه هو.

الرأي الثالث: التوفيق بين الرأيين: بعد أن ذكرنا آراء القائلين بأنّ القرآن الكريم قد احتوى على ألفاظ أعجمية، وآراء المنكرين له، لابد من عرض آراء المعتدلين الذين وقفوا على هذا الخلاف، وخرجوا بآراء توافقية، ووازنوا بين آراء الفريقين من العلماء والباحثين، وانتهوا الى القول بعربية هذه الألفاظ بعد أن عرّبتها العرب.

وسبق لذلك أبو عبيد القاسم بن سلام (ت:٢٢٣هـ)، وذلك أن هذه الألفاظ أصولها أعجمية، لكنها وقعت للعرب، فعرّبتها بألسنتها، وحوّلتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها، فصارت عربية، ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب، فخاطبهم بها، لأنها صارت من لسانهم.

وعلى هذا الأساس؛ فاللفظ بعد التعريب وبعد التغييرات التي تُجرى عليه عربي، ولا إشكال في عربيته، بعد أن يكون موافقاً للأبنية العربية المعروفة.

---

(١) ظ: السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ٣٩٤/١.

من تواضع لله رفعه

الفصل الثامن

ترجمة القرآن الكريم بغير لغته

السلام

ترجمة القرآن الكريم بغير لغته

بدأت محاولات ترجمة القرآن الكريم في أوائل القرن الثاني عشر للميلاد، وكانت أول لغة تُرجم لها اللغة اللاتينية على يد غير المسلمين[1]، ومن ثم تتابعت الترجمة الى لغات عالمية أخرى، والمتابع لتلك الترجمة الأولى يلحظ ان قصد الترجمة لم يكن أمراً معرفياً او تعبدياً، وانما كان قصداً كيدياً للإسلام وأمته بتحريف كتابهم وتشويهه مع إضافة ردود وشبهات حول النصوص المترجمة وطبعها معاً.

ولهذا فالكلام عن ترجمة القرآن الكريم ليس من الأمر المستحدث في عصرنا، فهو أمر قديم، وانما تزايد خطر المساس بمعاني مفردات القرآن عند ترجمته وترويجه لمن لا يتقن اللغة العربية يجعل فهم مقاصده ليس بالمضمون الذي نزل من أجله.

وعليه فإن البحث في إمكانية ترجمة القرآن الكريم ليس أمراً نظرياً أو افتراضياً، وإنما هو موضوع واقعي شغل العلماء في كثير من البلاد الإسلامية منذ مطلع هذا القرن، ولا يزال إلى اليوم بحثاً فكرياً هاماً وخطيراً، يحتاج إلى دراسة علميّة هادئة ومنهجية واضحة، تكشف عن دوافعه ومراميه، وتوجهه الوجهة البناءة الصحيحة. فقد انتفع بفهم معاني القرآن أقوام فآمنوا، وازداد آخرون إيماناً، وضلّ قوم بسوء ما فُسِّر لهم القرآن بغير لغته، وصدهم ذلك التحريف لمعانية عن الإيمان.

وخاصة بعد أن توضّح لكل مسلم غيور على قرآنه ودعوته، أن هذه الفكرة إنما أثارها أعداء الإسلام من المستشرقين والمبشرين؛ لتمزيق أوصال العالم الإسلامي، وتشويه مبادئ الإسلام ومعانيه.

---

(١) للتوسعة في تاريخ الترجمة وتطورها نظ: أبو رزق عبد الرؤوف المصري، معجم القرآن، ٩٢/٢، د. محمد بن عبد الكريم الجزائري، مدمة في علوم القرآن وعلوم التفسير، ص٣٣٢، د. محمد حسين الصغير، دراسات قرآنية / المستشرقون والدراسات القرآنية، ص٤٧.

أولاً: معنى الترجمة لغة واصطلاحاً:

١. الترجمة في اللغة: الأصل في معنى لفظة (الترجمة): التفسير، والتّبيين، والتوضيح، وما في معنى ذلك؛ وهي بحسب ما تُضاف إليه. فترجمة الكلام: تفسير معانيه، وترجمة الشخص: ذكر سيرته وأخلاقه ونسبه، وترجمة الكتاب: فاتحته وعنوانه، وفاعل الترجمة يسمى (الترجمان)، ويجمع على تراجم: كزعفران وزعافر، وإذا ما عُدنا الى ترجمة الكلام وجدناها تنقسم قسمين اثنين:

القسم الأول: تفسير الكلام بألفاظ من لغته نفسها. ومن هذا القسم قول عبد الله بن مسعود (ت:٣٢هـ): (نعم ترجمان القرآن عبد الله بن عباس)[١]. أي: نعم المفسِّر للقرآن عبد الله بن عباس، ولا يرتاب أحد في أن تفسير عبد الله بن عباس للقرآن قد كان بلغة العرب. وهذا عمل لا خلاف للعلماء في جوازه عقلاً ونقلاً.

القسم الثاني: نقل الكلام من لغة إلى أخرى، والترجمان بالضم والفتح هو الذي يترجم الكلام أي ينقله إلى لغة أخرى[٢].

قال الجوهري (ت:٣٩٣هـ): (قد ترجم كلامه، إذا فسّره بلسان آخر، ومنه الترجمان، والجمع التراجم)[٣].

٢. الترجمة اصطلاحاً: تفسير الكلام وبيان معناه بلغة أخرى. قال الزرقاني (ت:١٣٦٧هـ) هي: (نقل الكلام من لغةٍ إلى أخرى، ومعنى نقل الكلام من لغةٍ إلى أخرى: التعبير عن معناه بكلام آخر من لغةٍ أخرى مع الوفاء بجميع معانيه ومقاصده كأنّك نقلت الكلام نفسه من لغته الأولى إلى اللغة الثانية)[٤].

---

(١) القاموس المحيط، ٢١١/٨.
(٢) ظ: ابن منظور، لسان العرب، ١٤٠/١٦.
(٣) القاموس المحيط، ٢١١/٨.
(٤) مناهل العرفان في علوم القرآن، ٥/٢.

ثانياً: أهمية ترجمة القرآن الكريم

تُعد الترجمة موضوعاً أساسياً في الحضارة البشرية وفي التواصل الاجتماعي، فقد كانت الترجمة على مدى التاريخ جسراً ممدوداً بين بني البشر يؤكد تفاعلهم وتكاملهم في مسيرة الحياة الإنسانية في تعاملهم مع البيئة الطبيعية والاجتماعية صراعاً وتعاوناً ومواجهة وحواراً.

وان العرض الصحيح بالشروط المطلوبة في ترجمة معاني القرآن الكريم يتمكن علماء المسلمين من جعل الأمم والشعوب تتطلع بلغاتها على الحقائق القرآنية المتنوعة في مجال العقيدة والشريعة، ولعلمت تلك الشعوب أن الدين الحق إنما هو الإسلام، والإسلام وحده وأن محمداً ﷺ خاتم الأنبياء وأن رسالته إنما اختتمت بها الرسالات السماوية لملائمتها الحياة في مختلف العصور وعلى تعاقب الأجيال إلى أن يرث االله الأرض ومن عليها.

ثالثاً: أقسام الترجمة:

تنوّعت ترجمات القرآن الكريم إلى ثلاثة أنواع، هي:

١. الترجمة الحرفية:
٢. الترجمة اللفظية.
٣. الترجمة التفسيرية:

١. **المقصود بالترجمة الحرفية:** نقل الكلام من لغة إلى أخرى مع مراعاة الموافقة في النظم والترتيب، والمحافظة على جميع معاني الأصل المترجم[١]، وتكون من خلال مطابقة الأصل في ترتيبه ونظمه تمام المطابقة، ولا اختلاف بينهما إلّا في

(١) ظ: الذهبي، التفسير والمفسرون، ١/٢٤.

اللغة فقط، وهي في واقع الأمر غير ممكنه ولا مقدور عليها، فهي تكاد تكون نظرية بحتة.

٢. **المقصود بالترجمة اللفظية:** هي إبدال لفظ بلفظ آخر يرادفه في المعنى الإجمالي أو في المعنى القريب، بصرف النظر عن المعاني التبعية والبعيدة عن الخصائص والمزايا، وهذه ممكنة على وجه الإجمال بالقدر المستطاع في بعض الألفاظ دون بعض، وفي بعض اللغات دون بعض، وتكون ساذجة ولا تسلم من الخطأ والبعد عن المراد(١).

٣. **المقصود بالترجمة التفسيرية أو المعنوية:** وهي شرح الكلام وبيان معناه بلغة أخرى بدون مراعاة لنظم الأصل وترتيبه، وبدون المحافظة على جميع معاني الأصل المترجم(٢).

رابعاً: موقف العلماء من ترجمة القرآن الكريم:

ان المتتبع لموقف العلماء من ترجمة القرآن الكريم يلحظ لهم آراء متباينة ما بين مؤيد لها وما بين معارض؛ ولكل منهم وجة نظر مستوحاة من مباني فقهية خاصة(٣)، وليس ها هنا محل عرضها والتفصيل فيها.

إلا ان الحقيقة التي اتفق عليها المعارضون والمُؤَيِّدون للترجمة أن القرآن الكريم لا يُسَمى بعد الترجمة قرآناً؛ إذ ان للقرآن الكريم خصائصه ومزاياه وأحكامه الشرعية المختلفة؛ وعليه نلحظ:

---

(١) ظ: عصام هادي كاظم السعيدي، الدراسات القرآنية في الاستشراق السويدي، ص٢٦.
(٢) ظ: د. يوسف مرعشلي، علوم القرآن الكريم، ص٤٥٧.
(٣) للتوسعة في آراء الفقهاء ظ: د. محمد بهاء الدين حسين، ترجمة القرآن الكريم: حكمها وآراء العلماء فيها، ص١٣٥.

١: الترجمة الحرفية لا تجوز وذلك:

لأن القرآن الكريم أنزله الله تعالى على العرب وهم أرباب اللغة والبيان فلم يستطيعوا أن يأتوا بسورة من مثله، وهذا دليل واضح على إعجازه، فلو تُرجم القرآن ترجمة حرفية لضاعت خواص القرآن البلاغية ولنزل عن مرتبته المعجزة إلى مرتبة تدخل تحت طوق البشر.

ومن ذلك أن بعض الألفاظ العربية ربَّما لا يُراد بها الحقيقة، بل يُراد بها المجاز، فلو كانت الترجمة لأحدهما ربما كان هو غير المقصود في القرآن الكريم، وذلك تغيير لمعناه، وهذا ما وقع فيه (مارمادوك وليم بكثول (ت:١٩٣٦م))[١] في ترجمته الإنجليزية لكثير من الآيات، فترجم قوله تعالى (**فَيَدْمَغُه**) من قوله تعالى: ﴿**بل نَقِذِفُ بالْحَقِّ على الباطل فَيَدْمَغُه فإذا هو زاهقٌ**﴾[٢] بمعناه الأصلي وهو (فيشج رأسه).

وترجم قوله تعالى: ﴿**ولا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ**﴾[٣] بمدلولها الأصلي، وهو جمع اليد إلى العنق وإطلاقها.

كما أن بعض الألفاظ العامة في القرآن قد يُراد بها المعنى الخاص فيعبِّر عنه المترجم باللفظ العام الذي لا يريده القرآن، كما صنعه مترجم آخر في قوله تعالى: ﴿**إذا وَقَعَتْ الْوَاقِعَةُ**﴾[٤] باللفظ العام للوقوع، مع أن المُراد هو قيام الساعة.

وعلى هذا: فالترجمة الحرفية لا يمكن أن تقوم مقام الأصل في تحصيل كل ما يقصد منه لما يترتب عليها من ضياع هذا الغرض.

---

(١) أعلن إسلامه وتسمى بـ(محمد)، وقضى ثلاث سنوات في ترجمة معاني القرآن، قصد بعدها مصر لمراجعة ترجمته مع بعض العلماء، وتعد ترجمته من خيرة الترجمات ١٩٣٠م. ظ: نجيب العقيقي، المستشرقون، ص٦٩٣.
(٢) سورة الانبياء، الآية: ١٨.
(٣) سورة الإسراء، الآية: ٢٩.
(٤) سورة الواقعة، الآية: ١.

وبالجملة ان الترجمة الحرفية لا تصح مع أي نص أدبي؛ فلكل نص خصوصيته التي لا تتطابق مع نص آخر من اللغة ذاتها، فكيف تصح واقعيته بترجمته الى نص من لغة أخرى، والقرآن الكريم نص يتسامى في الفاظة على أي نص أدبي آخر.

٢: الترجمة اللفظية:

هذه الترجمة كما تقدم ان تترجم ألفاظ اللغة المنقول منها على قدر طاقة الإنسان بما يساويها من ألفاظ اللغة المنقول إليها: معنى ونظماً وترتيباً، وذلك شبيه جداً بوضع المرادف مكان مرادفه في اللغة الواحدة، وهذه الترجمة إن لم تكن مستحيلة فدونها خرَط القتاد، والسبب في ذلك يعود الى أمرين:

١. نزر التساوي بين مفردات اللغة المنقول منها والمنقول إليها؛ حتى يمكن إحلال الثانية محل الأولى في أداء وظيفتها.
٢. ندرة التشابه بين اللغتين: من حيث ضمائر الأسماء، وحروف المعاني، وربط المفردات عند تأليف الكلمات المرادة وصوغ الجمل المقصودة[١].

فإذا كان التساوي منزوراً والتشابه نادراً بين لغات البشر؛ فهما يكادان ينعدمان بينها وبين كلام الله ﷻ الذي هو معجزة سرمدية في مبناه ومعناه، وبهذا يتضح ان نقله عن طريق الترجمة الحرفية واللفظية مستحيلاً.

٣: الترجمة التفسيرية:

ويمكن ان نقسم هذه الترجمة الى قسمين:

١. ترجمة تفسيرية مباشرة من خلال قراءة النص القرآني وفهمه ومن ثم يقوم المترجم بترجمة النص الى اللغة الأخرى، دون ان يلتزم بالوقوف عند كل لفظة واستبدال ما يوافقها بها في اللغة المترجم إليها.

(١) ظ: د. محمد بن عبد الكريم الجزائري، مقدمة في علوم القرآن وعلوم التفسير، ص٣٢٦.

٢. ترجمة تفسيرية من خلال تفسير وشرح النص القرآني باللغة العربية ومن ثم يترجم المترجم هذا التفسير والشرح الى اللغة الأخرى.

والفرق بين القسمين أن المترجم في القسم الأول لا بد أن يكون عالماً بالتفسير وقادراً على الترجمة معاً.

أما في القسم الثاني فيكفي أن يكون المترجم قادراً على الترجمة بشروطها وضوابطها، فهذا المترجم يترجم ما قام به شخص آخر من جهود تفسيرية.

وواقع هذه الترجمة بقسميها ليست ترجمة للأصل، بل هي ترجمة لمعاني وشرح وتفسير القرآن الكريم، فتكون نتيجتها شرح وتفسير للقرآن الكريم لكنه مكتوب بلغة غير لغة القرآن. لهذا فقد أجازها العلماء؛ إذ يفهم المترجم المعنى من مضمون النص القرآني ثم يدلّ عليه بتركيب نصوص جديدة من لغة أخرى؛ وهي شبيهة جداً بشرح الكلام وتفسيره بعبارات اللغة الأصلية، وذلك لأن المترجم إذا أراد أن يترجم هذه الآية: ﴿**ولا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ**﴾[١] ترجمة تفسيرية إنه يأتي بالنهي عن التبذير والتقتير في أبشع صورة منفرة فتأتي منها بعبارة تدل على هذا النهي المراد في أسلوب يترك في نفس المترجم لهم أكثر الأثر في استبشاع التقتير والتبذير دون رعاية الأصل في نظم وترتيب الآية.

فبهذا تكون الترجمة التفسيرية ميسورة فيما لا يعجز عنه البشر، والمعاني المرادة من الأصل واضحة فيها غالباً[٢].

(١) سورة الإسراء، الآية: ٢٩.
(٢) ظ: الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ١٠٧/٢.

خامساً: الفرق بين التفسير والترجمة التفسيرية:

١. التفسير يكون بلغة الأصل بخلاف الترجمة التفسيرية فإنها تكون بلغة أخرى.
٢. يمكن لقارئ التفسير ومتفهمه أن يلاحظ معه نظم الأصل ودلالته، أما قارئ الترجمة فلا يتسنى له ذلك بل كل ما يفهمه ويعتقده أن هذه الترجمة التي يقرؤها ويتفهم معناها تفسير صحيح للقرآن.

تنبيه.. من المعلوم ان عملية الترجمة تختلف باختلاف الشخص المترجم، فتخضع الى ثقافة المترجم ومقدار وعيه، حيث ان المترجم في الأصل يقوم بعمل فني يعتمد على الاجتهاد، فيختلف فهم النص المُترجم من شخص الى آخر، وتختلف صياغة الترجمة بين مترجم وآخر، فلو ترجم شخص نصاً ثم طلب من آخر أعادة النص المترجَم الى أصله في اللغة التي ترجم عنها، فإن النتيجة لن تكون النص الأول المترجم نفسه.

سادساً: شروط الترجمة:

إن كثيراً من الترجمات لمعاني القرآن الكريم قد تمت ترجمتها إلى لغات مختلفة، وكثير منها لم تصلح للإصدار والنشر، لأن المترجم لم يلتزم فيما وضعه العلماء من الضوابط والشروط المطلوبة عند نرجمة النص القرآني. ونتيجة ذلك حدثت مشاكل كثيرة للفهم الصحيح لمعاني القرآن الكريم ومقاصده في المجتمعات الاسلامية. لذلك، تعد هذه الشروط في غاية الأهمية حتى تساعد مترجم معاني القرآن الكريم أن يدرك أهمية التّمسك بهذه الشروط. وهذه الشروط هي:

١. أن تكون الترجمة على شاكلة التفسير، لا يعول عليها إلا إذا كانت معتمدة على علوم اللغة، وعلوم القرآن.
٢. معرفة المترجم لأوضاع وأساليب وخصائص اللغتين لغة الأصل ولغة الترجمة.

٣. ان يتناول المعنى المستفاد من كل آية، بمعونة التفاسير المعتمدة الموثوق بها، ولا يقتنع بما استظهره من الآية حسب فهمه العادي، وحسب معرفة اوضاع اللغة فحسب، إذ قد يكون دلائل وشواهد على ارادة غير الظاهر قد خفيت عليه، لولا مراجعته للمصادر التفسيرية المعتبرة[١].

٤. ان يترك فواتح السور على حالها، لأنها رموز يجب ان تبقى بألفاظها من غير تبديل ولا تفسير.

٥. وفاء الترجمة بجميع معاني الأصل ومقاصده؛ بمعنى نقل المعنى المعبر عنه في المتن المترجم إلى اللغة الأخرى، بل مراعاة النكات الظريفة والقرائن الحافة بالنص المترجم. فعلى سبيل المثال لوكان النصّ يراد منه اظهار الحسرة والألم – لا بيان المعنى– فعلى المترجم مراعاة الحالة الحزنية والتألمية وعدم التعرّض لبيان معنى الجملة ونقل أصل المعنى لأن المتكلم ليس بصدد بيان المعنى حتى يقوم المترجم بنقله.

٦. أن يكتب القرآن أولاً، ثم يؤتى بعده بتفسيره، ثم يتبع هذا بترجمته التفسيرية حتى لا يتوهم متوهم أن هذه الترجمة ترجمة حرفية للقرآن.

٧. أن يكون المترجم بعيداً عن الميل إلى عقيدة زائفة تخالف ما جاء به القرآن، وهذا شرط في المفسر أيضاً.

٨. ان تكون الترجمة بعناية وأشراف مؤسسات مختصة؛ فتضافر الجهود في العمل الجماعي يقلل من احتمالية وقوع الخطأ، فمن المعلوم ان العمل الفردي عرضة للأخطاء والسهو.

فمن **التراجم الخاطئة** التي أصابت العمل الفردي ما وقع فيها الكثير من الافاضل فزلّوا أو أخطأوا المقصود، فهذا العالم بدر الدين الزركشي (ت:٧٩٤هـ)، المضطلع باللغة والأدب، وكذلك جلال الدين السيوطي (ت:٩١١هـ) الخبير بمواضع

(١) ظ: محمد هادي معرفة، التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، ١٤١/١.

الكلام، نراهما قد اشتبها في اشتقاق (هُدْنَا) في قوله تعالى: ﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾[١]، فقالا من: هدى يهدي[٢]. مع العلم أنه من: هاد يهود.

لكن الزمخشري في تفسيره يقول: هدنا – بالضم –: فعلنا، من: هاده يهيده[٣].

وقال الراغب (ت:٥٠٢هـ): الهَود: الرجوع برفق، ومنه التهويد وهو مشي كالدبيب وصار (الهود) في التعارف التوبة، قال تعالى: (إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ) أي تبنا[٤].

والأعجب اشتباه مثل الراغب، ذكر في مادّة (عنت) قوله تعالى: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾[٥] أي ذلّت وخضعت[٦]، في حين أنه من (عَنِيَ) بمعنى العناء وهو ذلّ الاستسلام، ولذلك يُقال للأسير: العاني، وقد غفل الراغب فذكره في (عنى) أيضاً قال الطبرسي (ت:٥٤٨هـ): أي خضعت وذلّت خضوع الأسير في يد مَن قهره[٧].

وترجم بعضهم (هوا) قوله تعالى: ﴿وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾[٨] بمعنى: الهوى والميل النفساني، في حين انه بمعنى: (الفارغة الجوفاء)[٩].

فنلحظ ان العمل الانفرداي لا يعصم من الخطأ؛ فهؤلاء العلماء الأعلام وقد وقع منهم الاشتباه والسهو، فكيف بمن هو دونهم من ذوي الأقلام إذا انفرد بعمله؟!

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٦.
(٢) قال الزركشي: (فمنه الهدى سبعة عشر حرفاً – الى قوله – او بمعنى التوبة: (انا هدنا اليك) اي تبنا). البرهان في علوم القرآن، ١٠٣/١، وقال السيوطي: من ذلك الهدى يأتي على سبعة عشر وجها – الى قوله – والتوبة: (انا هدنا اليك). الاتقان في علوم القرآن، ١٢٢/٢.
(٣) ظ: تفسير الكشاف، ١٦٥/٢.
(٤) المفردات، ص٥٤٦.
(٥) سورة طه، الآية: ١١١.
(٦) المفردات، ص ٣٤٩.
(٧) مجمع البيان، ٣١/٧.
(٨) سورة ابراهيم، الآية: ٤٣.
(٩) ظ: محمد هادي معرفة، التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، ١٤١/١.

والجدير بالذكر أن بعض البلاد الإسلامية طبعت المصاحف محاطة بتفسير باللغة المحلية في هامش المصحف، كما فعل الإيرانيون والباكستانيون، وليت هذا التفسير ان يكتبه أولاً فريق من العلماء أهل الاختصاص لكان العمل أسلم وأجدى[١].

ملاحظة: إن الكتابة للآيات بالحروف اللاتينية أو الإنجليزية التي تبقي الكلام القرآني كما هو لا يدخل في موضوع الترجمة وإنما هو كتابة خطية بحروف غير عربية.

(١) ظ: الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ٦/٢، نور الدين محمد عتر، علوم القرآن الكريم، ص١١٩، د. يوسف مرعشلي، علوم القرآن الكريم، ص٤٥٨.

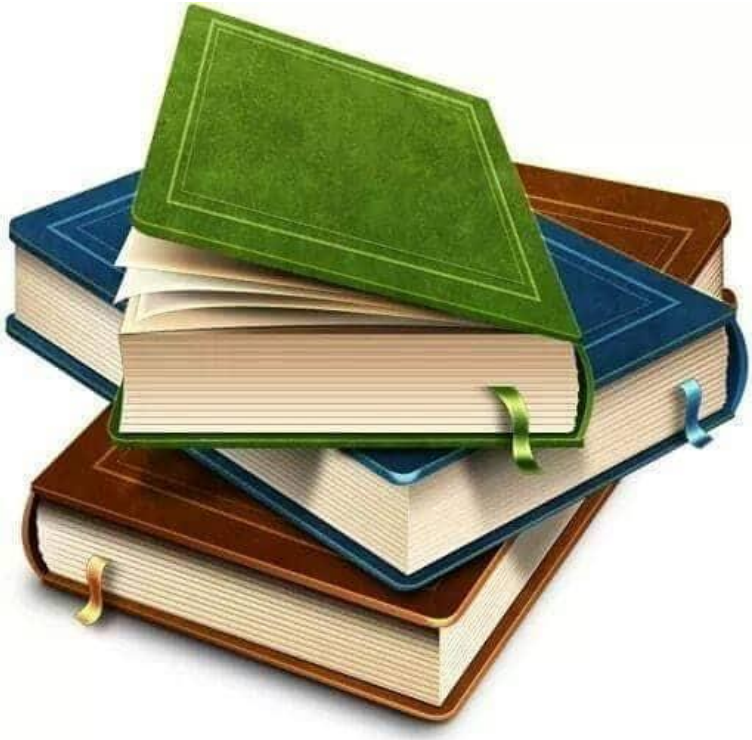

الخاتمة

ولكل بداية لابّد من نهاية، وما بين بداية هذا الكتاب ونهايته رحلة قد تكون قراءة سطور مباحث فصوله قد لا تستغرق ساعات معدودة، إلا انها عند صاحبها استغرقت جهداً طاول الأيام والشهور، في تجوال دائب ما بين كتاب وآخر، وتنقل دائم ما بين علم استوفي مباحثه ومقولة استجلي الرأي فيها، وما ذاك إلا ان لا أقع في ضلالة الأحداث والابتداع، وكذلك فإني لا أدعي أنني أنشأت وابتكرت؛ بل قصارى جهدي أنني فهمت وتدبرت، فأحسب أنّني أحسنت العرض إذا كنت قد وفقت، أما مادة ومواضيع الكتاب فالفضل لله سبحانه، ثم لعلمائنا العاملين، والباحثين المجدين.

كما أطلب من **القارئ الكريم** ان ينظر فيه بعين الرضا، وأن يصلح ما وقع فيه من سقط وسهو إن وجده، وأن يرشدني إلى الأصلح، لكي أستفيد برأيه فإداركه ان وفقت لطباعته طبعة اخرى – إن شاء الله تعالى –.

وأخيراً أسأل الله سبحانه أن يجعل هذا الكتاب نافعاً ومفيداً لإخواني المسلمين عامة وطلاب العلم خاصة، وأن يمدني بالسداد وان لا يحرمني من لذة خدمة الكتاب العزيز فيقوي على خدمته جوارحي، ويشدد على العزيمة جوانحي، وان يسامحني ويعفو عني إن كان قد وقع مني تقصير أو سهو فذاك أمر وارد على البشر، وأن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجنبني الرياء والسمعة، فـ[**لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللهِّ إِلاَّ مَن رَّحِمَ**][1]، إنه نعم المولى ونعم المجيب.

والحمد لله تعالى في البدء والختام، وصلى الله على الحبيب محمد وآله الطاهرين

محمد كاظم حسين الاسكلاوي

(١) سورة هود، الآية: ٤٣.

رأس الحكمة

قائمة المصادر

خير ما نبدأ به: القرآن الكريم.

١. إبراهيم بن منصور التركي(الدكتور)، القول بالصرفة في إعجاز القرآن – عرض ودراسة، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، ٢٠٠٩م، العدد٢.

٢. إحسان دوغره مجي(الدكتور)، الرضاعة الطبيعية في الإسلام، مجلة الطب الإسلامي، الابحاث واعمال المؤتمر العالمي الثالث عن الطب الاسلامي، الكويت، ٨ ايلول/٢ اكتوبر ١٩٨٤م، العدد٣.

٣. احمد بن حنبل (ت:٢٤١هـ)، مسند احمد، دار صادر، بيروت، (دت).

٤. احمد بن عمر السيد(الدكتور)، الاعجاز الغيبي في القرآن الكريم –دراسة نظرية وتطبيقية–، حولية مركز البحوث والدراسات الإسلامية، السنة٧، العدد ٢٤.

٥. أحمد جمال العمري(الدكتور)، مفهوم الإعجاز القرآني حتى القرن السادس عشر الهجري، دار المعارف، مصر، ١٩٨٤م.

٦. أحمد حجازي السقّا، لا نسخ في القرآن، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٨م.

٧. أحمد خان الهندي السيد (ت:١٣١٥هـ)، تفسير القرآن وهو الهدى والفرقان، https://arabicpdfs.com.

٨. أحمد محمد الشرقاوي سالم(الدكتور)، موقف الشوكاني في تفسيره من المناسبات، مجلة كلية أصول الدين، جامعة الأزهر، ١٤٢٥هـ.

٩. اقبال وافي نجم (الدكتورة)، البُعد الترابطي في القرآن الكريم، الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة، كربلاء، ٢٠١٥م.

١٠. الآمدي سيف الدين (ت:٦٣١هـ)، الاحكام في أصول الاحكام، دار الصميعي، الرياض، ٢٠٠٣م.

١١. ابن البارزي (ت:٧٣٩هـ)، ناسخ القرآن العزيز ومنسوخه، تحقيق: د. حاتم صالح، بيروت، ١٩٨٩م.
١٢. البخاري محمد بن إسماعيل (ت:٢٥٦هـ)، صحيح البخاري، دار الفكر للنشر، بيروت، ١٩٨١م.
١٣. البغوي أبو محمد الحسين (ت:٥١٠هـ)، معالم التنزيل، في تفسير القرآن، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٢م.
١٤. البقاعي برهان الدين إبراهيم (ت:٨٨٥هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ٢٠٠٦م.
١٥. البلاغي محمد جواد (ت:١٣٥٢هـ)، آلاء الرحمن في تفسير القرآن، دار احياء التراث العربي، بيروت، (دت).
١٦. الجاحظ أبو عثمان عمر بن بحر (ت:٢٥٥هـ)، البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ.
١٧. الجاحظ، كتاب الحيوان، دار احياء التراث العربي، بيروت، ٢٠١٠م.
١٨. جعفر السُبحاني، أصول الحديث وأحكامه في علم الدراية، مؤسسة الإمام الصادق ع، قم، ١٤١٤هـ.
١٩. جعفر السبحاني، البداء في ضوء الكتاب والسنة، دار الأضواء للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٩٢ هـ ش.
٢٠. جعفر السبحاني، الفكر الخالد في معرفة العقائد، مؤسسة الإمام الصادق ع، قم، (دت).
٢١. ابن الجوزي (ت:٥٩٧هـ)، كشف المشكل من حديث الصحيحين، تحقيق: د. علي حسين البواب، دار الوطن، الرياض، ١٩٩٧م.
٢٢. ابن الجوزي، نواسخ القرآن، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠١٠م.
٢٣. حاجي خليفة (ت:١٠٦٨هـ)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٩م.

٢٤. ابن ابي الحديد (ت:٦٥٥هـ)، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد عبد الكريم النمر، دار الأضواء، بيروت، ط٢، ٢٠٠٣م.
٢٥. الحر العاملي (ت:١١٠٤هـ)، وسائل الشيعة، نشر مؤسسة آل البيت b لإحياء التراث، قم، ط٢، ١٤١٤هـ.
٢٦. الحر العاملي محمد بن الحسن (ت:١١٠٤هـ)، الجواهر السنية في الأحاديث القدسية، مؤسسة الوفاء، بيروت، ١٩٨٤م.
٢٧. ابن حزم الظاهري (ت:٤٥٦هـ)، الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي، القاهرة.
٢٨. حسن الشيرازي (ستشهد:١٤٠٠هـ)، كلمة الله، مؤسسة الوفاء، بيروت، (دت).
٢٩. حسن أيوب، الحديث في علوم القرآن والحديث، دار السلام، الإسكندرية، ط٢، ٢٠٠٤م.
٣٠. حسيب عبد الحليم شعيب(الدكتور)، المحكم والمتشابه في القرآن، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٣م.
٣١. حسين بن علي الحربي(الدكتور)، مبهمات القرآن الكريم دراسة تأصيلية، مجلة الملك خالد، المجلد ١٠، السنة ٢٠١٢م، العدد ٢.
٣٢. حسين جوان آراسته، دروس في علوم القرآن، ترجمة: خليل العصامي، مركز المصطفى ﷺ العالمي للنشر، قم، ط٢، ٢٠١٠م.
٣٣. حلمي خليل، مقدمة لدراسات اللغة، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٢م.
٣٤. حيدر خماس الساعدي، المعرّب في القرآن –دراسة نظرية بين معطيات علم اللغة وعلوم القرآن–، مجلة الإصلاح الحسيني، السنة الأولى، ١٤٣٤هـ، العدد ١.
٣٥. الخوئي ابو القاسم (ت:١٤٢٣هـ) (مرجع ديني معاصر)، البيان في تفسير القرآن، مطبعة العمال المركزية، بغداد، ١٩٨٩م.
٣٦. الداماد المحقق (ت:١٠٤١هـ) محمد باقر الحسيني الاسترآبادي، الرواشح السماوية، تحقيق: نعمة الله الجليلي وآخر، دار الحديث للطباعة والنشر، قم.
٣٧. الداوودي(ت:٩٤٥هـ)، طبقات المفسرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م.

٣٨. الرازي فخر الدين(ت:٦٠٤هـ)، تفسير مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ٢٠٠٩م.
٣٩. الراغب الاصفهاني (ت:٤٢٥هـ)، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، ط٤، ١٤٢٥هـ.
٤٠. أبو رزق عبد الرؤوف المصري، معجم القرآن، مطبعة القاهرة، ١٩٤٨م.
٤١. ابن رشد الحفيد (ت:٥٩٥هـ)، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، مكتبة العلم، جدة، ١٤١٥هـ.
٤٢. رشيد برقان، آليات ترابط النص القرآني، دار أفريقيا الشرق، المغرب، ٢٠١٥م.
٤٣. رفعت السيد العوضي(الدكتور)، إعجاز القرآن الكريم في تشريع الميراث، دار السلام، القاهرة، ٢٠٠٨م.
٤٤. رياض الفتلاوي، دروس في علوم القرآن والسنة، مكتبة الباقر للطباعة والتصميم، (دت).
٤٥. زاهر بن عوض الألمعي (الدكتور)، دراسات في علوم القرآن، دار الرياض، السعودية، ط٤، ٢٠٠٧م.
٤٦. الزبيدي مرتضى (ت:١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٤م.
٤٧. الزرقاني (ت:١٣٦٧هـ) محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠١م.
٤٨. الزركشي بدر الدين محمد (ت:٧٤٥هـ)، البرهان في علوم القرآن، دار الغد الجديد، القاهرة، ٢٠١٥م.
٤٩. الزمخشري جار الله (ت:٥٣٨هـ)، تفسير الكشاف، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ٢٠٠١م.
٥٠. زياد الغامبين(الدكتور)، التفسير الموضوعي ومنهجية البحث فيه، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٧م.

٥١. زيد بن علي مهارش، المبهمات في القرآن الكريم تعريفها وأسباب وقوعها، مجلة جامعة جازان فرع العلوم الإنسانية، السعودية، المجلد ٢، ٢٠١٣م، العدد ٢.
٥٢. زيرفان قاسم البرواري(الدكتور)، لغة القرآن الكريم بين الاعجاز والصرفة – دراسة مقارنة –، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة زاخو، المجلد٥، ٢٠١٧م، العدد٤.
٥٣. السمرقندي علاء الدين (ت:٤٥٠هـ)، ميزان الأصول في نتائج العقول، مطابع الدوحة الحديثة، قطر، ١٩٨٤م.
٥٤. السيد عبد الحليم محمد(الدكتور)، دراسات قرآنية، مجمع فقهاء الشريعة بأمريكا، اصدار ٢١، القاهرة.
٥٥. سيد قطب (ت:١٩٦٦م)، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط٣٤، ٢٠٠٤م.
٥٦. سيروان عبد الزهرة الجنابي(الدكتور)، الاعجاز القرآني في النص التشريعي قراءة في المبنى والمعنى، مطبعة الأمير، النجف الأشرف، ٢٠١٥م.
٥٧. سيروان عبد الزهرة الجنابي(الدكتور)، تأريخ القرآن وعلومه، مطبعة دار الأمير، النجف الأشرف، ٢٠١٥م.
٥٨. السيستاني السيد علي الحسيني (مرجع ديني معاصر)، منهاج الصالحين، دار المؤرخ العربي، بيروت، ط٢، ١٩٩٦م.
٥٩. السيوطي (ت:٩١١هـ) جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م.
٦٠. السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨م.
٦١. الشاطبي أبو إسحاق (ت:٧٩٠هـ)، الموافقات، دار ابن عفان، ١٩٩٧م.
٦٢. الشافعي محمد بن إدريس (ت:٢٠٤هـ)، كتاب الرسالة، مصطفى البابي الحلبي وأولاد، مصر، ١٩٣٨م.
٦٣. أبو شامة عبد الرحمن بن إسماعيل، المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م.

٦٤. الشريف المرتضى (ت:٤٣٦هـ)، الموضح عن جهة اعجاز القرآن (الصرفة)، تحقيق: محمد رضا الأنصاري القمي، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد، إيران، ١٤٢٤هـ.
٦٥. شعبان محمد عطية(الدكتور)، النسخ في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، حولية كلية الدراسات الإسلامية/ أسوان، جامعة الأزهر، مصر، ٢٠١٩م، العدد٢.
٦٦. الشوكاني محمد بن علي (ت:١٢٥٥هـ)، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، دار الكتاب العربي، ١٩٩٩م.
٦٧. الشوكاني محمد بن علي، فتح القدير، دار الكلم الطيب، دمشق، ١٤١٤هـ.
٦٨. صبحي الصالح (الدكتور)، مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٨م.
٦٩. الصدوق (ت:٣٨١هـ)، ثواب الأعمال، طليعة نور، قم، ط٥، ١٤٣١هـ.
٧٠. طالب الساعدي، دروس توضيحية في علوم القرآن، مطبعة الثقلين، النجف الاشرف، ٢٠١٥م.
٧١. الطبرسي (ت:٥٤٨هـ)، مجمع البيان في تفسير القرآن، مكتبة دار المجتبى، النجف الأشرف، ٢٠٠٩م.
٧٢. الطبري ابن جرير (ت:٣١٠هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٠م.
٧٣. طه جابر العلواني (الدكتور)، معالم في المنهج القرآني، دار السلام، ٢٠١٠م.
٧٤. الطوسي محمد بن الحسين (ت:٤٦٠هـ)، التبيان في تفسير القرآن، الأميرة للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠١٠م.
٧٥. الطوسي، كتاب الغيبة، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم، ١٤١١هـ.
٧٦. عادل حسن علي (الدكتور)، الجمان في علوم القرآن، مكتبة المتنبي، السعودية، ٢٠٠٦م.
٧٧. عادل عباس النصراوي (الدكتور)، إشكالية البُعد التاريخي للقرآن، دار تموز للطباعة والنشر، دمشق، ٢٠١٥م.

٧٨. عادل عباس النصراوي (الدكتور)، إشكالية النسخ في القرآن الكريم، دار الرافدين، بيروت، ٢٠١٧م.
٧٩. ابن عاشور محمد الطاهر (ت:١٩٧٣م)، تفسير التحرير والتنوير، مؤسسة التاريخ، (دت).
٨٠. عائشة عبد الرحمن(الدكتور)، الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، دار المعارف بمصر، ١٩٧١م.
٨١. عباس كاشف الغطاء (الدكتور)، المدخل الى الشريعة الإسلامية، مطبعة النجف الاشرف، ٢٠٠٨م.
٨٢. عبد الجليل عبد الرحيم، التفسير الموضوعي في كفتي الميزان، دار النشر عمان، الاردن، ١٩٩٢م.
٨٣. عبد الحسين شرف الدين (ت:١٩٥٧م)، أجوبة مسائل جار الله، صيدا، لبنان، مطبعة العرفان، ط٢، ١٩٥٣م.
٨٤. عبد الحميد الفراهي الهندي (ت:١٣٤٩هـ)، دلائل النظام، المطبعة الحميدية، الهند، ١٩٦٨م.
٨٥. عبد الحميد محمود غانم (الدكتور)، علم المناسبات القرآنية موضوعه . تطوره . مكانته، مجلة البيان، المنتدى الإسلامي، العدد ١٥٠.
٨٦. عبد الرسول الغفار(الدكتور)، الميسر في علوم القرآن، دار الرسول الاكرم ص، بيروت، ط٢، ٢٠١٤م.
٨٧. عبد القادر حسين(الدكتور)، القرآن في إعجاز وبلاغته، مطبعة الأمانة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٧٥م.
٨٨. عبد الله احمد الزيوت(الدكتور)، نشأة الاعجاز التشريعي وتطوره، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، المجلد ٨، ٢٠١٢م، العدد٣.
٨٩. عبد الله يوسف الجديع، المقدمات الأساسية في علوم القرآن، مؤسسة الريان، بيروت، ط٥، ٢٠١١م.

٩٠. عبد المتعال الجبري (الدكتور)، النسخ في الشريعة الإسلامية كما أفهمه، مكتبة وهبة، مصر، ١٩٨٧م.
٩١. عدنان زرْزور، علوم القرآن وإعجازه وتاريخ توثيقه، دار الأعلام، ٢٠٠٥م.
٩٢. ابن العربي أبو بكر (ت:٥٤٣هـ)، أحكام القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ٢٠٠٣م.
٩٣. ابن العربي المالكي (ت٥٤٣هـ)، قانون التأويل، تحقيق: د. محمد السليماني، دار القبلة للثقافة الإسلامية، ١٩٨٦م.
٩٤. ابن العربي المالكي (ت٥٤٣هـ)، الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، تحقيق: د. عبد الكبير العلوي المدغري، مكتبة الثقافة الدينية، ١٩٩٢م.
٩٥. عصام هادي كاظم السعيدي، الدراسات القرآنية في الاستشراق السويدي، العتبة العباسية المقدسة، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، ٢٠٢٠م.
٩٦. ابن عطية الاندلسي (ت:٥٤٢هـ)، المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٩هـ.
٩٧. عقيلة ابن المكي شمس الدين محمد بن أحمد (ت:١١٥٠هـ)، الزيادة والإحسان في علوم القرآن،مركز البحوث والدراسات، جامعة الشارقة الإمارات، ١٤٢٧هـ.
٩٨. العلوي الزيدي (ت:٧٤٩هـ)، الطراز، تحقيق: عبد الحميد الهنداوي، المكتبة العصرية، بيروت.
٩٩. علي حسب الله (ت:١٩٧٨م)، أصول التشريع الإسلامي، دار المعارف، مصر، ط٥، ١٩٧٦م.
١٠٠. علي حسن العريض(الدكتور)، فتح المنان في نسخ القرآن، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٣م.
١٠١. عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، مكتبة المثنى، بيروت، ١٩٩٣م.
١٠٢. عمر محمد راجح، الاعجاز الغيبي في القرآن الكريم –دراسة تحليلية نقدية–، رسالة ماجستير، كلية النجاح الوطنية، فلسطين، ٢٠١٤م.

١٠٣. العياشي محمد بن مسعود (ت:٩٣٢هـ)، تفسير العياشي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ٢٠١٠م.
١٠٤. فاضل صالح السامرائي(الدكتور)، لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٣م.
١٠٥. الفاضل عبد الحكيم الأنيس (الدكتور)، أضواء على ظهور علم المناسبة القرآنية، مجلة الأحمدي، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث في دبي بالإمارات العربية المتحدة، جمادى الأولى ١٤٢٣هـ، العدد١١.
١٠٦. أبو الفتح الكراجكي (ت:٤٤٩هـ)، كنز الفوائد، دار الذخائر، قم، ١٤١٠هـ.
١٠٧. الفراء (ت:٢٠٧هـ)، معاني القرآن، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م.
١٠٨. أبو الفضل الغماري الحسني (ت:٢٠١٠م)، جواهر البيان في تناسب سور القرآن، مكتبة القاهرة، مصر، (دت).
١٠٩. فضل حسن عباس، إتقان البرهان في علوم القرآن، دار الفرقان، عمان، ١٩٩٧م.
١١٠. فضل عباس صالح، الحروف المقطعة في أوائل السور، أطروحة دكتوراه، جامعة النجاح، كلية الدراسات العليا، فلسطين، ٢٠٠٣م.
١١١. فهد بن عبد الرحمن الرومي (الدكتور)، أصول التفسير ومناهجه، مكتبة الملك فهد، الرياض، ط٢، ٢٠١٥م.
١١٢. فهد بن عبد الرحمن الرومي (الدكتور)، دراسات في علوم القرآن، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط١٩، ٢٠١٤م.
١١٣. فهد بن عبد الرحمن الرومي (الدكتور)، خصائص القرآن الكريم، مكتبة العبيكان، الرياض، ط٩، ١٩٩٧م.
١١٤. الفيروز آبادي (ت:٨١٧هـ)، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط٨، ٢٠٠٥م.

١١٥. الفيروز آبادي (ت:٨١٧هـ)، بصائر ذوي التمييز، تحقيق: محمد علي النجار، القاهرة، ١٩٦٩م.
١١٦. القاضي عبد الجبار المعتزلي (ت:٤١٥هـ)، المغني، دار المصطفى، القاهرة.
١١٧. قطب الريسوني(الدكتور)، النص القرآني من تهافت القراءة الى أفق التدبر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ٢٠١٠م.
١١٨. كاصد ياسر الزيدي (الدكتور) وآخر، علوم القرآن والتفسير، المركز الوطني لعلوم القرآن، ديوان الوقف الشيعي، بغداد، ٢٠١٠م.
١١٩. ابن كثير (ت:٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، دار صبح، بيروت، ط٤، ٢٠٠٧م.
١٢٠. الكليني محمد بن يعقوب (ت:٣٢٩هـ)، الكافي، تصحيح: علي أكبر غفاري، المكتبة الإسلامية، طهران.
١٢١. مازن إسماعيل هنية، الإعجاز التشريعي في المواريث، مجلة الجامعة الإسلامية، غزة، المجلد ١٣، ٢٠٠٥م، العدد٢.
١٢٢. الماوردي أبو الحسن علي بن محمد (ت:٤٥٠هـ)، أعلام النبوة، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٠٩هـ.
١٢٣. المجلسي محمد باقر (ت:١١١١هـ)، بحار الأنوار، تحقيق: السيد ابراهيم الميانجي وآخر، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط٢، ١٩٨٣م.
١٢٤. مجيد حميد البديري، المعرَّب في القرآن الكريم وأثره في حركة الاقتباس، مجلة أهل البيت (عليهم السلام)، العدد٢.
١٢٥. محمد أبو زهرة (ت:١٩٧٤م)، المعجزة الكبرى، دار الفكر العربي، مصر، (دت).
١٢٦. محمد أبو موسى(الدكتور)، الإعجاز البلاغي، مكتبة وهبة، مصر، ١٤٠٥هـ.
١٢٧. محمد الخضري بك، أصول الفقه، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٩٦٩م.
١٢٨. محمد الغزالي (ت:١٩٩٦م)، نظرات في القرآن الكريم، دار نهضة مصر، القاهرة، ط٦، ٢٠٠٥م.

١٢٩. محمد الموسوي المقدم (الدكتور) وآخر، التناسب في ترتيب نزول السور القصار سورة العلق والقلم والمزمل أنموذجاً، مجلة المصباح، العتبة الحسينية المقدسة، العراق، السنة ٧، العدد ٢٧.
١٣٠. محمد باقر الحكيم، علوم القرآن، مجمع الفكر الإسلامي، قم، ط٧، ١٤٢٦هـ.
١٣١. محمد باقر الصدر (استشهد:١٩٨٠م)، المدرسة القرآنية، مركز الأبحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر، قم، ١٤٢٩هـ.
١٣٢. محمد بن عبد الكريم الجزائري(الدكتور)، مقدمة في علوم القرآن وعلوم التفسير، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابس، ١٣٧٠هـ.
١٣٣. محمد بن عمر بن سالم بازمول، علم المناسبات في السور والآيات، مكتبة مكة، السعودية، ٢٠٠٢م.
١٣٤. محمد بن لطفي الصباغ (الدكتور)، بحوث في أصول التفسير، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨م.
١٣٥. محمد بهاء الدين حسين(الدكتور)، ترجمة القرآن الكريم: حكمها وآراء العلماء فيها، مجلة دراسات الجامعة الإسلامية العالمية، شيتاغونغ، المجلد ٣، ٢٠٠٦م.
١٣٦. محمد جواد مغنية (ت:١٩٧٩م)، التفسير الكاشف، منشورات الرضا، بيروت، ٢٠١٣م.
١٣٧. محمد حسن عبد العزيز(الدكتور)، التعريب في القديم والحديث، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٧٩م.
١٣٨. محمد حسين الذهبي (ت:١٩٧٧م)، التفسير والمفسرون، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، (دت).
١٣٩. محمد حسين الصغير (الدكتور) (ت:٢٠٢٣م)، تأريخ القرآن، دار المؤرخ العربي، بيروت، ١٩٩٩م.
١٤٠. محمد حسين الصغير(الدكتور)، دراسات قرآنية / المستشرقون والدراسات القرآنية، مكتب الاعلام الإسلامي، ط٢، ١٤١٣هـ.

١٤١. محمد حسين الصغير (الدكتور)، نظرات معاصرة في القرآن الكريم، دار المؤرخ العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ.
١٤٢. محمد حسين الطباطبائي (ت:١٩٨١م)، القرآن في الإسلام، ترجمة: السيد احمد الحسيني، مؤسسة المحبين للطباعة والنشر، مدينة الصدر، ٢٠٠٤م.
١٤٣. محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، دار الاندلس، النجف الأشرف، ٢٠٠٩م.
١٤٤. محمد حسين فضل الله (ت:٢٠١٠م)، من وحي القرآن، دار الملاك، بيروت، ط٣، ٢٠٠٧م.
١٤٥. محمد خازر المجالي (الدكتور)، الوجيز في علوم الكتاب العزيز، دار صادر، بيروت، ١٩٧٥م.
١٤٦. محمد رجب البيومي (ت:٢٠١١م) (الدكتور)، البيان القرآني، دار النصر للطباعة، القاهرة، ١٩٧١م.
١٤٧. محمد رشيد رضا (ت:١٩٣٥م)، تفسير المنار، دار احياء التراث العربي، (دت).
١٤٨. محمد سيد طنطاوي (ت:٢٠١٠م) (الدكتور)، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، ١٩٩٨م.
١٤٩. محمد عبد الله دراز (الدكتور) (ت:١٩٥٨م)، النبأ العظيم، دار الفقه للطباعة والنشر، إيران، ١٤٢٧هـ.
١٥٠. محمد عبد الله دراز (الدكتور)، مدخل إلى القرآن الكريم، دار القلم، الكويت، ط٢، ١٩٧٤م.
١٥١. محمد عزة دروزه (ت:١٩٨٤م)، التفسير الحديث ترتيب السور حسب النزول، دار الغرب الإسلامي، ط٢، ٢٠٠٠م.
١٥٢. محمد علي التسخيري، محاضرات في علوم القرآن، المنظمة العالمية للحوزات والمدارس الإسلامية، قم، ٢٠٠٣م.

١٥٣. محمد فاروق النبهان، المدخل إلى علوم القرآن الكريم، دار عالم القرآن، حلب، ٢٠٠٥م.
١٥٤. محمد كاظم الفتلاوي (الدكتور)، أصول التفسير، أصول التفسير – دراسة في المبادئ العامة والضوابط والقواعد –، دار حدود، بيروت، ٢٠١٨م.
١٥٥. محمد كاظم الفتلاوي (الدكتور)، الاعجاز في القرآن الكريم، مطبعة الثقلين، النجف الاشرف، ٢٠١٥م.
١٥٦. محمد كاظم الفتلاوي (الدكتور)، العلم في المفهوم القرآني، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، كلية التربية، جامعة القادسية، المجلد ٩، ٢٠١٠م، العددان: ٣–٤،
١٥٧. محمد كاظم الفتلاوي (الدكتور)، الفرائض العبادية وأثرها في البناء الإنساني – دراسة قرآنية –، مؤسسة الضمان للإنتاج الفني، النجف الاشرف، ٢٠١٤م.
١٥٨. محمد كاظم الفتلاوي (الدكتور)، المجتمع الإسلامي المعاصر – دراسة في ضوء الكتاب والسنة –، مطبعة دار الرافد، بغداد، ٢٠١٨م.
١٥٩. محمد كاظم الفتلاوي (الدكتور)، حرية العقيدة والرأي في الفكر الإسلامي، رسالة ماجستير، كلية الفقه، جامعة الكوفة، ٢٠٠٨م.
١٦٠. محمد كاظم الفتلاوي (الدكتور)، علم المناسبة في القرآن الكريم، مجلة دواة، العتبة الحسينية المقدسة، ٢٠٢٣م، المجلد ١٠، السنة ٩، العدد ٣٨.
١٦١. محمد كاظم الفتلاوي (الدكتور)، علم النسخ في القرآن – دراسة في النظرية والتطبيق–، مجلة كلية الفقه، جامعة الكوفة، السنة ١٤، ٢٠٢٢م، العدد ٤٢.
١٦٢. محمد كاظم الفتلاوي (الدكتور)، مناهج المفسرين، دار حدود، بيروت، ط٢، ٢٠٢٠م.
١٦٣. محمد كلانتر (ت:١٤٢٠هـ)، البداء عند الشيعة الامامية، منشورات جامعة النجف الاشرف، النجف الاشرف، (دت).
١٦٤. محمد هادي معرفة، التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، الجامعة الرضوية للعلوم الإسلامية، مشهد، ١٤٢٦هـ.

١٦٥. محمد هادي معرفة، التمهيد في علوم القرآن، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤٢٩هـ.
١٦٦. محمد يوسف الشربَجي، الألفاظ المعرّبة في القرآن الكريم ومَوقف السّيوطي مِنْهُ، مجلة التراث العربي–مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب–، دمشق، السنة ١٣ – نيسان، ١٩٩٣، العدد٥١.
١٦٧. محمود البستاني (الدكتور)، دراسات في علوم القرآن، مدينة العلم، قم، ٢٠٠٧م.
١٦٨. محمود حسن عمر، المناسبة في القرآن الكريم، شبكة الالوكة، ٢٠١٦م.
١٦٩. محمود راميان (الدكتور)، تاريخ قرآن، انتشارات مؤسسة أمير كبير، طهران، ١٣٤٩هـ.
١٧٠. مرتضى الايرواني (الدكتور)، مذاهب التفسير واتجاهاتها في القرن السادس الهجري في خراسان، مجلة رسالة التقريب، ١٤١٧هـ، العدد ١٢.
١٧١. مركز الأبحاث العقائدية، موسوعة الأسئلة العقائدية، مطبعة ستارة، قم، ١٤٢٩هـ.
١٧٢. مساعد ناصر الطيار، المحرر في علوم القرآن، مركز الدراسات والمعارف القرآنية، جده، ٢٠٠٨م.
١٧٣. مصطفى السباعي(الدكتور)، مباحث في إعجاز القرآن، المكتب الإسلامي، ط٦، ١٤٠٤هـ.
١٧٤. مصطفى ديب البغا، الواضح في علوم القرآن، دار العلوم الإنسانية، دمشق، ١٩٩٨م.
١٧٥. مصطفى زيد (الدكتور)، النسخ في القرآن الكريم – دراسة تشريعية تاريخية نقدية –، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ١٩٨٧م.
١٧٦. مصطفى صادق الرافعي (ت:١٩٣٧م) (الدكتور)، تاريخ آداب العرب، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٩٧٤م.
١٧٧. مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٨، ٢٠٠٥م.

١٧٨. مصطفى مسلم(الدكتور)، مباحث في إعجاز القرآن الكريم، دار القلم، دمشق، ط٥، ٢٠١٣م.
١٧٩. المفيد (ت:٤١٣هـ)، التذكرة بأصول الفقه، الناشر: المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، قم، ١٤١٣هـ.
١٨٠. مقاتل بن سليمان (ت:١٥٠هـ)، الأشباه والنظائر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠م.
١٨١. مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف، الرياض، ط٢، ١٩٩٦م.
١٨٢. ابن منظور (ت:٧١١هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت.
١٨٣. منير سلطان(الدكتور)، إعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٨٦م.
١٨٤. ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ٢٠٠٥م.
١٨٥. نجيب العقيقي، المستشرقون، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨١م.
١٨٦. ابن النديم (ت:٤٣٨هـ)، الفهرست، دار المعرفة، القاهرة.
١٨٧. نذير حمدان، الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم، دار المنارة، جدة، ١٩٩١م.
١٨٨. نعيم الحمصي(الدكتور)، تاريخ فكرة إعجاز القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٨٠م.
١٨٩. النهاوندي محمد بن عبد الرحيم (ت:١٣٧١هـ)، نفحات الرحمن في تفسير القرآن، مؤسسة البعثة، قم، ١٤٢٩هـ.
١٩٠. نور الدين آل علي(الدكتور)، التعريب وأثره في الثقافتين العربية والفارسية، دار الثقافة، القاهرة ١٩٧٩م.
١٩١. نور الدين محمد عتر، علوم القرآن الكريم، مطبعة الصباح، دمشق، ١٩٩٣م.
١٩٢. هبة الله بن سلامة بن نصر بن علي البغدادي (ت:٤١٠هـ)، الناسخ والمنسوخ، تحقيق: د. موسى بناي العليلي الدار العربية للموسوعات، بيروت، ١٩٨٩م.

١٩٣. ولي الله الدهلوي (ت:١١٨٠هـ)، الفوز الكبير في أصول التفسير، دار الصحوة، القاهرة، ط٢، ١٩٨٦م.
١٩٤. يوسف بن خلف العيساوي (الدكتور)، علم إعراب القرآن تأصيل وبيان، دار الصميعي، الرياض، ٢٠٠٧م.
١٩٥. يوسف مرزوق الضاوي(الدكتور)، خطوات المبهمات في القرآن الكريم وعلاقتها بالإسرائيليات عند المفسرين ابن جني انموذجا، مجلة الدراسات الإسلامية والبحوث الاكاديمية، الكويت، العدد ٧٠.

المحتويات

الآية الكريمة ٣
الإهداء ٥
مقدمة ٧

الفصل الأول: مقدمتان عن علوم القرآن والقرآن الكريم

المقدمة الأولى: نظرة عامة عن علوم القرآن الكريم ١٥
١. لمحة تاريخية عن علوم القرآن (نشأة علوم القرآن) ١٥
٢. تطور علوم القرآن..... ١٦
٣. تدوين علوم القرآن ١٦
٤. علوم القرآن اصطلاح خاص ١٩
٥. موضوع علوم القرآن ٢١
٦. الفرق بين علوم القرآن وأصول التفسير ٢٢
٧. دواعي دراسة علوم القرآن وفائدتها ٢٤
المقدمة الثانية: نظرة عامة عن القرآن الكريم ٢٦
١. القرآن الكريم في اللغة والاصطلاح ٢٦
٢. أسماء وأوصاف القرآن الكريم ٢٨
٣. فضله ومكانته ٣٣
٤. آداب تلاوة القرآن الكريم ٣٤
٥. الفرق بين القرآن الكريم والحديث القدسي ٣٤
٦. الفرق بين القرآن الكريم والحديث النبوي ٣٦
٧. الفرق بين الحديث القدسي والحديث النبوي ٣٦
٨. فضل القرآن الكريم على اللغة العربية ٣٧

الفصل الثاني: علم النسخ في القرآن الكريم

تمهيد ٤٧
أولاً: معنى النسخ في اللغة والاصطلاح ٤٨
ثانياً: شروط النسخ ٥٠
ثالثاً: مشروعية النسخ (أدلة النسخ) ٥٢
رابعاً: أركان النسخ ٥٥
خامساً: طرق معرفة النسخ ٥٥
سادساً: أنواع النسخ في اصطلاح المتقدمين ٥٦
سابعاً: فوائد معرفة النسخ في القرآن ٦٦
ثامناً: أنواع النسخ في القرآن ٦٧
تاسعاً: حكمة رفع الحكم وبقاء تلاوته ٧٠
عاشراً: أقسام النسخ في القرآن ٧١
إحدى عشر: أنواع النسخ من حيث البدل وعدمه ٧٤
أثنا عشر: موقف علماء المسلمين من عدد آيات النسخ ٧٦
ثلاثة عشر: الفرق بين النسخ والبداء ٧٩

الفصل الثالث: علم المحكم والمتشابه في القرآن

أولاً: الآيات التي تصف القرآن الكريم من حيث الإحكام والتشابه ٨٩
ثانياً: تعريف المحكم والمتشابه ٩١
ثالثاً: الآثار المترتبة على الأخذ بالمتشابه ٩٤
رابعاً: الراسخون في العلم ومتشابه القرآن ٩٦
خامساً: أهل البيت عليهم السلام والراسخون في العلم ٩٩
سادساً: حكمة ورود المحكم والمتشابه ١٠٢
سابعاً: منشأ التشابه في القرآن الكريم (الأسباب) ١٠٥
ثامناً: نماذج من الآيات المتشابهة ١٠٦

تاسعاً: علاقة علم المتشابه بعلم المبهم ١٠٨

الفصل الرابع: علم المبهمات في القرآن الكريم

أولاً: تعريف علم المبهم ١١١
ثانياً: أنواع علم المبهمات ١١٢
ثالثاً: كيفية معرفة المبهم ١١٥
رابعاً: عوامل الابهام ١١٦
خامساً: الفرق بين المتشابه والمبهم ١١٧
سادساً: ضوابط تفسير مبهمات القرآن ١١٩

الفصل الخامس: علم الإعجاز القرآني علم الإعجاز القرآني

أولاً: تعريف الإعجاز لغة واصطلاحاً ١٢٣
ثانياً: المعجزة في القرآن الكريم ١٢٤
ثالثاً: شروط المعجزة ١٢٥
رابعاً: أنواع المعجزة ١٢٦
خامساً: مراحل التحدي ١٢٨
سادساً: القدر المعجز من القرآن الكريم ١٣١
سابعاً: الفرق بين المعجزة والكرامة ١٣٢
ثامناً: الفرق بين المعجزة والسحر ١٣٢
تاسعاً: وجوه الإعجاز القرآني ١٣٣
١. الإعجاز بالصرفة ١٣٤
٢. الإعجاز الغيبي ١٤٠
٣. الإعجاز البياني ١٤٨
٤. الإعجاز التشريعي ١٥٤
٥. الإعجاز العلمي ١٦١
٦. الإعجاز في الانسجام وعدم الاختلاف في النص القرآني ١٦٥

٧. إعجاز القرآن في وفوه بالحاجات البشر ١٦٧

الفصل السادس: علم المناسبات في القرآن الكريم

أولاً: المقصود بالمناسبات ١٧١
ثانياً: الفرق بين المناسبة والنظم ١٧٤
ثالثاً: نشأة علم المناسبات ١٧٥
رابعاً: ثمرة علم المناسبة ١٧٧
خامساً: أسباب اقلال أغلب المفسرين من علم المناسبة ١٧٧
سادساً: موقف العلماء من علم المناسبات ١٧٨
سابعاً: تعليق على آراء المعارضين لعلم المناسبة ١٨٥
ثامناً: أهمية علم المناسبات ١٨٨
تاسعاً: شروط جواز طلب المناسبات في القرآن ١٩٠
عاشراً: أقسام علم المناسبات ١٩١

الفصل السابع: علم غريب القرآن وعلم المعرّب في القرآن

أولاً: علم غريب القرآن ٢٠٣
١. التعريف بالعلم وبيان أهميته ٢٠٣
٢. بيان نشأته ٢٠٣
٣. الفرق بين علم غريب القرآن والتفسير ٢٠٥
٤. بعض أسباب غرابة اللفظ القرآني ٢٠٦
٥. أفضل طرق ما يستعان به في تفسير الغريب ٢٠٩
ثانياً: علم المعرّب في القرآن الكريم ٢١٢
١. معناه ٢١٢
٢. موقف العلماء من وجود المعرب في القرآن الكريم ٢١٣
الرأي الأول: المنكرين ٢١٣
الرأي الثاني: المؤيدين ٢١٤

الرأي الثالث: التوفيق بين الرأيين ٢١٥

الفصل الثامن: ترجمة القرآن الكريم بغير لغته

تمهيد ٢١٩

أولاً: معنى الترجمة: لغة واصطلاحاً ٢٢٠

ثانياً: أهمية ترجمة القرآن الكريم ٢٢١

ثالثاً: أقسام الترجمة ٢٢١

رابعاً: موقف العلماء من ترجمة القرآن الكريم ٢٢٢

خامساً: الفرق بين التفسير والترجمة التفسيرية ٢٢٦

سادساً: شروط الترجمة ٢٢٦

الخاتمة ٢٣١

قائمة المصادر والمراجع ٢٣٣

تبيان
الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا
ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء

Conclusion

The subject of our book includes the objective sciences of the Qur'an. It is known that the sciences of the Holy Qur'an are divided into:

First: Objective Qur'anic sciences: related to the precise Qur'anic texts and others, including, but not limited to: the science of abrogation, the science of the precise and similar ones, the science of Quranic miracles, the science of occasions, and others.

Second: Historical Qur'anic sciences: which include sciences related to outside the Qur'anic text or surrounding the Qur'anic text and include: the phenomenon of revelation, the science of Mecca and Medina, the science of the causes of revelation, the science of Qur'anic readings, and others.

In clarifying the meanings of the sciences of this subject, I have relied on the descriptive and analytical approach in many of its discussions, while implementing some other approaches as required by the situation and forced upon us by need.

We have postponed the discussion of the science of interpretation and its rules to a future book - God willing - due to its breadth and importance.

Prof. Dr:

Muhammad **K**azem **Al**-Fatlawy
Professor of Quranic Studies
University of Kufa / Najaf 2024

كتب صدرت للمؤلف

١- **كتاب: الإدارة المدرسية في الفكر التربوي الإسلامي**، نشر: ديوان الوقف الشيعي / بغداد، رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٢٠٣١) لسنة ٢٠١٠م.

٢- **كتاب: الفرائض العبادية وأثرها في البناء الإنساني – دراسة قرآنية** –، رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١١٣٤) لسنة ٢٠١٤م.

٣- **كتاب: الإعجاز في القرآن الكريم – دراسة في التفسير العلمي للآيات الكونية** –، رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٥٤٤) لسنة ٢٠١٥م.

٤- **كتاب: الفرق الإسلامية الكبرى** – الإمامية، المعتزل، الاشاعرة – دراسة مدخلية مقارنة في النشأة والأصول. رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٣٣٦) لسنة ٢٠١٦م.

٥- (كتيب): **اخلاقيات مهنة الشرطة في الفكر الإسلامي**. نشر كلية التربية / جامعة الكوفة ٢٠١٦م. رقم الإيداع: ٧٨٠ لسنة ٢٠١٦م.

٦- **كتاب: مناهج المفسرين – دراسة في النظرية والتطبيق**–، نشر دار حدود النجف الاشرف ٢٠١٧م. رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٦٢٨) لسنة ٢٠١٧م. طبعة ثانية: ٢٠٢٠م

٧- **كتاب: المجتمع الإسلامي المعاصر** –دراسة في ضوء الكتاب والسنة–، دار حدود للنشر، بيروت، ٢٠١٨م الطبعة الثانية: ٢٠٢١م، رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٧٨) لسنة ٢٠١٨م.

٨- **كتاب: أصول التفسير** -دراسة في المبادئ العامة والضوابط والقواعد-، دار حدود للنشر والتوزيع، ٢٠١٩م. ورقم الايداع في دار الكتب ببغداد (٣٩٠٧) لسنة ٢٠١٩م.

٩- **كتاب: أخلاقيات مهنة التدريس الجامعي**، تقديم: أ.د. بشرى اسماعيل أرنوط (مصر/جامعة الزقازيق). الناشر: دار حدود، بيروت، ٢٠٢٠م. رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٢٢٣) لسنة ٢٠٢٠م.

١٠- (كتيب): **ميثاق أخلاقيات مهنة التدريس الجامعي**، دار حدود، بيروت، ٢٠٢٠م. رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٢٢٤) لسنة ٢٠٢٠م.

١١- كتاب: **التفسير التربوي للقرآن الكريم** -أضواء تربوية أخلاقية من وحي الآية الثانية عشرة من سورة الحجرات-، دار حدود، بيروت، ٢٠٢١م، رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٨٥١) لسنة ٢٠٢١م.

١٢- كتاب: **أساليب القرآن الكريم** – دراسة في النظرية والتطبيق -، دار حدود، بيروت، ٢٠٢٢م. رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٤٤) لسنة ٢٠٢٢م.

١٣- كتاب: **علوم القرآن التاريخية** (تاريخ القرآن)، نشر: مؤسسة الصادق الثقافية، بابل، ٢٠٢٣م. رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٥٠) لسنة ٢٠٢٢م.

١٤- كتاب: **الأثر القرآني في فكر السيد السيستاني** – دراسة تربوية في النصائح الشخصية للشباب المؤمن -، ج١، نشر: أكاديمية وارث للتنمية البشرية / العتبة الحسينية المقدسة، ٢٠٢٣م، رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٣٩١) لسنة ٢٠٢٣م.

المؤلف في سطور

الاسم: أ.د. محمد كاظم حسين الفتلاوي

مكان العمل: أستاذ التفسير وعلوم القرآن الكريم في كلية التربية المختلطة/ جامعة الكوفة.

اللقب العلمي: أستاذ.

تاريخ الحصول على لقب (أستاذ) Professor في ١٧ / ١٢ / ٢٠٢٠م.

التخصص العام: الشريعة والعلوم الإسلامية.

التخصص الدقيق: التفسير وعلوم القرآن.

* حاصل على شهادة الخبرة الدولية أكاديمية أفق – ماليزيا (في التفسير وعلوم القرآن الكريم).

١. خريج قسم التربية الإسلامية في معهد اعداد المعلمين / الديوانية ١٩٩٧م. (العشرة الأوائل).

٢. حاصل على شهادة البكالوريوس في علوم القرآن والتربية الإسلامية/ جامعة بغداد / كلية التربية (ابن رشد)/ ٢٠٠١م.

٣. حاصل على شهادة الماجستير في الشريعة والعلوم الإسلامية / كلية الفقه / جامعة الكوفة عن رسالته الموسومة بـ(حرية العقيدة والرأي في الفكر الإسلامي) وبتقدير (أمتياز). ٢٠٠٨م.

٤. حاصل على شهادة الدكتوراه في علوم القرآن الكريم والحديث الشريف / كلية الفقه / جامعة الكوفة/ عن أطروحته الموسومة بـ(المنظور القرآني في بناء الإنسان – دراسة تفسيرية –) وحاصلة على تقدير (أمتياز). ٢٠١٣م.

شغل مهام:

* رئيس قسم علوم القرآن الكريم / كلية الفقه الجامعة (اعارة).
* مسؤول وحدة الارشاد النفسي والتوجيه التربوي / كلية التربية.
* أمين مجلس كلية التربية.
* رئيس تحرير مجلة الطور الثقافية التربوية / المديرية العامة لتربية الديوانية.
* محاضر لمادة (الميراث) في كلية القانون / جامعة القادسية لسنتين: ٢٠٠٧ – ٢٠٠٩م.
* محاضر لمادة: (العقائد، الفكر الإسلامي، مناهج المفسرين، مدارس فقهية، حقوق الإنسان) في كلية الدراسات الإنسانية الجامعة (الكفيل) / النجف الاشرف/ لأربع سنوات: ٢٠٠٨ – ٢٠١٢م.
* شارك في مؤتمرات علميّة عديدة.
* نشر بحوث علميّة في مجلات علميّة محكمة.
* نشر مقالات ثقافية في مجلات معنية.
* عضو هيئة عامة في جمعية منتدى النشر / النجف الأشرف.
* عضو المنتدى الوطني لأبحاث الفكر والثقافة – جمعية علميّة– النجف الأشرف.
* عضو نقابة المعلمين / فرع النجف الأشرف.

* عضو هيئة عامة في جمعية منتدى النشر / النجف الأشرف.

* عضو نقابة الأكاديميين العراقيين.

* عضو جمعية أبي طالب الخيرية / قضاء الشامية/ المسؤول الثقافي.

* عضو المركز الإعلامي العراقي المقر العام/ الديوانية.

*** عضو في لجنة:**

- عضو لجنة تأليف مناهج التربية الإسلامية في وزارة التربية.
- عضو لجنة تأليف مناهج التربية الإسلامية في وزارة الداخلية.
- عضو لجنة تأليف المناهج الإسلامية في ديوان الوقف الشيعي.
- عضو لجنة الارشاد التربوي المركزية في ديوان جامعة الكوفة. ٢٠٢٢م.
- عضو لجنة اثراء المناهج الإسلامية في وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ٢٠٢٢م.

للتواصل مع المؤلف:

mohamadk323@gmail.com

mohammedk.alfatlawy@uokufa.edu.iq

http://staff.uokufa.edu.iq/profile.html?mohammedk.alfatlawy

٢٢٠

ف ٢٨٢ الفتلاوي ، محمد كاظم حسين

علوم القرآن الموضوعية / محمد كاظم حسين الفتلاوي. . – ط١. – كربلاء : دار التوحيد . ٢٠٢٤

٢٦٨ ص ، ٢٤ سم .

١. القرآن الكريم – علوم . أ. العنوان.

رقم الإيداع

٢٢٧ / ٢٠٢٤

المكتبة الوطنية / الفهرسة أثناء النشر

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٢٢٧) لسنة ٢٠٢٤م

الترقيم الدولي I. S. B. N. 978 - 9922 - 8808 – 1 – 5